

دكتور حسن حنفي

الدين والثورة

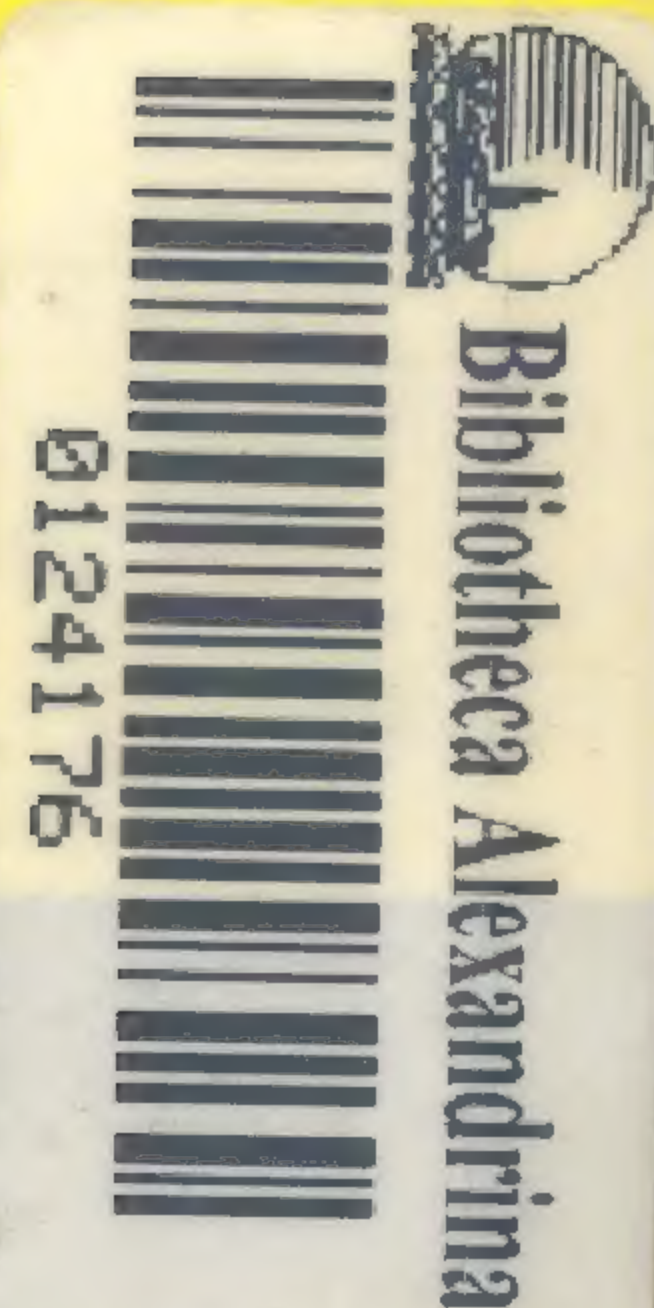
فيلم

١٩٥٢ - ١٩٨١



اليمن واليسار في الفكر الديني

الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة



الدين والثورة

فن مصر

١٩٥٢ - ١٩٨١

٧- اليمين واليسار في الفكر الديني

دكتور حسن حنفي

الناشر
مكتبة مدبولي

اليمن و اليسار في الفكر الديني

ليس اليمن واليسار مقولتين في السياسة وحدها بل هما موقفان في المعرفة الانسانية والعلوم الاجتماعية بوجه عام ، وفي المواقف العملية والحياة اليومية بوجه خاص . ومهمتنا هنا بيان اليمن واليسار في الفكر الديني في تراثنا القديم وفي وجداننا المعاصر ، كما ورثناه في علم أصول الدين أو في علم التوحيد أو في علم الكلام أي التسميات نشاء .

(*) الطليعة ، اكتوبر ١٩٧٦ . وقد صدرت الطليعة المقال بآتى :

في هذا المقال يقدم الدكتور حسن حنفى دراسة عن اليمن واليسار في الفكر الديني ، في التراث القديم وفي الوجدان المعاصر . وهو في دراسته هذه يعتمد على واقع حياتنا المباشر وتراثنا الحى ، ويستوحى تجاربنا الشعبية المشتركة ونظمنا الاجتماعية القائمة .

والدكتور حسن حنفى ، هو أستاذ الفلسفة المساعد بآداب القاهرة ، وحاصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة من السربون عام ١٩٦٦ . وله مؤلفات عديدة بالفرنسية والعربية من بينها « تفسير الفينومينولوجيا » وهو محاولة لدراسة المنهج الفينومينولوجى وتطبيقاته في ظاهرة التفسير ، « نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط » . كما قام بنشر وتحقيق كتاب « المعتبد في أصول الفقه لآبى الحسن البصرى » وله تحت الطبع « التراث والتجديد » ، محاولة لاعادة بناء علم أصول الدين .

ويهتم الدكتور حسن حنفى في كتابته المعاصرة باعادة تفسير اُتراث القديم من أجل حل القضايا الاساسية للعصر وفي مقدمتها قضايا الاخلال والتخلف واعادة تفسير الدين بما يحقق مطالب العصر من ثورة وتحضر وتنمية .

ولن نعتمد في هذه الدراسة على التحليلات الاحصائية ، فهذا مجال الدراسات الاجتماعية المتخصصة والرسائل الجامعية ، ولكننا سنعتمد على تحليل التجارب الحية ، ووصف الخبرات الشعورية المشتركة التي يشعر الجميع بها ، والتي تحتاج فقط الى نوع من الاستبطان والاستبصار .

ونحن لن تدخل هنا في معركة البناء الفوقي والبناء التحتي ؛ أيهما علة وأيهما معلول ، فهذه معركة بالية أكاديمية صرفة ، وانفسا سنحاول وصف الظواهر الفكرية كما هي التي تحتوى على علاقة جدلية ، فبقدر ما تكون الافكار تعبيراً عن واقع بقدر ما يكون الواقع أيضاً موجهاً بالافكار . ولكن التجربة الحية هي مادة التحليل ، اذ لا يوجد البناء الفوقي والبناء التحتي وحدهما في علاقة آلية مساعدة أم هابطة بل هناك البناء الشعوري الذي تقوم فيه هذه العلاقة الجدلية ؛ وحيث تلتقي الحركتان الصاعدة والهابطة في بؤرة الشعور حيث يتحدد بناء الظاهرة الانسانية . ولما كانت الابنية الشعورية باصطلاح تقايدى ابنية فوقية فنحن أقرب الى النظرة المثالية التي تفسر الظواهر الانسانية بالابنية الفوقية ، وفي حالتنا هذه هو الفكر الدينى ، دون الوقوع في علاقة عليية حتمية آلية بل عن طريق وصف التجارب الحية التي تمحى فيها التفرقة التقليدية بين العلة والمعلول ، وبين السبب والمسبب ، ونالتي تمحى فيها أيضاً التفرقة الشائعة بين الذات والموضوع . فالتحليل الوصفى هو ما نقوم به وليس التحليل العلى ، وكلاهما علم على حد سواء .

ولن نشير في وصفنا هذا الى واقع مختلف عن واقعنا مثل الواقع الاوربى الذى تستقى منه عادة مادة التحليلات بل أبداً من واقعنا

المباشر ، ومن تراثنا الحى ، ومن تجاربنا الشعورية المشتركة ، ومن نظمنا الاجتماعية القائمة •

وكلها محاولات قد تخطىء وتصيب ، بل قد تخطىء أكثر مما تصيب ، ولكننا نعرضها قضية للمناقشة حتى نفسح المجال لفكرينا ومثقفينا للتساؤلات حول ارتباط الفكر الدينى بالواقع الاجتماعى والاثـر المتبادل بينهما حتى لا نظن أن الفكر الدينى شىء مقدس بل هو نتاج انسانى مثل الايديولوجيات التى تتبع من واقع اجتماعى ثم تعود لتؤثر فيه من جديد •

واليمين واليسار ليسا موقفين فكريين متمايزين بل هما أيضا اتجاهان فى التفسير ، فاليسار فى الفكر قد يستغله اليمين لصالحه ، واليمين فى الفكر قد يعيد تفسيره اليسار لصالحه أيضا • فاليمين واليسار موقفان فكريان متمايزان من الاساس ، وأيضا متجانان فى التفسير •

وفى نهاية الامر ، ان اليمين واليسار فى الفكر الدينى أساسا هما وضعان اجتماعيان يدلان على وجود طبقتين اجتماعيتين ، تحاول كل طبقة أن تدافع عن حقوقها بالابنية النظرية المتاحة فى المجتمعات التقليدية وهى العقائد الدينية ، فهى قضية عملية وليست قضية نظرية ، وبناء اجتماعى أكثر منها حقيقة فكرية • تحاول إحدى الطبقتين ، وهى الاقلية المسيطرة التى تملك وسائل الانتاج والسيطرة على الحكم ، استغلال الطبقة الاخرى ، وهى الاغلبية ، لصالحها ، عن طريق الفكر الدينى أى تفسيرها للدين لصالحها • كما تحاول الطبقة الاخرى ، وهى الاغلبية المستغلة ، اعادة تفسير الدين لصالحها ، للقضاء على الاقلية المسيطرة بنفس السلاح • فالدين سلاح ذو حدين

طبقا لاستعماله . وهذا هو معنى العبارة المشهورة « الدين أفيون الشعب وصرخة المضطهدين » .

يدور علم أصول الدين الذى يحتوى على نموذج للفكر الدينى حول مقدمتين وموضوعات ثمان يضاف اليها موضوع أو موضوعان كخاتمة ، ومن ثم تكون الموضوعات اثنتى عشر يتجاذبها اليمين واليسار على النحو الآتى :

١ - تبدأ المقدمة الاولى بعرض نظرية العلم أو كما يقال نظرية المعرفة اجابة على سؤال : ماذا أعرف ؟ ويتضح موقفان : الاول يجعل الايمان وسيلة للمعرفة ، والايمان فعل أولى لا يسبقه فعل آخر ، يقبل ولا يرفض ، يسلم ولا يعترض ، يأخذ ولا يعطى . ثم يأتى دور النظر فى تبرير الايمان وفهمه دون نقده أو تمحيصه .

وهذا هو موقف اليمين ، فالتسليم يؤدى الى الطاعة والرضا بما يعطى للشعب من حقائق عليه قبولها . فالفرد الذى يبدأ بالايمان كنظرية للمعرفة يكون أقرب الى الطاعة للامراء ، والى الانقياد للحكام . والشعب الذى يبدأ بالتسليم بالحقائق دون مناقشتها يكون أقرب الى الاستكانة . ومن ثم ، تعمل النظم اليسينية على نشر الايمان بهذا الهدف لانه يؤدى لها ما تبغى من الابقاء على الوضع القائم ، والتسليم به ، والاستكانة تحته ، والرضوخ له . ولذلك لا تعتنى هذه النظم بمحو الامية أو بنشر التعليم بل يكون همها بناء المساجد ، والاكتثار من الموالد ، وتدعيم الطرق الصوفية ، والاكتثار من الدعوات والابتهالات ، وترديد التواشيح ، وانتشار المذائح ، وتعميم البرامج الدينية فى أجهزة الاعلام لا عن ايمان بالدين ولكن عن نفاق وتغطية وتعمية وتستتر على النظم الاجتماعية القائمة .

وفي مقابل ذلك ، هناك اتجاه آخر يجعل نظرية العلم تبدأ لا بفعل الايمان بل بفعل النظر ، فالنظر هو أول الواجبات الدينية قبل الايمان من حيث هو تسليم ، وقبل الايمان من حيث هو مضمون : الله ، الملائكة ، الكتب ، الرسل ، اليوم الآخر . الخ ، وقبل الايمان من حيث هو ممارسة للشعائر والطقوس . فالنظر سابق على الايمان ، والفكر سابق على التسليم . فبالنظر يستطيع الانسان أن يميز بين الحسن والقبيح ، وبالفكر يستطيع الناس معرفة من يعمل لمصلحتهم ومن يعمل لاستغلالهم . فلا يمكن قبول شيء على أنه حق ما لم يثبت بالنظر أنه كذلك ، ولا يمكن التسليم بشيء ان لم نجد البرهان عليه ، وما لا دليل عليه يجب نفيه كما قال المناطقة الاقدمون . بل ان البعض جعل الشك في الموروث سابقا على النظر ، وأول الواجبات لتأكيد الجانب الرافض في الفكر ، وهو الشك ، حتى تتكسر حدة الموروث ، وتذهب سلطة التقليد . ومن ثم يتم رفض كل وسائل المعرفة ومصادرها الظنية وهي مضادات المعرفة مثل الجهل ، والتقليد ، والظن ، والالهام ، ولا يقبل الا النظر بجميع طرقه مثل القياس والاستدلال والبرهان .

وهذا هو موقف اليسار الديني ، فالنظم التقدمية هي التي تعمل على محو الامية ، وعلى نشر التعليم ، وعلى اقامة الحوار المفتوح بين الاتجاهات الفكرية المختلفة في البلاد . ولا تتدخل في حرية الرأي ، فحرية التعبير حق يكفله الدستور ، وتمارسه المؤسسات الديمقراطية بالفعل .

وقد يستغل اليمين هذا الموقف اليساري لصالحه الخاص وذلك باقامة نظم سياسية على النظر ، وهي النظم الليبرالية . ولكن النظر

لا يكون الا أساس الترشييد ، والترشييد أساس التصنيع ولا يخرج
كى يصبح دعامة الحياة كلها ، فليس من مصلحة هذه النظم اشاعة النظر
عند الطبقات الكادحة كى لا تعرف حقوقها ، بل يظل قاصرا على طبقة
واحدة هي الاقلية المستغلة صاحبة رأس المال ، وصاحبة اصدار
القرارات السياسية أو المؤثرة عليها . وقد يستعمل النظر لصالح
شعب دون شعب ، ففي الوقت الذى يقيم فيه الغرب دعائم نهضته
الفكرية والعلمية فإنه يقضى على روح الشعوب غير الاوربية ، ويقضى
على مدارسها ونظم تعليمها وتراثها الفكرى ، ويشيع فيها الجهل أو
التبعية لثقافة الغرب فيما يسمى بالاستعمار الثقافى . فى حين أن
اليسار يجعل من النظر أمرا عاما وشاملا ، لا يخص فردا دون فرد ،
أو طبقة دون طبقة ، أو شعبا دون شعب ، فلا يوجد عالم والباقي
جاهلون ، ولا يوجد شعب متحضر وباقي الشعوب همجية .

ويمكن لليسار إعادة تفسير دجماطيقية اليمين لصالحه خاصة فى
مجتمع تقليدى مازال يفكر بعقائده ، وذلك بتوجيه العقائدية لصالح
الفقراء والمعدمين ، وتجنيد الطبقات الكادحة وتخزيبها حتى اذا ما
تحولت الى قوة سياسية ضاغطة ، وطاقة ثورية مغيرة ، أمكن بعد
ذلك تحويلها من الدجماطيقية الى الاستنارة ، ونقلها من الايمان الى
النظر .

٢ — وتحتوى المقدمة الثانية على نظرية الوجود اجابة على
سؤال : ماذا أعرف ؟ وهنا يتضح أيضا موقفان : الاول يريد جعل
موضوع المعرفة هو الحادث ، المتغير ، الممكن ، ويقصد بذلك العالم
الذى نعيش فيه حتى يمكن الانتقال بعد ذلك من الحادث الى القديم ،

ومن المتغير الى الثابت ، ومن الممكن الى الواجب . فالعالم هنا محكوم عليه بالفناء من أجل اثبات موجود وراء العالم يكون هو البقاء ، والحكم على العالم بالفناء حكم قاس مدمر لاهساس الناس بالعالم . اذ كيف يعمل الناس في عالم فان وكيف ينتجون في واقع لا ثبات له ولا كيان ؟ العالم هنا ليس الا وسيلة لاثبات شيء آخر ، هو الله . فالله هو الباقي ، والعالم هو الفاني ، الله هو الغنى والعالم هو الفقير المحتاج . ويستطيع الغنى أن يفعل بالفقر ما يشاء ، فلا قانون يحفظ للفقير حقوقه الا رحمة الغنى به ، ولا ارادة تقف في مواجهة الغنى الا فضله وارادته . ومن ثم فلا توجد قوانين ثابتة للطبيعة ، بل يمكن للحجر أن ينقلب ذهباً ، والعصى ثعباناً ، ويعيش الإنسان في عالم يحكمه السحر ، ويدركه بالخرافة ، لا يؤمن به ولا يعيشه بل يجد الإنسان نفسه فوقه على نحو عارض ، مصادفة ، وليس له غاية الا البحث عن الباقي وراء العالم .

وهذا هو اليمين في الفكر الديني الذي تبشر به النظم اليمينية الرجعية التي يهملها سلب العالم من الجماهير المستغلة ، والايحاء اليها بأنه عالم فان لا قيمة له ، وبأن القيمة كل القيمة فيما وراء هذا العالم ، وبالتالي تتخلى الجماهير عن حقوقها ، ولا تلتفت الى ما هو زائل ، وتعكف على ما هو باق وأبدى تحت سمع وبصر النظم الرجعية التي تستحوذ على العلم ولا تعطي الجماهير الا الظلال .

وفي مقابل ذلك ، هناك اتجاه آخر يجعل هذا العالم باقياً مستقراً ، ويجعل جهد الإنسان فيه منتجاً ومؤثراً . فالعالم ليس ممكناً بل واجب ، وليس حادثاً بل قديم يخضع لقوانين طبيعية مطردة ، يمكن للإنسان معرفتها والسيطرة على الطبيعة من خلالها ، واستغلالها لصالحه ،

وتستعصى على كل محاولة للقضاء عليها أو التدخل في سيرها ، وعليها
تتخطم كل الارادات المسيطرة ، وكل القوى القاهرة ، فلا صوت يعلو
على صوت الطبيعة ، ولا قانون يطفى على قانونها ، فالعالم ليس وسيلة
لشيء آخر بل هو غاية في ذاته ، وهو ليس فانيا بل باق ، ووجود
الانسان فيه ليس عارضا بل جوهرى .

وذلك هو اليسار في الفكر الدينى ، وذلك لانه في النظم السياسية
القائمة على هذه النظرة يكون العمل منتجا في العالم ، ويكون لدى
الجمهير وعى بالعالم ، وثقة بقوانينه المطردة ، وتحافظ على حقوقها ،
وتدافع عن مصالحها ضد كل محاولات السيطرة من الخارج ، وضد
كل صور القور الاجتماعى والسياسى من الداخل ، فالجمهير الكامة
العليا ، ولديها ثقة في العمل وفيما تخلفه وراءها من آثار ، ويكون
الحكم لها . ومن ثم تفرض النظام الديمقراطى الذى يعمل لصالحها ،
وتثور ضد أى محاولة لتركيز السلطة التى يدين لها الجميع بالطاعة
والولاء .

وقد يستغل اليمين هذا الموقف اليسارى لصالحه عندما يفسر
حتمية قوانين الطبيعة واطرادها لصالح النظم التسلطية والرأسمالية ،
فتجعل قانون العرض والطلب أو الصلة بين صاحب رأس المال والعمال
صلة الرئيس بالمرؤوس ، أو وقوانين الربح والاحتكار قوانين طبيعية
عليها تقوم الحياة الاقتصادية ، وبالتالي تكون هذه النظم هى النظم
الطبيعية التى تفرضها طبيعة الامور . كما قد تستغل بقاء العالم
واستمراره وصلابته وتخصصه كميدان لنشاط صاحب رأس المال
فقط دون العمال ، ولصالح الطبقة المسيطرة دون الطبقات الكادحة التى
يخل العالم بالنسبة لها هنا لا قوام له ، حتى ينشط صاحب رأس

المال ، ويستكين العمال ، وحتى ينشط ملاك الارض وينام الفلاحون والاجراء الزراعيون . ولكن القضاء على خصوصية النظرة ، وتأكيد ثبوت العالم للجميع من شأنه القضاء على استغلال اليمين لموقف اليسار .

كما يمكن للييسار اعادة تفسير موقف اليمين لصالحه وذلك بالاعتماد على لا حتمية قوانين الطبيعة لصالح التوعية الجماهيرية ، فالنظام الرأسمالى ليس نظاما أبديا بل يمكن تغييره ، ونظام الاجور الذى يفرضه صاحب رأس المال ليس نظاما ثابتا بل يمكن تعديله ، وهذا النظام الذى ترى فيه الاقلية المسيطرة أبدع ما أنتجه العقل البشرى يمكن السيطرة عليه وقلبه رأسا على عقب ، وبالتالي تتحرك الجماهير بنفس السلاح الذى أرادت الاقلية المسيطرة على المال والحكم استعماله لتسكين الجماهير وفرض ارادتها عليها كما تشاء .

٣ - وبعد المقدمتين السابقتين يظهر الموضوع الاول ، موضوع الذات الالهية وهو حجر الزاوية فى علم العقائد وأساسه الاول . ويظهر اتجاهان : الاول ، يثبت هذه الذات بأوصاف ست : الوجود ، والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، وعدم وجودها فى محل ، والوحدانية أى أن الذات الالهية موجودة بالفعل وجودا حقيقيا ، وقديمة لا أول لها ، وباقية لا نهاية لها ، ومخالفة للحوادث لا يشبهها شيء ، ولا تشبه شيئا ، وليست فى محل وتوجد فى مكان ، ووحدانية تنفى الشرك والتعدد ومن ثم يتم تأليه الذات واعطاؤها كل ما يستطيع الانسان اعطاءه من أوصاف للوجود المطلق خارج الوجود الانسانى ومستقلا عنه .

وهذا هو موقف اليمين لاننا اذا انتقلنا الى النظم السياسية التى تحقق هذا التصور لوجدنا أنها تعتمد على هذا الاثبات للذات المطلقة من أجل اثبات النظم الاجتماعية التى تتركز كلها فى سلطة واحدة فى القمة ، تتصف بكل صفات الوجود المطلق سواء كان ذلك فى السلطة السياسية المطلقة للزعيم أو فى السيطرة الاقتصادية المطلقة لرأس المال . وبالتالي تكون لدينا نظم تسلطية تقوم على القهر والطغيان وعلى حق الفرد المطلق على حساب الشعب ، أو نظم رأسمالية تقوم على اعطاء حرية الحركة المطلقة لرأس المال على حساب المستثمرين أو على حساب الاستثمارات الصغيرة أو على حساب العمال . وهى النظم التى تجعل القمة فى السياسة أو فى الاقتصاد مصدر النشاط والحركة والقيمة على حساب القاعدة المتلقية السالبة للأمورة . هذا بالاضافة الى أن هذا النوع من الايمان بالوجود المطلق الشامل يعطى الجماهير نوعا من الاستكانة بالارتكان عليه والاعتماد على سلطانه . فاذا ضاع كل شيء فعلى الاقل يبقى شيء هو البقاء ذاته ، واذا عدم كل شيء فعلى الاقل يوجد شيء واحد هو الوجود ذاته ، واذا ضاع الاحساس بالزمان وبالتاريخ ، ولم يدر الانسان متى أتى ، وإلى أين ينتهى ، وفى أى مرحلة من التاريخ هو يعيش فعلى الاقل هناك الدائم الذى لا أول له ولا نهاية والذى يضم الماضى والحاضر والمستقبل ، واذا استعصى على الانسان أن يجد له مكانا فى العالم ومحلا يحط فيه فعلى الاقل هناك من لا يحتاج الى محل أو مكان ، واذا عجز الانسان عن أن يدرك الامور العينية نظرا للاقنعة التى فوق عينيه فعلى الاقل هناك الادراك الغامض لما لا شبيه له ، وأن عدم الادراك خير من الادراك ! فالموضوع الذى لا يرى خير من الموضوع الذى يرى ، والخالص أشرف من الشائب . واذا فقد الانسان كل شيء فعلى الاقل هناك شيء واحد

لم يفقده هو الوجدانية ذاتها • ومن ثم يكون الانسان مفقودا وهو يظن أنه واجد نفسه ، ويكون ضائعا وهو يظن أنه قد وصل الى بر الامان ، كمن يفقد الحبيب فيحب الحب ذاته حتى يعرض فقده ، ويحول خسارته الى مكسب ، ويحيل ضعفه قوة •

وفي مقابل ذلك ، هناك اتجاه آخر يجعل الانسان هـو الموجود الذى لا يشك فى وجوده أحد ، ولا يقدر على اعدامه شيء ، هو القديم بمعنى انه حقيقة أزلية لا يمكن الشك فيها ، وهو باق بمعنى أنه يستحيل عليه الفناء ، وهو لا يحتاج الى محل لان الانسان موجود فى كل مكان ، والانسانية لا يحدّها زمان أو مكان ، وهو لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء • لانه يتجاوز الاشياء ويفارقها ، ومن ثم ، يقضى هذا الاتجاه على كل تشخيص أو تسكين أو تثبيت للذات ، ويعيد للانسان أخص خصائصه وهو الذاتية ، وتتحول حياة الانسان الى حركة ونشاط وجهد ونضال بحياة الذاتية فيه وليس بمفارقة لها •

وهذا هو موقف اليسار • فالنظم السياسية التى تتبنى هذه النظرة تكون نظما انسانية تقوم على الاعتراف بالانسان كقيمة ، لا فرق فى ذلك بين حاكم ومحكوم ، أو رئيس ومرؤوس ، أو غنى وفقير ، أو رجل وامرأة ، فكل انسان له ذاتيته وليس فقط الحاكم أو الرئيس أو المدير ، وغيرهم الدماء والغوغاء التى يكون لها الخبز الاسود ولغيرها الابيض ، أو التى تحشر فى المركبات العامة ولغيرها العربات الخاصة ، أو التى تقطن فى المساكن الشعبية ولغيرها الفيلات الخاصة •

وقد يحاول اليمين تفسير هذه النزعة الانسانية لصالحه فتتشأ النظم الليبرالية اليمينية التى تؤكد على انسانية فرد واحد دون غيره ،

وتظهر النظم الرأسمالية كوريث شرعى لليمين الليبرالى ، كما تتشأ النظم الغربية العنصرية التى تؤكد على انسانية الغرب دون غيره من الشعوب . ولكن اليسار الدينى يكشف عن هذا التفسير اليمىنى لموقفه ويجعل الانسانية عامة لا تخص فردا دون فرد ، أو طبقة دون طبقة ، أو شعبا دون شعب . ويمكن لليسار أن يعيد تفسير ما اعتمد عليه اليمين لاقامة نظم القهر والتسلط خاصة لدى شعب يمر بمرحلة ايمان تقليدى لا يمكنه التخلّى عن فكرة الذات الموجودة الازلية الباقية وذلك بتفسير هذا المطلق لصالح الضعفاء ، وتوجيه هذه القوة ضد الاقوياء ، فالله موجود فوق كل الوجود ، بدل أن يستعملها الاقوياء ضد الضعفاء يستعملها الضعفاء ضد الاقوياء ، وهو الاقرب للطبيعة . فالله أكبر فوق كل كبير ، وليس الله أكبر فوق كل صغير ، والله أقوى من كل قوى ، وليس الله أقوى من كل ضعيف ، فالوجود المطلق هنا يكون لاعادة خلق المهدد وجودهم بالفناء ولاعادة وجودهم من عدم .

٤ — والذات الالهية المتصفة بهذه الاوصاف الست الماضية التى تشير الى علاقة الذات بنفسها لها صفات أخرى تشير الى علاقة هذه الذات بالعالم ، وهى الصفات السبع المشهورة التى ورثناها من القدماء : العلم ، والقدرة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والارادة . وهى صفات مطلقة مثل اوصاف الذات ، ومشخصة بمعنى أنها تصف موجودا حيا ذا علم وارادة . ومن ثم تنتزع من الانسان أهم صفاته أغنى العلم والقدرة والحياة ، فالسمع والبصر وسيلتان للعلم ، والكلام للتعبير والايصال والمشاركة فى الحياة ، والارادة لتنفيذ القدرة . فالانسان موجود حى له علم وله ارادة أى أن الحياة لها جانبان : النظر والعمل . ولكن تحويل ذلك الى صنم عقلى ثابت جامد هو نوع من الوثنية اللاشعورية .

• هذا هو موقف اليمين • فالنظم السياسية التى تقوم على هذا الاساس تعتمد على التأليه ، تأليه الحكام ، وتأليه الرؤساء ، وتأليه القادة ، فالقمة تحتوى على قيمة أكثر مما تحتوى القاعدة • القمة هى الكمال ، والقاعدة هى النقص • القمة هى الحية العاملة القادرة دون القاعدة التى تتصف بالحدوث أى الموت والجهل والعجز ، وهى صفات الجماهير ، صم ، بكم ، عمى ! وفى النظم الرأسمالية يتمتع رأس المال بكل مظاهر الحياة والعلم والقدرة ، فهو رأسمال متحرك نشط يتمدد كالاخطبوط كما هو الحال فى الشركات المتعددة القوميات ، وهو عالم يسمع ويبصر ، ويقوم على الترشيح ، وتوجيه الاسواق ، وتحديد الاسعار •

أما الاتجاه الآخر فيحاول استرداد هذه الصفات التى هى أخص خصائص الانسان • فالانسان هو العالم القادر الحى الذى يسمع ويبصر ويتكلم ويريد ، وبالتالي يتحول الثبات الى حركة ، والتأليه الى نشاط ، والخارج الى الداخل ، والقهر الى تحرر ، فالانسان لا يؤله الا ما يعجز عن تحقيقه ، ولا يعبد الا ما لا يستطيع أن يناله • اذا كان جاهلا عبد العلم ، واذا كان عاجزا أله القدرة ، واذا كان ميتا عشق الحياة ، واذا كان أصما أله السمع ، واذا كان أعمى رجعى البصر ، واذا كان أبكيا تاق الكلام ، واذا كان عاجزا تمنى الارادة • ولكن اذا تحققت غاية الانسان فى الحياة ، وأصبح عالما ، قادرا ، حيا ، سميعا ، بصيرا ، متكلما ، مريدا فإنه يحقق صفاته بالفعل ويعسود الى غاله بعد أن ظل مغتربا فى عالم آخر ، منفصم الشخصية ، حيث يكون فى عالم الجهل والعجز والموت ويظن أنه بأشواقه قد نال العلم والقدرة والحياة •

وهذا هو موقف اليسار ، ذلك أن النظم التقدمية تحاول أن تعيد بناء الانسان عالما ، حيا ، وتقضى على مظاهر الجهل والعجز ومشارف الموت التى يتردى فيها الانسان كل يوم . فإذا انتشر التعليم تحقق العلم ، وإذا قامت المؤسسات التى تجعل الشعب قادرا على ممارسة حقوقه السياسية وعلى توجيه السياسة والتخطيط لصالحه تحققت القدرة ، وإذا كان الشعب مستقلا متقدما تحققت له الحياة ، وإذا كان هو صاحب الكلمة ، ويسيطر على وسائل اعلامه أصبح سامعا ، بصيرا ، متكلم ، مريدا ، ومحققا لرغباته .

قد يحاول اليمين استغلال الموقف اليسارى لصالحه ، وذلك بتحويل الصفات الى وقائع حية ولكن للاقلية المسيطرة وحدها فهى العاملة ، المقادرة ، الحية التى تسمع ، وتبصر ، وتتكلم ، وتريد . وما سواها يظل جاهلا ، عاجزا ، ميتا ، أصما ، أبكما ، أعمى ، لا يريد شيئا بل يتمنى أن يكون على خلاف ذلك بالوهم أو بالخيال . وتمنى الاقلية الاغلبية ، وتشيد لها المعابد لتأليه عالم التمنى الشخص ، وكلما ازداد التأليه ابتعدت الاغلبية عن المطالبة بحقوقها . وقد تستغل انصارية الحضارية أيضا هذا الموقف وذلك بجعل الغرب وحده هو العالم ، القادر ، الحى ، وغيره من الشعوب هو الجاهل ، العاجز ، الميت ، ويستحيل للشعوب الاخرى اللحاق بالشعب الاول المختار . ولكن اليسار يجمع هذا التحقيق للجميع لا فرق بين أقلية أو أغلبية ، وينفذ مشاريعه الفعلية وبرامج محو الأمية للقضاء على الجهل ، ويقيم الحزب الجماهيرى من أجل الحفاظ على قدرة الجماهير وفاعليتها ، ويعرض على وعى الشعب ، ففى وعيه حياته . وبإمكان اليسار الدينى أيضا إعادة تفسير الموقف اليميني لصالحه وذلك بجعل هذه الصفات المثل الاعلى التى تشد الانسان نحو تحقيقها ، والتى تكون مقاييس

لساوكه ، ومعيارا لما تحقق منها وما لم يتحقق بالفعل ، وبالتالي تكون هذه المثل الغاية القصوى للانسان وليست تسكيننا ، وتثبيتنا ، وتأليها ، وارضاء ، وتحذيرا •

هـ — فاذا انتقلنا من الذات والصفات الى الافعال بظهر أيضا موقفان : الاول يجعل أفعال الذات مطلقة وشاملة لا تحددها حدود ، ولا تقف أمامها أفعال أخرى • ومن هنا تنشأ عقيدة القضاء والقدر ، وتثبيت أمر الله التكويني العام الذي يضم كل شيء ، واثبات أمر الله الذي يخص كل انسان ويكيف حياته • فالانسان جزء من هذا العالم ، يسرى عليه قضاء الله وقدره ، وليس له قدرة مستقلة أو ارادة خاصة ، وبالتالي فهو ليس صاحب قراره أو مصدر تدبيره • والكسب الاشعري لا ينفصل عن الجبر في الحقيقة لان شرط الفعل الانساني الحر هو امكانية يولدها الله في الانسان ، فالفعل الالهي مازال هو الشارط ، والفعل الانساني هو المشروط ، ولولا حدوث هذا الفعل الالهي لما تحقق الفعل الانساني • الفعل الالهي أشبه بمركبة صاعدة الى قمة الجبل ، والفعل الانساني أشبه براكب دراجة يمسك بالمركبة • وليس هناك أي بقاء للفعل الانساني في ذاته ، فالفعل الالهي يضمه أيضا ويحتويه ، فالفعل الالهي سابق على الفعل الانساني ، ومعهم ، وبعده ، والفعل الانساني ما هو الا تابع لمتبوع • وكل ما يحدث في أفعال الشعور الداخلية من هداية أو ضلال أو توفيق أو خذلان يحدث بالفعل الالهي • وكل ما يحدث في الخارج من تحديد للأجال والارزاق والاسعار يحدث بالفعل الالهي وليس نتيجة للأوضاع الاجتماعية • وهذا هو موقف اليمين •

فاذا انتقلنا الى النظم السياسية القرينة لوجدناها أيضا نظما

م ٢ — اليمين واليسار في الفكر الديني

تؤكد على سلطة الفرد المطلق ، وعلى قدرته الشاملة ، وعلى أولوية فعل الحاكم على المحكوم ، وأن المحكوم بين اصبعين من أصابع الحاكم يقلبه كيف يشاء . فالنظم الدكتاتورية هي التي تروج لافكار القضاء والقدر وهي التي توحى للجماهير بأنهم لا خيرة لهم في أمرهم الى آخر ما ترخر به أمثلتنا الشعبية وأغانينا اليومية ، وعبارات المآثم والاحزان عندما تحل المصائب ، مطالبين بالصبر والعزى والسلوان .

والموقف الآخر هو الذي يثبت حرية الانسان ، واستقلال ارادته ، وأن الانسان خالق أفعاله ، وصاحب قراراته ، وأن فعله أولى غير مشروط ، وأن فعله أساسى وليس تابعا ، وهو موقف اليسار . فالنظم السياسية التقدمية تثبت حرية الانسان وقدرته ، وخلقه لأفعاله ، وأن للانسان قدرة واستطاعة فعلية سابقة على الفعل في صورة رؤية وتدبر ، وانتظار وتخطيط ، ومع الفعل في صورة باعث ونشاط ، وحركة وتحقيق ، وبعد الفعل في صورة بقاء واستمرار لإثار الفعل الى ما لا نهاية حتى أنه لبصبح سنة يحتذى بها ، وقدوة للاجيال القادمة . كما تؤكد أن الجماهير هي صاحبة القرار ، وتصر على حق تقرير المصير ، وحق التعبير ، وحرية القول والعمل كتطبيقات لحرية الانسان وممارسته لها .

وقد يستغل اليمين حرية الانسان لصالحه الخاص . فالنظم الليبرالية تقوم أساسا على تأكيد حرية الانسان في شتى مظاهرها ، ولكنها حرية الاقلية ضد الاغلبية ، وحرية ممارسة الجنس ، وارتكاب العنف والجريمة ، والسلوك الفوضوى الشامل ، كما قد تكون اعلانا لحقوق الانسان ، وتأكيدا لحياته في الغرب وحده ، أما الشعوب الاخرى فهي غير مؤهلة الا للتبعية والطاعة والتقليد . ولكن الموقف

اليسارى هو الذى يقرن الفعل الحر بالمسؤولية ، فتكون أفعال الانسان ملتزمة بقضايا الواقع ، ومحقة لبرامج تطويره . وقد يحاول اليسار تفسير الجبرية أو عقيدة القضاء والقدر لصالحه خاصة فى شعوب هزالت أسيرة التقاليد ، ويطاعة للموروث . وذلك باثبات الشجاعة المطلقة ، والتأكيد على الدور البطولى للانسان ، فاذا كان الموت مكتوبا فلم العيش فى الضيم ؟ وهذا ما حاوله الافغانى من قبل من اءامدة تفسير عقيدة القضاء والقدر على أنها رفض للمذلة والهوان ، وأطلاق لقوى الجماهير الحبيسة ، وزعزعة الخوف من نفوسها . فهذه العقيدة لا تؤدى إلى القبول بل إلى الرفض ، ولا تبحث على الاستكانة والرضا بل تبحث روح الثورة والنضال .

٦ — ولا كان كل دين يقوم على وحى شفوى ثم يتم تدوينه اما مباشرة أو بعد عدة أجيال أو تكثر نشأت مسألة سلطة الكتاب وصلته بسلطة العقل ، وهى مسألة العقل والسلطة ، وباصطلاحاتنا القديمة مسألة العقل والنقل . ونجد هنا أيضا موقفين : الاول يجعل السلطة سابقة على العقل ، والعقل تابعا للسلطة ، والثانى يجعل النقل أساسا للعقل ، والعقل تابعا للنقل . ويترتب على ذلك اهدار للعقل وهو القاسم المشترك بين الناس وانكار بداهته وحده وأولوياته وهى أساس العلم وبداية المعرفة والارتكان إلى بداية أخرى أقل يقينا وذلك لأنها نصوص مكتوبة ، قد تكون صحيحة تاريخيا وقد تكون محرفة لانها نصوص مكتوبة باللغة وخاضعة فى فهمها لقواعد اللغة ومناهج التفسير وقد تكون مكتوبة بغير لغتها الأصلية . مما يسبب ضياع المعنى الاولى المقصود للكلمات ، ويختلف فهم الناس للنصوص ، فكل لغة تحتوى على الحقيقة والمجاز ، الظاهر والمؤول ، المحكم والمتشابه . ولا يوجد نص واحد حتى ولو كان صريحا لا يختلف عليه اثنان . وهذا طبيعى

نظرا لان التفسير يعنى التعبير عن النص من خلال تجربة حية
للانسان ، يعيش في زمان معين ومكان محدد ، ولا يوجد فردان
متشابهان تماما في كل شيء . كما أن التفسير يخضع لاهدافه والغاية
منه ولأصمونه ومادته ، فقد يتم التفسير لصالح الاقلية ضد الاغلبية ،
كما قد يتم لصالح الاغلبية ضد الاقلية . وقد يظهر تفسير رأسمالى
للدين وآخر اشتراكى له ، ومن ثم كان النص تابعا للموقف الاجتماعى
ولوضع المفسر وأهدافه ، وانتمائه وولائه . وهذا ما يفسر لنا تعارض
النصوص وهو في الحقيقة اختلاف في المواقف التي تستعمل فيها
هذه النصوص . فالموقف الذي يجعل النقل ، بكل شبهاته ومخاطره
ومظناته هذه ، أساسا للعقل هو موقف اليمين حتى يلتبس الباطل
بالحق ، وتضيع حقوق الشعوب في متاهات المفسرين وتضارب وجهات
النظر ، مادام كل شيء فيه قولان ، ولا يرجع أحد لبداية الجماهير
بالتبعية للسلطة دون اعمال العقل ، والتبعية لسلطة الكتاب المقدس
هى أسرع الوسائل وأكثرها فاعلية ، تستعملها السلطة السياسية من
أجل توجيه الجماهير نحو التبعية لها . فكلاهما سلطة ، فالتبعية لسلطة
الكتاب المقدس هو بمثابة التأهيل النفسى لتبعية السلطة السياسية ،
والجماهير التي تتأهل نفسيا على التبعية ويقوم بناؤها النفسى على
التبعية تتبع أى شيء ، فأولوية النقل على العقل تحمى النظم الرجعية
من استعمال الجماهير لوسائل البحث أو السلطان أو صاحب رأس المال
أو المدير أو لها ، وتفسح المجال للسلطة السياسية لاختيار نوعية المتبوع
الذى قد يكون الله أو الامير أو الملك أو السلطان أو صاحب رأس المال
أو الرئيس .

في مقابل ذلك ، هناك موقف آخر يجعل العقل هو الاساس ،
وسلطة الكتاب تقوم على هذا الاساس تجعل للعقل الاولوية على

النقل ، وذلك لان العقل يؤدي الى اليقين ببديهياته وأوليائه ، وبراهينه واستقراراته في حين أن النقل لا يؤدي الا الى الظن بروايته وتفسيراته ومناطه « ان يتم التفسير ؟ » وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً . ولو تضافرت كل الحجج العقلية على شيء فانه يظل ظنيا ، ولا يتحول الى يقين الا بحجة عقلية . كل من يبدأ بقوله : قال الله وقال الرسول فانه لا يبغي مصلحة الناس في حين أن كل من تحدث بحديث العقل : وأعطى احصاء دقيقا للواقع فانه يدافع عن مصلحة الناس ، مستعد لمقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان . والاحصاء حجة دامغة لانه دليل الحس والمشاهدة ، وهو يقين مثل يقين العقل . وهذا هو موقف اليسار ، اذ تعتمد النظم التقدمية على المبادئ العقلية الشاملة ، وهي في نفس الوقت قوانين المجتمع ومسار التاريخ .

وقد يستغل اليمين هذا الموقف لحسابه فيعتمد على العقل لترشيد مصالح الاقلية ، لتظير توظيف رأس المال ولتبرير الوضع القائم وصور الاستغلال والاحتكار ، ولكن العقل هنا لا يكون هو العقل البسيط بل يكون هو الهوى والمصلحة أو العنصرية التي لا يؤيدها العقل أو التجربة ولكن حرص اليسار على بدهاة العقل وشموله وموضوعيته ضمان لعدم استغلال اليمين له . كما يمكن للييسار اعادة تفسير النقل لصالحه خاصة في مجتمع مؤمن بالنصوص ، ويعتمد على العقل ، ولكن النصوص يتم تفسيرها لصالح الطبقات الكادحة ، ويتم التفسير كله طبقا لحاجات العصر ومتطلبات الواقع كعامل مساعد لدليل العقل وبرهان التجربة .

ويرتبط بموضوع العقل والنقل تصورات وتطبيقات تنتج عنهما مثل موضوع الخير والشر أو كما يقال باصطلاح القدماء الحسن والقبح

وموضوع الصلاح والاصلاح ، ومسألة الغائية في الكون . وهنا نجد أيضا موقفين : الاول يجعل الخير والشر من الله وجودا وحكما بمعنى أن كل شيء في هذا العالم خيرا كان أم شرا من فعل الله وليس من وضع البشر ، وان الحكم على ذلك بأنه خير ، وعلى ذلك بأنه شر يأتي من الله أيضا بأوامره ونواهيه ، فالشيء خير لان الله أمر به وشر لان الله نهى عنه . وكل شيء في هذا العالم بخيره وشره لا يخضع لقانون ، ولا يبغي مصلحة ولا يهدف الى غاية بل من فعل الله حيث لا تعطيل لافعاله بمصالح العباد ، ولا تبرير لها برعاية الصلاح والاصلاح . وهذا هو اليمين في الفكر الديني ، ويتحول ذلك في السياسة الى أيديولوجية اليمين الرجعي الذي يجعل من الخير والشر وضعين كونييين لا حيلة للانسان فيهما حتى يمكن تبرئة النظام الرأسمالي من الشرور والآثام ، وجعل الفقر والاستغلال وضعين طبيعيين في الكون لا غرابة فيهما ، ولا تجوز الثورة عليهما ، ولا يوجد نظام يرعى مصلحة الناس اذ لا يوجد صلاح أو أصلح بل توجد أوضاع لا عقلية لا يمكن غزوها : كما أن الكون لا الناس هو المسؤول عن الشر . أما الناس فانه يمكن السيطرة عليهم وابعادهم عن التساؤل وفهم الاسباب وربط العلة بالمعلول .

وفي مقابل ذلك ، هناك اتجاه آخر يجعل الخير والشر وضعين اجتماعيين من صنع الانسان ، نتيجة لفعل داخلي في العالم وليس نتيجة لفعل خاص خارجي عن العالم وان الانسان هو المسؤول عن ذلك ، والانسان هو واضع النظام الاجتماعي ، ومن ثم هناك ذنب وادانة وليس حكما ببراءة العالم ومسؤولية الله ، بل حكم بمسؤولية الانسان وبراءة الله . ومن ثم كان واجب الانسان وقضيته الأساسية هي في تغيير الشر الى خير ، وفي درء الشرور واستجلاب الخير ، وبالتالي تتحرك الجماهير وتتحزب ، وتمارس حقها السياسي وتتحمل مسؤوليتها

القومية • وهذا العالم يهدف الى رعاية الصلاح والاصلاح ، فالاصلاح أن يشارك العامل في رأس المال والاصلاح أن تكون الارض لمن يفلحها ، والاصلاح الملكية العامة لوسائل الانتاج ، وبالتالي يمكن تغيير المجتمع ، ونقله من وضع حسن الى وضع أحسن ، ومن نظام صالح الى نظام أصح • كما أن هذا العالم يسير وفقا لغاية ، يمكن الانسان ادراكها والسيطرة عليها لصالحه ، فهو عالم غائى لا صفة فيه ، ولا تحدث فيه وقائع خبط عشواء • وهذا هو موقف اليسار •

تدخل الموضوعات الاربعة الماضية ، الذات والصفات ، والافعال بشقيها « خلق الافعال ، والعقل والنقل » ضمن الالهيات التى تشمل نظريتى التوحيد والعدل أو ضمن العقليات وهى الامور التى يمكن الوصول فيها الى يقين عقلى والتى تعتمد على برهان العقل بالاضافة الى برهان النقل والتى يكفر فيها منكروها أعنى وجود الله ووجود الانسان من حيث هو ارادة حرة وعقل مستقل قادر على التمييز بين الخطأ والصواب • أما الموضوعات الاربعة التالية : النبوة ، والمعاد ، والاسماء والاحكام ، والامامة فانها تدخل فى نطاق السمعيات التى لا يمكن الوصول فيها الى يقين عقلى والتى لا يعتمد فيها الا على النقل وحده ، ومن ثم فهى ظنية لا يكفر منكروها •

وهنا أيضا يبدو موقفان : الاول موقف اليمين الدينى الذى يحاول الجمع بين المجموعتين فيرد العقليات « الالهيات » الى السمعيات ، هادما الاسباس العقلى اليقيني الذى تعتهد عليه ظاننا أنه بذلك يدافع عن عقائد الدين وهو فى الحقيقة يزايد فيه • ولا يدري أنه بارجاع العقليات الى السمعيات انما يرجع اليقين الى الظن ، هادما ما بناه القدماء • ثم يجعل اليمين الدينى السمعيات كلها التى شملت كل شيء

تقريباً يقينيات يكفر منكروها أو المختلفون في تفسيرها ، وهو بهذا يساوى الله ، وهو اليقين بأمر المعاد وهي الظنيات مزايده في الدين ، ومغالاة فيه ، وتتطعا لا يرضاه المتدينون ولا العقلاء على حد سواء . هذا هو موقف اليمين اذ تحاول النظم اليمينية الرجعية ارجاع كل المسائل الى الدين ، وترى في معاناة الشعب ومآسيه غضب الله وانتقامه ، وتقسم الناس الى مؤمنين وكفار ، وتخلط بين الاله والاقول أهمية حتى يظل سيف الدين دائماً مسلطاً على الرقاب ، فيخشى الناس الحركة اما لفهم الامور النظرية أو للتحرك العملى من أجل المطالبة بالحقوق .

وفي مقابل ذلك ، هناك اتجاه آخر يحاول توسيع نطاق العقلية ومدىها حتى يشمل اليقين الظن ويحتويه من أجل الحصول على اليقين أيضاً في السمعية حتى يطمئن الناس الى مسائل النبوة والمعاد وحتى يعاموا حقيقة الايمان وواجبات الحاكم وشروطه . وهي موضوعات مهمة للغاية في عصر نرى الفصل فيه بين الايمان والعمل ، ونرى حيرة الناس فيه وشقاءهم في نظمهم السياسية الحالية ، وتسألهم عن السلطة السياسية ومدى شرعيتها في البلاد . وهذا هو موقف اليسار ، اذ تحرص النظم السياسية التقدمية على ابراز أهمية العمل ، وأولويته على المنظر ، كما تحرص على ابراز المشكلة السياسية وكيف انها هي مفتاح المشاكل الاخرى ، فالاولويات في التخطيط قرار سياسى وليس اقتصاديا ، ومحو الامة قرار سياسى وليس مجرد امكانيات مادية .

٧ — ولما كان كل دين يقوم على وحى وكل وحى يوحى الى نبى كان موضوع النبوة هو الموضوع الخافس في علم أصول الدين القديم بعقليته وسمعيته ، وأول موضوعاته السمعية . وهنا يبدو موقفان : الاول يجعل النبوة ضرورية ، وانه لا قوام لحياة الناس دون نبوة ،

وان الانسان قاصر عقلا عن ادراك مصالحه ، وعاجزا واقعا عن توجيه
أمره ، ومن ثم فهو يحتاج الى وصايا من الخارج ، والا ظل كالحيوان
يذوق وينطق أو أضل سبيلا • ودليل صدق النبوة دليل خارجي هو
المعجزة بمعناها التقليدي أي خرق قوانين الطبيعة ، وقلب الحجر
ذهبا والعصى ثعبانا • وهذا هو موقف اليمين ، اذ تقوم النظم اليمينية
الرجعية بتدعيم هذا الاتجاه ، وتقوم عليه لان الانسان فيها قاصر عن
ادراك مصالحه ، ومحتاج الى توجيه ووصاية من الحاكم أو من المدير
أو من الرئيس أو من الشيخ ••• ومن ثم يصبح الانسان آلة طيعة
في يد قوى تسيره كيف تشاء ، ولا ضامن لها ولا مراجع أو رقيب
عليها • وكما يقوم النبي بالمعجزات يقوم الزعيم السياسي أو صاحب
رأس المال بمعجزات مشابهة ، يهزم الزعيم العدو في ساعات ، ويحل
المؤسسات ويعقدها في غمضة عين ، فتثق في أقواله الجماهير ، وتعطيه
الثقة كل الثقة ، ويشيد صاحب رأس المال المصنع في أسابيع ، يضاعف
الربح في ساعات ، ويسيطر على السوق في دقائق ، ويقلل الحكومات
ويؤلفها في ثوان •

وفي مقابل ذلك ، هناك اتجاه آخر يرفض كل أشكال الوصايا على
الانسان ، ويجعله مستقلا قادرا لا يحتاج الى عون خارجي نظري أو
عملي ، ويضع الانسان في تطور التاريخ • كان الانسان قبل آخر مرحلة
من مراحل الوحي قاصرا عن ادراك الامور النظرية ، وعاجزا عن تحقيق
مطالبه العملية ، ومن ثم كان ظهور الانبياء ضرورة حتمية تحتها ظروف
العصر في مراحل التاريخ السابقة ، وكانت الانبياء تظهر في كل عصر ،
وكان لكل قوم نبي ، وكل نبي يدفع بالتقدم الانساني خطوة الى الامام
ثم يتلوها نبي آخر يدفع التقدم خطوة أخرى حتى اذا ما تحقق استقلال

الانسان وكماله من الناحيتين النظرية والعملية ، وأصبح قادرا على ادراك الامور بعقله ، وتحقيقها بعمله ، توقف ظهور الانبياء ، وأصبحت النبوة غير ضرورية . كانت ضرورية في الماضي وأصبحت غير ضرورية في الحاضر بدليل توقفها في المستقبل . والدليل على صدق النبوة ليس خرقا لقوانين الطبيعة ، فقوانين الطبيعة ثابتة وهطردة حتى تستقيم أحوال الناس ، ويثقون بالعالم الذي يعيشون فيه بل هو دايلا داخلي محض . وذلك عن طريق التصديق بالوحي ، وايجاد البراهين العقلية والحسية على صدق محتواه ، وفاعلية مضمونه ، وأثره في اصلاح أحوال الناس ، وتدبير أمور معاشهم ، وهذا هو موقف اليسار ، اذ لا تحاول النظم التقدمية فرض أية وصايا على الانسان أو أن تعتبر الجماهير قاصرة عن ادراك حقوقها بل على العكس من ذلك يتعلم الانسان من الجماهير ، ويتخلص من وصايا التعليم الحضري وأفكاره المسبقة . فلا ضمان الا الشعب ، ولا مراجع الا المؤسسات الديمقراطية، ولا حارس الا الحزب ، عصب الجماعة .

والحقيقة ان اليمين يؤمن بهذا الاستقلال للانسان في عقله و ارادته ولكنه يستغله لصالح الحاكم أو لصالح صاحب رأس المال أو لصالح الاقلية المسيطرة أما فيما يتعلق بالعامّة أو ما يطلق عليه اليمين ادهماء أو الغوغاء فتفرض الوصايا عليهم ، وما أسول فرض الوصايا باسم الانبياء ! ولكن يستحيل على اليسار أن يعيد تفسير موقف اليمين لصالحه لان فرض الوصايا النظرية والعملية على الناس موقف فاضح لا يمكن اعادة بناءه ، اللهم الا من التأكيد على أهمية الايديولوجية للناس ، فالدين بقاموس العصر السياسي هو الايديولوجية ، والانسان بلا أيديولوجية انسان مائت ، ولكن الايديولوجية ليست وصايا مفروضة على الانسان بل هي تعبير نظري عن واقعه ، وتنظير مباشر لاحتياجاته ،

وتحقيق على مستوى الفكر لمتطلباته : وتخطيط دقيق لكيفية الممارسة ، وتحقيق هذه المتطلبات بالفعل ، أو أن تكون الوصايا من القواعد الجماهيرية على قياداتها وبالتالي تأخذ معنى الرقابة والمراجعة .

٨ — وإذا كانت النبوة تتناول ماضى الانسان على الاقل فان موضوع المعاد قد يكون هو الموضوع الاساسى فى السمعيات ، فلا يوجد دين الا ويتناول موضوع الاخرويات اجابة على سؤال : ماذا يحدث للانسان بعد الموت ؟ أو سؤال : ماذا آمل ؟ وهنا يبدو موقفان : الاول ، يجعل الله هو الذى يميت وان الموت حادث بقضاء الله وقدره ، وواقع بفعل الله وليس بفعل الامراض وحوادث الطريق أو الاغتيالات . والموت يفترض قسمة الانسان الى قسمين : بدن ونفس ، الاول فان ، زائل ، لا قيمة له ، يتحلل الى تراب ، والثانى باق ، خالد ، تتم به الترقية ، وينتظر الحساب . وتبدأ الرحلة بعذاب القبر ونعيمه ، ولا ندري هل يتم ذلك بالبدن الذى يتحلل أم بالروح التى صعدت الى بارئها ؟ ثم تبدو وقائع الحساب ، واثبات الجنة والنار ، كواقعتين حسييتين ، مع اثبات الميزان والصراط ، والحوض ، وناكر ونكير ، وعلامات الساعة من انشقاق القمر وشروق الشمس من مغربها وغروبها من مشرقها ويأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة ، والمسيح الدجال . فاذا تم الحساب فانه يحدث طبقا لارادة القاضى الذى لا يخضع لقانون العدل بل بناء على رحمته ، قد يعفو عن المسىء ، وقد يعاقب المحسن ، ولا راد لقراره . فاذا تم الثواب فانه يحدث طبقا لاعمال الفرد ، وينال الفرد ثوابه ، وتتفاوت الجنة فى الدرجات ويعيش كل انسان فردا ، كل حسب درجته فى الثواب ، فهناك منازل وقصور تتفاوت فيما بينها فى العظمة والثراء . وهذا هو موقف اليمين المادى ، اذ تعتمد النظم اليمينية الرجعية على أمور المعاد لترغيب الناس فى

مستقبل ليس لهم في الحاضر ، وتمنيهم بعالم من الرفاهية ورعد
الأيّش حرموا منه في هذا العالم ، فيجد المحرومون تصويضا نفسيا
مما حرموا منه ويتشوقون الى ما لم ينالوه ، وبالتالي تطمئن النظم
السياسية الى وضعها الحالي ، والى استكانة الناس ، والى رضاهم
بالوعود المستقبلية مادامت ان تتحقق في هذا العالم . فيستغل صاحب
رأس المال ويحتكر ويسيطر ، وهو مطمئن البال الى استتباب الامن
وانتظار الناس اليوم الموعود !

وفي مقابل ذلك ، هناك موقف آخر ، يجعل الموت واقعا بأسبابه
المباشرة مثل الامراض ، وحوادث الطريق ، والاغتيالات ، والحروب ،
وبتغيير الواقع تقل أسباب الموت ويحيا الانسان ، فالواقع يمكن تغييره
الى واقع أفضل ، والموت يمكن الاقلال من نسبته بالقضاء على
الامراض ، وتنظيم المرور ، ونشر السلام الداخلى والخارجى . أما
الانسان وحده فانه وحدة لا انفصام لها لا يهم تسميته بدنا أم نفسا
أم جسما أم شعورا أم حياة أم روحا . بل ان بقاء البدن لا جدى على
الانسان المتخلف من بقاء النفس ، فالبدن هو الذى يميت النفس ويقضى
عليها ، والانسان يموت بسبب مرض بدنه ، وفقر بدنه ، واهمال
بدنه ، وحشر بدنه ، وتحويله الى شىء طبيعى . وكيف يكون البدن فانيا
ونثبت أن النفس لا تقنى ؟ أما ماذا يحدث بعد الموت فان كل ذلك
تصوير فنى ومجاز عن عالم الامل الذى يعيشه الانسان ، ثقة منه في
عالم أفضل من أجل تغيير هذا العالم وليس من أجل تثبيت النظم
القائمة تغويضا عن حرمان . وان المسىء سينال عقابه ، وان المحسن
سينال ثوابه ، وان العمل وحده هو مصدر القيمة . قيمة الانسان ،
وأن اللغة بمجازها أقدر على تصوير المعانى وايقالها لاكبر قدر ممكن
من الناس بصرف النظر عن مستويات تعليمهم ودرجات ثقافتهم ،

والتأثير في نفوسهم من أجل توجيه السلوك • وسيتم الحساب طبقاً لقانون العدل ، كل حسب عمله وليس طبقاً لقانون الرحمة وتبعاً لارادة القاضي ، فالمسئء لابد وأن ينال عقابه ، والمحسن لابد وأن ينال جزاءه • ولا يعنى ذلك بالضرورة وجود درجات في النعيم ، ومنازل صغيرة ، وقصور شامخة ، بل قد يأتى الخلود للعمل وللجماعة من خلال آثار الانسان وصفته الحميدة على الارض ، وذكراء الطيبة التى يتركها في نفوس الآخرين • وهذا هو موقف اليسار ، لذلك نجد الحركات الثورية حركات مستقبلية تؤمن بأن الخلاص لابد وآت في النهاية • وفرق بين أن يستغل اليمين هذا البعد الانسانى ، وهذا الشوق للامل ، والتطلع الى عالم أفضل من أجل تخدير الناس ، ووعدهم بسراب وبين تحقيق اليسار لهذا الامل بالفعل ، في حياة الناس ، وفي هذا العالم •

٩ — ولما كانت الاخرويات تعنى أن العمل وحده هو مصدر القيمة فان موضوع الاسماء والاحكام يصبح أصلاً من أصول الدين ، وتعنى الاسماء والاحكام معانى الاسلام والايمان ، وأحكام الكفر والفسوق والنفاق • ويكن السؤال : ما الصلة بين الايمان والعمل ؟ وهنا يبدو موقفان : الاول يجعل الايمان مجرد الشعور الباطنى وهو ايمان عامة الناس الذى لا يتحول الى فكر أو الى قول أو الى عمل ، أو يجعله ايمان الشعور الباطنى من حيث هو فكر ، وهو ايمان المثقفين الذى لا يتحول الى قول أو الى عمل ، أو يجعل الايمان مجرد القول والنطق بالشهادتين ولا ندري ماذا وراءهما من شعور أو فكر وماذا يتلوها من عمل وهو ايمان المنافقين • ويكتفى هذا الموقف بانصاف الحلول ، فالشعور الباطنى كاف ، والايمان العقلى كاف ، والقول كاف ، والمطالبة بالعزيمة شئ بعيد المنال ، ويكفى في ذلك الرخصة ! وهذا هو موقف

اليمن ، فالنظم الرجعية لا تطلب من الناس أكثر من شعورهم الباطنى حتى تأمن ألسنتهم وأفعالهم لانهم اذا تحدثوا فضحوا ، ودافعوا عن حقوقهم ، واذا عملوا ثاروا ضد الظلم الواقع عليهم ، ولا تطلب من المثقفين أكثر من الايمان العقلى ، وهو نوع من الترف الفكرى تأمن به هذه النظم ثورة المثقفين اذا ما هم تحدثوا وعبروا عن فكرهم ، واذا هم عملوا على قيادة الجماهير المضطهدة . لا تطلب هذه النظم بأكثر من التلفظ بالشهادتين حتى يظن الناس انهم مؤمنون بمجرد القول خاصة اذا كان قولا فارغا بلا مضمون . ويصبح النفاق الدينى هو أسلوب الممارسة فى النظم اليمينية الرجعية ويصبح الاستغلال هو الاساس . فتقام الشعائر الدينية من أجل التعمية والتغطية على ما يدور فى الواقع ، والتستر على ما يحدث فى حياة الناس .

وفى مقابل ذلك ، هناك موقف آخر يجعل الايمان والعمل وحدة واحدة لا انفصام لها ، وأن من لا عمل له لا ايمان له ، وأن الايمان الذى لا يتحقق فى صورة أعمال لا يكون له وجود ، فالعمل هو جوهر الايمان . ولا توجد أنصاف حلول ، فالايمان بلا عقل لا وجود له ، والايمان بلا شعور داخلى أو تصديق عقلى أيضا مجرد عاطفة هوجاء ، والايمان بلا قول تجهز بالحق ايمان ذليل مهان . وهذا هو موقف اليسار ، اذ تعطى النظم التقدمية الاولوية للعمل على النظر ، وتتنقد المثقفين الذين يكتفون بالتصديق العقلى دون ممارسة فعلية ، وتجنّد الجماهير من أجل المطالبة بحقوقها قولا وعملا . ومعروف عن هذه النظم أنها من أنصار الحلول الجذرية فى السياسة ، ولا ترضى أنصاف الحلول أو المساومة على حقوق الطبقات الكادحة أو الموالاة للطبقات المستغلة .

وقد يحاول اليمين استغلال موقف اليسار الجذرى ولكنه يقصره

على صاحب رأس المال أو على الحاكم وحده ، فلاقلية السيطرة وحدها أن تنفذ وعيدها وأن تعمل بما تقول ، وتنفذ ما تقرر في سيطرتها على الطبقات الكادحة ، وتحكمها في أرزاقها . ويمكن لليasar أيضا إعادة تفسير موقف اليمين لصالحه في بداية الثورة ، والناس لم تتعود بعد عليها وعلى متطلباتها ، فالمتعاطف مع الثورة مقبول ، والذي يؤيدها بفكره يساهم ، والذي يدافع عنها بالقول يشارك وينصر ، والذي يضع فيها عقله وقلبه وقوله وعمله هو الناصر المناضل حقا . فتبعاً لمراحل التحقيق الثوري يمكن مطالبة الجماهير بالتزامها على قدر طاقاتها الثورية حتى تنتصر الثورة . حينئذ لا يطلب بأقل من وحدة الداخل والخارج ، وهي وحدة الشعور والفكر مع القول والعمل .

١٠ - وبعد العمل الفردي يأتي العمل الجماعي ، ويظهر موضوع السياسة كآخر موضوع تقليدي في علم أصول الدين القديم . ويظهر موقفان : الاول موقف اليمين الذي يجعل السياسة ملحقاً لعلم أصول الدين ، وليست أصلاً من أصوله كالتوحيد والعدل ، فهي أقرب إلى الفقه والتشريعة منها إلى أصول العقائد النظرية ، مما يهبط حماس الناس السياسي لما كانت السياسة فرعاً لا أصلاً ، وكأن الدين هو العقائد ، والعقائد لا شأن لها بحياة الناس وصلبها في السياسة . فمادام الناس قد آمنوا فلا تهم نظمها السياسية ، فقد خلق الله الجن والانس لعبادته وليس لأقامة شريعته ، وهو الموقف إلى يجهد الدين ، ويحضره في العبادة ، ويستل السياسة من الممارسة اليومية للمؤمنين ، فقد لعن الله ساس ويسوس ! وهذا يسمح للنظم اليمينية الرجعية أن تفعل ما تشاء ، تصول وتجول ، فهذا ليس من اختصاص الله ولا من حق المؤمنين !

وهو أيضا الموقف الذي يجعل المشكلة السياسية كلها مركزة حول شخص الامام أو الزعيم ، خصاله وصفاته ، فضائله ومحامده ، آثاره ومناقبه اذا صلح الراعى صلحت الرعية ، واذا حضر الامام حضر المأمومون . أما المؤسسات الدستورية مثل بيت المال ، والخراج ، والحسبة ، والقضاة ، والولاية ، وحق الشعب في الرقابة فلا يدخل ذلك كله في موضوع السياسة ، فقد انحصرت السياسة في شخص الامام كما تنحصر العبادة في ذات الله ، وكما ينحصر الدين في الايمان بالله . وكما قال الفارابي من قبل سواء كنت أذكر الله أو الرئيس فأننى أعنى شيئا واحدا ! وتقوم النظم اليمينية الرجعية باستغلال ذلك أحسن استغلال فتؤله الزعماء ، وتذكر محامدهم ، وتتشدد لهم ، ويرقص ممثلو الشعب طربا ومرحا ، يحمدون الله على سلامة الزعيم حتى ولو انهارت البلاد ، واحتلت أراضيها ، وانتهكت سيادتها ، وطعن شرفها .

وهو الموقف أيضا الذي يجعل الامام من قبيلة معينة وليس بناء على التزامه بمبادئ سياسية أو ببرنامج اجتماعى وكأن الانتساب العرقى أو السلالة الوراثية تشجب الالتزام والتعهد بالبرنامج . لذلك كانت النظم الملكية والوراثية أقرب الى النظم اليمينية من النظم الجمهورية والشعبية .

وهو الموقف الذي يجعل الحاكم بالتعيين وليس بالانتخاب ، ويكون دور الجماهير التبعية والولاء ، والسمع والطاعة ، فالحاكم لا يخطئ ولا يضل ، لانه حاكم بأمر الله عصمه من الخطأ ووقاه من الزلل ، فتسلم الجماهير له أمرها كى يقودها الى بر الامان !

وهو الموقف الذى يعد الناس بالنصر فى المستقبل وتحمل آلام الحاضر ، وان القائد لابد وانه آت وان اختفى اليوم خوفا على نفسه فى وقت لم تختمر فيه الثورة بعد وتنتظر الجماهير جيلا بعد جيل ، وتحمل آلامها عصرا بعد عصر والقائد لم يظهر بعد !

وفى مقابل ذلك كله ، هناك موقف آخر يجعل من السياسة أصلا لا فرعا ، وانها هى الحقيقة لاصول الدين ، وان الله والشعب صنوان ، فصوت الله هو صوت الشعب ، وانه لا يمكن تصور الله بدون أمة ، وخلافتها له . ويكون التوحيد حينئذ هو التوحيد بين النظام الانسانى والنظام الالهى فى حاكمية الله من خلال الدستور ، وعدم الرضا بهذا الفصم بين شريعة الارض وشريعة السماء . لذلك تحاول النظم التقدمية بقدر وسعها تحقيق نظام عادل تذوب فيه الفوارق بين الطبقات ، وتقوم على الملكية العامة لوسائل الانتاج منعا للاستغلال وللاحتكار ، وتضع أهدافها ، وبرامج تنميتها محاولة تحقيقها ، والوصول اليها .

وهو الموقف الذى يجعل الفكر السياسى يدور حول بناء المؤسسات الدستورية ، واعلان استقلالها . ومن ثم ، كانت النظم التقدمية ضد عبادة الاشخاص ، الزعماء ترحل ، والشعوب تبقى . والمؤسسات القوية لا يستطيع أى حاكم افسادها . بل انها قادرة على عزل الحكام والولاة ، فصلاح الراعى بصلاح الرعية .

وهو الموقف الذى يجعل ولاء الحاكم للمبادئ ، والتمسك بالدستور بصرف النظر عن انتسابه الطبقي أو نسبه القبلى ، فلا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى . الحكم للمبادئ ، لا للاشخاص ، وما الاشخاص الا ممثلة لسلطة تنفيذية خالصة لا تشريعية ولا قضائية .

وهو الموقف الذى يجعل الحناكم بالانتخاب المباشر أو غير المباشر ، من أهل الطل والعقد والذى يرفض كل مظاهر التعيين سلما أو قوة ، بقرارات أو انقلابات • لذلك كانت النظم التقدمية ديمقراطية بطبيعتها ، يمارس فيها الشعب حقوقه •

وأخيرا هو الموقف الذى يحقق الاستقلال الوطنى ، والعدالة الاجتماعية الآن دون انتظار لظهور المخلص فى المستقبل • اذ يستطيع الشعب بعد تجنيد قواه ، وبقيادة طلائعه أخذ حقوقه من الغاصبين ، سواء من الخارج أو فى الداخل • فالثورة ممكنة فى الحاضر ، والجماهير هى صانعتها ، ولها الحق فى مراجعة القادة ومحاكمتهم وعزلهم ، فهم مخطئون ولا عصمة لاحد • وهذا هو موقف اليسار •

وقد يستغل اليمين موقف اليسار من أجل تقليب الطبقات بعضها ضد البعض الآخر ، وضرب طبقات الشعب بعضها بالبعض حتى تتم لها السيطرة على الجميع ، ولكن اليسار بأسلوبه فى إقامة الوحدة الوطنية يمكنه الوقوف أمام انتهاكات اليمين • كما يمكن لليسار إعادة تفسير موقف اليمين خاصة اذا كان الشعب متطلعا الى شخصية زعامية قيادية تثق فيها الجماهير ، ولكن درءا للاخطار يمكن تأسيس القواعد الشعبية للمراجعة ، والتأكيد على الاسلوب الديمقراطى فى الممارسة •

١١ — وبعد العمل الجماعى يأتى العمل التاريخى أى العمل الجماعى عندما يتراكم على مر الزمان ، ويعبر عن وجود الجماعة فى التاريخ • وهنا يبدو أيضا موقفان : الاول موقف اليمين الذى يقف عند حد العمل الجماعى دون تناول موضوع الامة فى التاريخ ، وبالتالي يسقط التاريخ من حسابه • ولذلك تعمل النظم اليمينية الرجعية على

طمس معالم التاريخ ، وعلى ابعاد الشعب عن مساره ، والى اتهام كل الحركات الوطنية في التاريخ بأنها قلائل ومشاغبات ، واضطرابات في الامن العام ، وخروج على النظام . واذا تناول البعض فانه يحكم على التاريخ بأنه يسير في خط منهار نحو المستقبل ، وأن قمة التاريخ موجودة في الماضي « خير القرون قرنى ... » ، وكلما تقدم التاريخ انهار التاريخ حتى نصل الى عصرنا الحاضر ، يكون تقدم التاريخ قد أصبح انهيارا تاما ، وسقوطا شاملا « جاء الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ... » ، فالتقدم الحقيقي هو رجوع الى الوراء ، واللاحق بالعصر الذهبي الذي ولى وفات ، عصر النبوة والصحابة والخلفاء . ولذلك تشى النظم اليمينية الرجعية على عصور الابطارة العظام ، والملكيات الغابرة ، حين شيدت القصور ، وأقيمت المتاحف الفنية ، وشقت الطرق والقنوات ، وازدهرت الفنون والآداب .

وهو الموقف الذى لا تهمة وحده الامة بقدر ما يمهه الاعلان عن الفرفة الناجية وتكفير الفرق الضالة ، والناجية واحدة ، والضالة مجموع الامة ! والناجية هى الوريث الشرعى للخلافة التى بدورها الوريث الشرعى للنبوة . وبالتالي يتهم كل من يخرج على الصراط بالكفر والفسوق والعصيان . غاذا انتقلنا الى السياسة نجد أن هذا الموقف يجعل تاريخ الامة تاريخا واحدا ، تاريخ الملكية أو تاريخ الاسر الحاكمة ، وليس تاريخ الشعوب الضالة المتمزقة الفقيرة الجاهلة ، وحيث سيتحدد الولاء بالطاعة للامراء أو للنبلأ أو للملوك أو للاباطرة .

وفى مقابل ذلك ، هناك موقف آخر ، هو موقف اليسار ، يجعل التاريخ جزءا لا يتجزأ من كيان الفرد والجماعة ، ولذلك كان اليسار نظرة تاريخية للسياسة أو تحليلا للاجتماع أو جدلا تاريخيا للصراع .

وكلما وعى الشعب فى أى مرحلة من التاريخ هو يعيش ازداد التحامه بالثورة ، وازداد حماسه لها • وقد تكون من مآسينا الحالية أننا لا نعرف فى أى مرحلة من التاريخ نحن نعيش ، لذلك تعثرت ثوراتنا •

والتاريخ لا يسير الى الوراء بل هو حركة تقدم نحو المستقبل ، فالمستقبل يحتوى على امكانيات ازدهار أكثر مما احتوى الماضى ، وكل جيل يدفع التقدم خطوة الى الامام حتى ولو كانت فى ظاهرها نكوصا وتراجعا ، فمرحلة النكوص تلوها مرحلة مضاعفة للتقدم ، لذلك تجب مراحل الثورات عشرات المراحل قبلها بدا فيها المجتمع ساكنا واقفا جامدا • يمكن اعتبار الابطال فى التاريخ القومى والاستشهاد بقصص البطولة خوافز وبواعث لتحريك الشعوب وليس مقياسا للتقدم يتم بالرجوع الى الوراء • لقد أصبح التقدم وصفا لمعظم النظم اليسارية ، وعنوانا للحركات الثورية ، وشعارا للاهزأب المناضلة •

وهو الموقف الذى لا يعتبر هناك وراثه شرعية لفرقة على حساب الفرق الاخرى ، أو لحزب على حساب الاحزاب الاخرى ، أو لاسرة أو لقبيلة على حساب باقى الاسر والقبائل • فالامة كلها وحدة واحدة تفرز مناضليها أيا كانوا ، وتجمع فرقها واتجاهاتها كلها وحدة وطنية فى صورة تجمع أو جبهة ، غلا يكفر فريق فريقا ، ولا يتهم حزب حزبا آخر بالفسوق أو العصيان ، ويكون محك التجمع هو الرصيد الوطنى لكل حزب ، وليس مجرد الشعار أو الاصول النظرية التى قام عليها •

١٢ — هل تنتهى الى هذا الحد موضوعات علم أصول الدين كما ورثناه من القدماء ، ولا نزيد عليها شيئا أم أنه بالامكان زيادة جديدة مستقاة من أحوال العصر ؟ وهنا أيضا موقفان : الاول يريد الاقتصار

على ما قاله القدماء ، والاكتفاء به ، فقد أوفى القدماء كل شيء ، ولم يتركوا صغيرة أو كبيرة إلا وتناولوها ، ولم يتركوا لنا إلا الشروح والملاحظات أو حصر العقائد وتقنينها في خمسين ، وهو الموقف أيضا الذي يجعل علم العقائد قائما بذاته مستقلا لا شأن له بأحوال الناس وبظروف العصر . فالله موجود ، ليس له مضمون اجتماعي ، بل مجرد حكم صوري خالص على وجود الله ، وهذا هو موقف اليمين . فاذا انتقلنا الى النظم السياسية وجدنا أيضا أن النظم اليمينية ترى أن الوضع القائم هو أفضل الاوضاع ، وأنه ليس في الامكان أبدع مما كان ، وأن النظام قد وصل الى حد الكمال لا تجوز عليه زيادة أو نقصان ، تختص العقائد بالحياة الدينية ، والنظام الرأسمالي بالامور الدنيوية ، ويعيش الانسان حياتين ، حياة في مصنعه أو متجره أو شركته يعمل بما يشاء طبقا للنظام الرأسمالي ، وحياة دينية في معبده يقيم الصلاة في أوقاتها ويمارس الشعائر .

وفي مقابل ذلك ، هناك موقف آخر يجعل علم أصول الدين متطورا ، فالعقائد ليست أحكاما صورية بل ذات مضمون اجتماعي من وحي العصر . فالله الآن مرتبط بالارض اذا أردنا تحريرها ، الله قيمة ، والارض مطلب ، ومن ثم يعاد تفسير القيم طبقا للمطالب . والله مرتبط بالثورة ، فالله باعث ، والثورة ضرورة ، ومن ثم يعاد توجيه الباحث لتحقيق هذه الضرورة . والله غاية ، والتنمية هدف ، ومن ثم يعاد تفسير الغاية بحيث تخدم هدف التنمية وهكذا . وهذا هو موقف اليسار . وقد حاول تأسيسه مصلحونا الاجتماعيون وعلى رأسهم الافغانى ، واقبال ، والكواكبي ، والسنوسى ، والمهدى ، ومحمد ابن عبد الوهاب ، وغيرهم من ممثلى حركات الاصلاح الحديثة . فقد حاول الافغانى ربط الله بالارض من أجل إجلاء المستعمرين عن أراضى

المسلمين ومن أجل تحرير الفلاحين من رقبة الاقطاع « عجبت لك أيها الفلاح ، تشق الارض بفأسك ، ولا تشق قلب ظالمك ؟ » • وقد حاول المهدي أيضا ربط الدين بالثورة من أجل الدفاع عن البلاد ضد غزوات المستعمرين ، كما حاول السنوسي أيضا ربط الدين بالمقاومة من أجل طرد الغزاة الاجانب ، كما حاول محمد بن عبد الوهاب توجيه العقائد الى اصلاح الاجتماعى ، ومحاربة مفسد العصر من شفاعة ووساطة ، وشعوذة وكهانة • كما حاول الكواكبي ربط الدين بالالتزام ، ومحاربة اللامبالاة والفتور الذى وقع فيه المسلمون ، كما حاول الربط بين الدين والتحرر من أجل القضاء على مظاهر الاستعباد فى حياتنا المعاصرة • وحاول قاسم أمين الربط بين الدين ومساواة الرجل بالمرأة من أجل استرداد المرأة لحقوقها التى تخلت عنها فى عصور الجهل والانقياد ، كما حاول اقبال الربط بين الله والذاتية من أجل اعادة تكوين الفرد المسلم ضد التقاليد ، وابرار جوانب الاصاله والابداع فى مواجهة الغرب بماديته وانحلاله — ومن ثم يمكن اضافة مادة جديدة لعلم أصول الدين تشمل لاهوت الارض ، ولاهوت الثورة ، ولاهوت التقدم ، ولاهوت التنمية ، ولاهوت التغير الاجتماعى ، ولاهوت التحرر ، ولاهوت المقاومة ... الخ ، وباختصار لاهوت السياسة فتلك مشاكل العصر التى تكون المادة الجديدة لعلم أصول الدين ، وبالتالي تمحى التفرقة التقليدية بين العقيدة والشريعة أو بين أصول الدين وأصول الفقه •

ان مهمتنا الآن هى تطوير فكرنا الاصلاحى الحديث ، ودفعه خطوة نحو الامام ، فاختيار مصر بظروفها الحالية وفى مرحلتها الراهنة هو اختيار اليسار ، ومن ثم كان اختيارها الفكرى هو اليسار الدينى

الذى بدأ فى حركات الاصلاح على مستوى ثقافتها والتزامها بقضايا العصر • فمازالت كل القضايا التى أثارها الاصلاح الدينى لم تؤت أكلها بعد ، فاذا طورنا حركات الاصلاح الدينى ودفعناها خطوة الى الامام انتقلنا من دور الاصلاح الى دور النبضة ، شرط الثورة ، وهو ما نرجوه جميعا الآن •

وفى النهاية لا أريد أن أعطى مفتاحا وأقول أن اليمين واليسار فى الفكر الدينى قد مثلته الاشاعرة والمعتزلة فى تراثنا القديم ، والإشاعرة هم اليمين فى الفكر الدينى ، والمعتزلة هم اليسار فى الفكر الدينى ، وبالتالي تكون مأساتنا أننا بتكويننا الاشعرى يمين فى حين أننا بوضعنا الاجتماعى وبدخلنا المحدود وبأرضنا الزراعية يسار ، وبالتالي يكون اختيارنا الفكرى غير واقعنا المادى • وهنا تظهر ضرورة اعادة الاختيار الفكرى حتى يتفق الفكر مع الواقع • ولكنى أترك ذلك لاستتباط القراء وحسن بصيرتهم ، لو شاعوا فعلوا ، فتلك هى مسؤوليتهم وحدهم •

هل يمكن إقامة نهضة على أسس أشعرية ؟

لا تقام نهضة الا على أسس فكرية يعاد عليها بناء القديم والا ظل التقديم هو الاساس النظرى للنهضة الجديدة وغير قادر على أن يعطيها أسسا نظرية وبالتالي تفشل النهضة لعدم التطابق بين الموروث القديم كأساس نظرى وبين تحديات العصر التى تقوم النهضة استجابة لها .

وتقوم نهضتنا الحالية التى بدأت فواكبة للإصلاح الدينى أو بعدها بقليل على نفس الاسس التقليدية التى بنى عليها تراثنا القديم فى معظمه وهى الاسس الاشعرية التى استقرت فى الوعى التاريخى ابتداء من القرن الخامس الهجرى حتى الآن أى بدايات القرن الخامس عشر ، وبعد أن حسم الصراع بين التيارات الفكرية لحساب الاشاعرة منذ ألف عام . ولم تكن هناك محاولات فى عصرنا الحالى لتغيير هذه الاسس الا محدودة جدا وبطريق نسبى كما فعل محمد عبده عندما بقى أشعريا فى التوحيد وأصبح معتزليا فى العدل . وبالرغم من هذا التحول النسبى فى الاسس النظرية لحركة الإصلاح الدينى الا أنها

كتب هذا المقال بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ورغبة صديقنا د. انور عبد الملك فى العودة الى مصر والقيام بدوره فى نهضتها الحديثة وتأسيس مجلة للحوار الوطنى بين الاتجاهات الفكرية التأسيسية المختلفة فى مصر بعنوان « النهضة » وهو الاسم الماثور نديه فى كتاباته العديدة منذ رسالته « نهضة مصر » . وهذه هى مقدمة المقال الذى كنت أنوى كتابته فى ١٩٧٤ ولكنه لم يتم . وهذه صياغة ثمانية له تمت فى خريف ١٩٨٧ .

ظلت في مجموعها أشعرية ، وكأن استقلال الفكر وحرية الإرادة أي العدل الاعتزالي لا يبقى طويلا دون استناد إلى التوحيد الاعتزالي أي الله كمبدأ تتساوى فيه الذات والصفات . وأن هذين المبدأين إذا ما ارتكزا على التوحيد الأشعري أي الله كشخص تريد فيه الصفات على الذات . فبالرغم من أهمية تركز الحركة الإصلاحية الحديثة على استقلال العقل وحرية الاختيار إلا أنهما بقيا تحت المظلة الأشعرية . فهناك مناطق لا يستطيع العقل أن يصل إليها بمفرده ويحتاج فيها إلى وصي ، وهذا الوصي هو النبي كما يقول محمد عبده . فما زالت هناك قوى خارجية تسيطر على قوى الإنسان والطبيعة يحتاج إليها الإنسان في أوقات عجزه ، ويطيع لها الكون بتغيير مساره .

والأخطر من ذلك وفي مقابل هذا التحول النسبي أو تطعيم الأشعرية السائدة ببعض الاعتزال القديم والذي لم ينجح كثيرا ولم يستمر اتحدت الأشعرية بالتصوف وازدوجت به ، فأصبح التصوف أيضا أشعريا في أسسه ، وأصبحت الأصول الأشعرية التمهيدات الفكرية للطرق الصوفية . وسادت الأشعرية أيضا في الفقه بسيادة المذهب الشافعي دون الحنفي أو المالكي . فقد كان معظم الأشاعرة شافعية ، وكثير من الأحناف معتزلة . كما سادت الأشعرية الفلسفة الإشراقية التي تشارك الأشعرية في نفس الأسس النظرية كما هو واضح عند ابن سينا خاصة . وبالتالي أصبحت الأشعرية هي الرافد الرئيسي في ثقافتنا القومية .

ويروج بعضنا اليوم للأشعرية ، ويجعل نفسه شيخها دون مراعاة لظروف العصر وحسن الاختيار من البدائل المطروحة طبقا لمرحلتنا الحالية وظروفنا الاجتماعية أما طلبا للمشهرة والدعاية أو دفاعا عن

النفس في شخص القديم خاصة ولو كان هذا القديم هو الأساس
النفسي والثقافي الذي تقوم عليه السلطة السياسية • فهو مطلب
سياسي في صورة علمية ، وموقف مزدوج ينم عن الرغبة في السيادة
في السياسة والثقافة وفي ممارسات الطرق الصوفية •

ونظرا للفراغ النظري الذي يقبع تحت الاشعرية فانه تم
تطعيمها مؤخرا بالتصوف مرة ، وبالفقه مرة ثانية ، وبالفلسفة مرة
ثالثة • ففي التصوف أخذت الاشعرية السلطة الخارجية والارادة
المطلقة التي تسيطر على كل شيء • ومن الفقه أخذت مباحث الفقه
والاحكام وأحيانا العمليات حشوا بلا ترابط داخلي • ومن الفلسفة
أخذت مباحث الجوهر والعرض وهي المقدمة الطبيعية للالهيات أو هي
الالهيات المقلوبة • بل ان رفاة الطهطاوي مؤسس النهضة الحديثة
لم يتخل عن الاسس الاشعرية كما وضعها القدماء وعرض أفكار التنوير
اعتمادا على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، ونظر للدولة الوطنية
اعتمادا على التراث القديم ومصادره الفقهية •

ويظل السؤال : هل يمكن اقامة نهضة على أسس أشعرية ؟ هل
يمكن في نظرية العلم أن نؤسسها على أنه لا يوجد ارتباط ضروري بين
النظر والعلم وأنه مهما نظر الانسان فان العلم قد لا يتولد من النظر
بل قد يأتي من مصدر آخر في مجتمع تكثر فيه الالهامات ؟ هل يمكن
في نظرية الوجود أن نتصور أن الجواهر قد تعري عن الاعراض أو أن
الاعراض قد توجد بدون الجواهر تملقا للسلطة المطلقة ودفاعا عن
حقها على حساب قوانين الطبيعة في مجتمع تغيب فيه العلية ؟ هل يمكن
اعتبار الصفات زائدة على الذات لافساح المجال للرحمة على حساب
العدل في مجتمع في أمس الحاجة الى العدل ، والرحمة فيه أقرب الى

التحايل المقصود على القانون ؟ هل يمكن تصور الذات الالهية مشخصة دون أن تكون مبدأ علما شاملا يتساوى أمامه الجميع في مجتمع يعانى من اللامساواة والتفاوت بين الناس ؟ هل يمكن تصور العقل قاصرا في حاجة الى النقل في مجتمع يعانى من نقص استعمال العقل ؟ هل يمكن اعتبار الانسان مجبرا في أفعاله في مجتمع يئن من القهر والجبر والطغيان ؟ هل يمكن تصور الانسان مازال معتمدا في علمه وحياته على قوة خارجية في مجتمع يعانى من ترك الاعتماد على الذات ويكثر من الاعتماد على الآخر ؟ هل يمكن التركيز على حياة الانسان بعد الموت والشفاعة على حساب الدنيا وقانون الاستحقاق في مجتمع مغرق في التصوف ويعتمد على الواسطة ولا يربط بين العمل والجزاء ؟ هل يمكن جعل الايمان هو القول دون عمل في مجتمع يكثر فيه الكلام ويقل العمل ؟ هل يمكن جعل الامانة في فئة واحدة ، قريش قديما ، والضباط حديثا على حساب الصفات الفردية وفي مجتمع يرزخ تحت الشلالية والانقلابات والطائفية ؟ هل يمكن تكفير الفرق واعتبارها كلها هالكة وأن الواحدة فقط هي الناجية في مجتمع تسيطر عليه حكومات الحزب الواحد والمعارضة فيها في السجون ؟ (١) .

(١) انظر بحثنا « اليمين واليسار في الفكر الدينى » في « الدين والتربية في مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ » الجزء الثنى ، في اليسار الدينى .

الدين والرأسمالية

انه لمن أشد الامور عجبا أن تثار باستمرار قضية « الماركسية والدين » ويوميا .. في جميع أجهزة الاعلام .. وكأن الماركسية هي الخطر الداهم على ديننا ودنيانا دون أن نعلم بأن هذه الحركة المفتعلة المثارة هي في الحقيقة أثر من آثار الاستعمار الثقافي في البلاد .. هذا الاستعمار الذي أراد — حفاظا على مصالحه الاقتصادية والعسكرية

* روز اليوسف سبتمبر ١٩٧٦ ، وقد وضع رئيس التحرير عنوان :
الاسلام على الطريقة الرأسمالية !

وصدر المقال بالفقرة الآتية :

الخطايا العشر في اسلامنا اليوم مستوردة من الغرب ولصالح الرأسماليين :

١ — البحث عن الله خارج العالم .

٢ — العكوف على الغيبيلت والاسرار .

٣ — الفهم الشكلي للشعائر .

٤ — الصراع بين المادة والروح .

٥ — النزعة الاستهلاكية !

.. وخطايا أخرى في العدد القائم .

قضية اليوم في بلدنا ليست « الاسلام ام الماركسية » . وانما هي بالتحديد : الاسلام ام الرأسمالية !

فلرأسمالية هذه الموجودة في مجتمعنا وخطرها هو المثل امام اعيتنا : بدليل أن معظم تصوراتنا الاسلامية اليوم ليست من الاسلام .. وانما هي تصورات رأسمالية تسالت اليه ، واثينا ، دون أن نشعر !

وعلى السطور التالية يكشف لنا الدكتور حسن حنفي ، استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة ، هذه الحقيقة المزعجة . ويدق ناقوس الخطر ، للفين هم حقا مؤمنون :

في المنطقة ، ووقوفاً في وجه حركات التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، وتشويهها لمواقف كل من يساندونها من قوى الحرية والسلام - الترويج بأن الماركسية مضادة لتعاليم الدين ومفسدة لخال الدنيا وضياء في الآخرة ، وينضبط نفقته مدافعاً عن الدين والدنيا معا . • والحقيقة ليس المقصد هو حماية الدين فالعرب مازال يعيش صليبيته ولكن بصورة جديدة ، متعددة الاشكال ، يدافع عن الاسلام والمسلمين . • والقصد من ذلك معاداة الحركات الوطنية والقوى التقدمية والنظم الاشتراكية حتى يخلو للاستعمار الجو ، ويظل في نهبه للثروات ، وفي ايقاع البلاد في شبك الاحلاف . • وهو ما كانت النظم الرأسمالية تفعله في الغرب منذ القرن الماضي — وما زالت تروج له الكنيسة الغربية حتى اليوم دون جدوى ، أمام تقدم الاحزاب الاشتراكية ، واتساع قواعد الاحزاب الشيوعية ، وازدياد شعبيتها بين الجماهير . • وما لم تنجح النظم الرأسمالية فيه في الغرب ، تعيد الكرة الآن في البلاد النامية ، مستغلة عدم وضوح فكرها ، وعدم تبلور أيديولوجياتها وتدينها وإيمانها ، ومرورها بفترة من التخلف الحضاري . • وتبعية مثقفينا للغرب . • وتقليدهم له . •

وانه لمن أشد الامور غرابة ألا يثار قضية « الرأسمالية والدين » وهي الاخطر بالنسبة لاجتماعنا الحالي . • فاذا كنا نعنى بجدية ما نقوله باستمرار . • وما سطرناه في موائيق الثورة عشرات المرات . • وما وقّعنا عليه وأجزأناه على مدى ربع قرن أعنى « حتمية الحل الاشتراكي » تكون « الرأسمالية » حينئذ هي الخطر الداهم على حياتنا . • واذا كان واقعنا في مضر يدخله المخدود . • وكثافته السكانية يفرض الطريق الاشتراكي للتنمية . • تكون الرأسمالية هي العدو الأكبر للتنمية

والمعوق الاساسى لها • ان عدم اثاره القضية ، قضية « الرأسمالية والدين » تدل على أننا لا نرى غضاظة في أن نكون رأسماليين ومتدينين أو متدينين على الطريقة الرأسمالية •• وان الرأسمالية والدين متفقان فيما بينهما في الاهداف والوسائل • ففي الاسلام الاول كان الاغنياء يجهزون جيوش المسلمين بأموالهم •• وكان منهم كبار الصحابة والمبشون بالجنة •• فلا مانع أن يقوم أغنياء المسلمين اليوم بما قام به أغنيائهم بالامس حتى يبارك الله لهم في الرزق •• ويضاعف الاجر والثروات •• واذا كانت الرأسمالية تقوم أساسا على نشاط الفرد وحرية المطلقة ، فالدين أيضا لا ينكر على الفرد حرية ونشاطه •• والحقيقة أننا على هذا النحو نكون رأسماليين ونظن أننا متدينون •• رأسماليون في الحقيقة •• ومتدينون في المظهر •• وكثيرا ما ندافع عن الرأسمالية ونظن أننا ندافع عن الدين •• وكثيرا ما نظن أننا ندافع عن الدين •• ونحن في الحقيقة ندافع عن الرأسمالية •

وهدفنا هنا هو توضيح هذا الخلط الشعورى أو اللاشعورى بين الرأسمالية والدين في وجداننا القومى حتى يمكننا تخليص الدين مما علق به من آثار الاستعمار أعنى التصورات الرأسمالية للعالم ، وأن نفسر الدين تفسيراً يفرضه واقعنا الحالى ، فيكون ديننا هو الصورة أو القالب وواقعنا هو المضمون • وهذا واجبنا وواجب فقهاء المسلمين الذين نيط بهم الاجتهاد في الدين ، وتطبيق أحكام شريعته بدل أن نكون جميعا ضحية الاستعمار الثقافى في البلاد ، وتؤمن بالطاغوت ونظن أننا نؤمن بالله •

ومهمتنا هى تصحيح أوضاعنا الثقافية ، والكشف عن المعارك الحقيقة التى يفرضها واقعنا وتتحقق بها مصالحنا واستبدالها بالمعارك

الوهمية التي نشرها الاستعمار بيننا ابعادا لنا عن واقعنا وعن رؤية مواطن مصلحتنا الحقيقية ايهاا منه وخداعا . مهمتنا هي الوقوف أمام الاخطار الفعلية دون المتوهمة وتوضيح موقفنا الحضارى . وكثيرا ما يخطئ الغرب حساباته ، ويظن أن الاستعمار الثقافى باق الى الابد ، وأن الجماهير فى البلاد النامية ستظل راسخة فى تخلفها الحضارى ، وأن مثقفيا سيظلون الى الابد ممثلين للثقافة الغربية فى أوطانهم ، يعملون لصالح الاجنبى ، ويستغلهم الاجنبى للدفاع عن مصالحه ، واعادة حكم البلاد بطريق غير مباشر عن طريق وكلاء فى البلاد . ولكن احساسا منا بمسئولية المثقفين وهم طلائع الجماهير الشعبية ، فقد آن الاوان لتوضيح هذا الالتباس فى ثقافتنا الوطنية ونحن بصدد اقامة النهضة الحالية من أجل ترسيخ قواعد الثورة وأسسها النفسية والفكرية والقضاء على جميع معوقات التنمية والتغير الاجتماعى .

١ — تحرص النظم الرأسمالية على أن تجعل الله خارج الطبيعة ، فيما وراء العالم ، خارج الزمان والمكان ، يستحيل تصوره أو ادراكه ، ولا يمكن رؤيته أو التفكير فيه ولكن يمكن الابتغال اليه ومناجاته ، وطلب العون منه عند الحاجة . وبالتالي يتوجه شعور الجماهير الى خارج العالم ، مبتعدا عن هذا العالم ، تاركا اياه فى قبضة صاحب رأس المال بعد أن خلا له الجو من المنافسة ، وسيطر عليه واحتكره . وكلما اتجه شعور الجماهير خارج العالم ازداد احكام سيطرة صاحب رأس المال عليه . وفى ذلك يقول فلاح سودانى : كنت سعيدا فى أرضى ، أزرع حقلى ، وأرعى ماشيتى ، وفى يوم ما ، أتانى انسان متوشح بالسواد وفى يده كتاب ، وبعد مدة رحل ، فوجدت الكتاب فى يدي والارض فى يده !

فإذا تأزمت أحوال الناس ، واشتد الكرب ، وعم الفقر ، ابتهل الناس الى الله ، ودعوه لقضاء الحاجة فيفرح صاحب رأس المال ، ويتصدق ، ويفرج الهم والكرب ، ويتقضى حوائج الناس ، كالخليفة يقذف بأكياس النقود يمينا ويسارا وهو في موكبه على رافعى الايادى الى السماء ، فالله هو الواهب والعاطى ، الرازق والمنعم ، وبالتالي يتعود شعور الناس على السؤال ، وينتظرون العطاء • وهذا ما تريده النظم الرأسمالية من بناء نفسى للجماهير • ونحن عندما ندعو الغنى ، ونسأل المعطى ، ونبتهل الى الوهاب انما نكون أسرى التصورات الرأسمالية للدين ، فى حين أننا أصحاب حق ولسنا أصحاب سؤال ، وأن لنا حقا فى رأس المال نطالب به دون استجداء ، وأن لنا حقا فى الارض ولسنا طلاب هبات أو معونات •

وأحيانا نتصور الله والعالم معا فى تصور هرمى ، كلما صعدنا الى أعلى وصلنا الى كمال أكثر ونقص أقل ، وكلما نزلنا الى أسفل وصلنا الى كمال أقل ونقص أكثر ، وفى القمة يوجد الكمال المطلق الذى ليس به نقص ، وفى القاعدة يوجد النقص المطلق الذى ليس فيه كمال ، وهكذا تتفاوت الدرجات وال مراتب بين الاعلى والادنى أو بين الكمال والنقص • والحقيقة أن هذا التصور ليس من الدين فى شيء بل هو التصور الرأسمالى للعالم الذى يعبر عن البناء الطبقي للمجتمع ، والذى يرسخه النظام الرأسمالى فى نفوس الناس والذى يعتمد على الحركة الاجتماعية الصاعدة والهابطة ، فكلما صعدنا الى أعلى ازدادت الاقلية غنى وقلت فقرا ، وكلما هبطنا الى أسفل ازدادت الكثرة فقرا وقلت غنى ، فالصلة بين الواحد والكثير هى صلة الاقلية بالاغلبية ، م ٤ — اليهين ويسار فى الفكر الدينى

والصلة بين الله والعالم على هذا النحو هي في حقيقة الامر الصلة بين صاحب رأس المال والعمال .

وأحيانا أخرى نتصور الصلة بين الله والعالم تصورا ثنائيا يقسم الكون الى قسمين أول وآخر ، صوري ومادى ، أبدى وزمانى ، باق وفان ، خالق ومخلوق ، علة ومعلول ، ونظن أن ذلك التصور هو ما يفرضه الدين وهو في الحقيقة ليس من الدين في شيء بل هو وليد النظام الرأسمالى ، أو هو ضرورة النظام الرأسمالى على المستوى النفسى والذهنى لان ذلك من شأنه أن يجعل العالم سالبا ، لا قوام له بذاته حتى لا تعيه الجماهير ولا تشعر بقيمته ، ولا تهتم به ، وحتى يستطيع صاحب رأس المال الاستحواذ عليه ، والسيطرة على مقدراته ، واستغلال ثرواته ، واحتكار أسواقه . فاذا كان المتدين قد أوعز اليه بآثار الآخرة على الدنيا ، والروح على البدن ، والخالق على المخلوق ، فان ذلك يحدث حتى يمكن للرأسمالى أن يعمش حرا طائفا في الدنيا ، يعمل في العالم كيفما يشاء ، بل يقوى الرأسمالى الوازع الدينى على هذا النحو الرأسمالى عند الجماهير فيكثر لها البرامج الدينية ، وينشر المذائح النبوية حتى تجد الجماهير ما يلهيها عن الدنيا ثم لا مانع أن يشارك صاحب رأس المال في هذه الشعائر الدينية مرة كل أسبوع في المناسبات والاعياد حتى يلبس لباس التقوى ، وهو في الحقيقة يتستر وراءها ويخفى حقيقة أمره ، وهو الاستحواذ على العالم والسيطرة على ثرواته ، واستغلال القوى البشرية لصالحه .

٢ — وكثيرا ما نظن أن التدين هو العكوف على الغيبيات وعالم الاسرار ، والمعجزات والكرامات ، ونهز رؤوسنا اعجابا وطربا ، وشوقا

وعجبا • والحقيقة أن هذا ليس من الدين في شيء بل ما تصوره الرأسمالية لنا على أنه دين ، مغالاة منها في التدين من أجل التستر على ما يدور في نظامها من استغلال واحتكار ، وتصريفا لطاقت العامة ونشاطها فيما لا يقوض دعائم النظام بل على العكس فيما يدعمه ، ويقوى أركانه بالتفات الناس الى ما هو أبقي وأروع ، وطلبها السعادة في معرفة الله والاتحاد به ، وفي الانفصال عن العالم واسقاطه من الحساب ، ولذلك تكثر النظم الرأسمالية من بناء المساجد ، واقامة الشعائر ، وتدعيم الطرق الصوفية ، والاحتفال بالموالد ، والتأليف في الغيبيات ، وادارة النقاش والمناظرة حولها • يجسد النظام الرأسمالي الغيبيات في مظاهر حسية حتى يكون للدين مضمون من داخله وليس مضمونا اجتماعيا من واقع الناس •

وكل ذلك ليس من الدين في شيء ، ففي الاسلام لا يعلم الغيب الا الله ، أما الانسان فلا يتعامل الا مع عالم الشهادة ، وكانت الشريعة الاسلامية كلها قائمة على عالم الشهادة ، بل كانت العقائد الاسلامية كلها تجد دليلها في عالم الشهادة ، فإيماننا بالغيبيات ، وحديثنا عنها ، وتصويرنا اياها ، وخلافنا حولها وتكفيرنا من ينكرها أو يؤولها ، كل ذلك ايمان على الطريقة الرأسمالية ، حيث نكون ضحية الافراز الرأسمالي للدين حيث نؤمن بالرأسمالية في الدين ونظن أننا نؤمن بالدين ذاته •

ولما كان عالم الغيب والاسرار لا يمكن ادراكه بالعقل بل بالقلب ، تحول الدين الى ايمان صوفي تصبح فيه الاشرافيات موضوعا ومنهجيا ، ومن ثم تكثر الطرق الصوفية ، ونظن أن التدين هو التصوف ، وكلما

أوغلنا في الدين أوغلنا في التصوف ، بكل قيمه السلبية ، ومواجيده وأذوائه ، وخذاعه وإيمااته • وأصبح من العجيب أن يقوم النظام الرأسمالي على الترشييد في الاقتصاد وعلى التصوف في الدين ، وكأن الإيمان على الطريقة الرأسمالية يجعل العقل وسيلة لتدبير أمور الدنيا فحسب ، بالحساب ، والكم والقياس ، والقوانين ، أما شئون الآخرة . وأمور الدين فلها الوجدانيات ، والعاطفيات ، والأذواق ، والمواجيد ، وبالتالي يتحقق كمال الانسان واشباعه لرغبات العقل ومقتضيات القلب • فينهب صاحب رأس المال ثروات الامم ، ويبتهل ، ويتصوف ، ويتعبد ! •

وكل هذا ليس من الدين في شيء ، فالدين لا يعتنى الا بهذا العالم الذي يسير وفقا لقانون يدركه الانسان بالعقل حتى يمكنه السيطرة عليه واخضاعه لسلطانه للاستفادة منه في معاشه ، والعقل يشمل الحس والتجربة الداخلية والخارجية معا ، ويقوم الانسان بتنظيم العمل في العالم بكل قواه لا فصل في ذلك بين عقل وقلب • فالتصوف ، هو التصوف في العمل ، وفي النشاط ، وفي الانتاج ، وليس التصوف لفارغ الذي لا مضمون له •

٣ — يظن الناس أن الممارسة الدينية هي اقامة الشعار ، وأن المسلم هو من أقام قواعد الاسلام الخمس : الشهادة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج • فالشهادة نقولها ، والصلاة نقيمها ، والزكاة ندفعها ، والصوم نحرض عليه ، والحج فتسابق اليه • الشهادة لا تكلفنا الا عبارتين ، والصلاة لا تأخذ من يومنا أكثر من نصف ساعة من أربع وعشرين ، والزكاة لا تأخذ من أموالنا الا ربع

العشر من فائض الاموال ، ومن له ذلك الآن ! وزكاة الفطر شيء لا يذكر بجانب نفقات افطار رمضان وكمالياته المحلية والمستوردة • والحج نربح منه أكثر مما نخسر ، نربح الدعاية والاعلان ، ولباس التقوى للشهرة أو للتجارة ، أو مكتفى بالعمرة السياحية أو التجارية التي نحمل فيها ما خف حمله وغلا ثمنه • ولا مانع من كتابة الشهادتين في ماصقات مذهبة أو في لوحات مبروزة ، ونعلقها في دورنا ومكاتبنا أو نشيد المساجد ونضئ مآذنها ، ونضع فيها مكبرات الصوت ، ونتألم من فوضى جمع الزكاة ، ونطالب باقامة مؤسسات متخصصة يديرها أهل البر والتقوى ورجال الدين والحكومة لجمعها وصرفها ، ونحمل هم شهر الصيام صيفا أم شتاء ، عملا أو راحة ، نفقات وتكاليف ، ونبتل إلى الله أن تصيننا التزعة في الحج ، وأن ييسر لنا سبل الحصول على العملة الصعبة من السوق السوداء • هذا الخلط بين الدين والتجارة، بين هموم الدنيا وهموم الآخرة هو الذي يكثف عن تسرب الفكر الرأسمالي ونظمه في إيماننا وفي ممارستنا للشعائر • وفي أحسن الاحوال تقام الشعائر في تقوى وصلاح دون اعلان أو متاجرة • وفي هذه الحالة يحفظ المسلم نفسه من شرور الدنيا ويتقى متاعبها ، ويعكف على العبادة ، ويكون أقرب إلى الصوفي الذي يقاسم الرأسمالي الكون ، للاول الآخرة والثاني الدنيا ، فيطمئن الرأسمالي على أرضه ويضمن أن لا منافس له فيها •

وفي كلتا الحالتين ، نكون ضحية ، ضحية التفسير الرأسمالي للدين الذي تروج له النظم الرأسمالية والممارسة الرأسمالية للدين ، فنظن أننا نعبد الله ونطيعه ونحن في الحقيقة نعبد رأس المال ونطيعه عن وعى أو عن غفلة • فالاسلام كما هو معروف ليس عبادات بل

معاملات بل ان !المعاملات ذاتها أعلى درجة في العبادات • هذا هو الطريق الاصعب ، والممارسة الشاقة ، فكل عمل عبادة ، الفلاح في أرضه ، والعامل في مصنعه ، والتاجر في متجره ، والطالب في معهده ، والجندي في ميدانه • ليست العبادة ماذا يفعل الانسان في نصف ساعة يوميا خمس مرات بل ماذا يفعل الانسان في يومه على مدى أربع وعشرين ساعة • ليست العبادة ماذا يفعل الانسان داخل دور العبادة ولكن ماذا يفعل الانسان خارجها ، في منزله وفي الطريق العام • ولن يكون الحساب عن اقامة الشعائر بل عن العقل فيم فكر ؟ وعن المال فيم أنفق ؟ وعن الجهد فيم بذل ؟ وعن الوقت فيم ضاع ؟ العلم عبادة ، والعمل عبادة ، والنكاح عبادة ، وتحرير الارض عبادة ، والقضاء على التخلف عبادة ، ومحاربة الاستعمار عبادة ، والقضاء على الاستغلال والاحتكار عبادة ، والدفاع عن حقوق المستضعفين في أى مكان عبادة • ان كل من يريد قصر العبادة وحصرها في اقامة الشعائر لهو ضحية للاستعمار الثقافى في البلاد وللتصور الرأسمالى للدين •

ان الشهادة تعنى رفض كل آلهة العصر المزيفة ، فنقول « لا اله » أى أنا نرفض من تصورنا أنها آلهة مثل الجاه ، والقوة ، والسلطان ، والربح • • الخ • فاذا تخلصنا منها ظهر لنا الله الحق فنقول « الا الله » ، وهو المبدأ الواحد الشامل الذى يتساوى أمامه جميع العباد • فالشهادة ليست قولاً بل عملاً وتضحية ، ومعارضة وثورة ، ومقاومة واستشهاداً ، فالآلهة العصر ما أكثرها ، ومناضلوها ما أقلهم • ان الصلاة لا تعنى الشعائر بل تعنى جهد الانسان الدائم ، وعمله المستمر من أجل تحقيق هذا المبدأ الواحد الشامل وما يتضمنه من نظم اجتماعية تجد الناس

فيها صلاحها • ولا تعنى الزكاة ارضاء لنزعة الانسان وضمان الكسب . له مادام قد دفع ما طلب منه ، ففي المال حق غير الزكاة ، لا تعنى الزكاة تبرئة للذمة من حقوق الغير بل تعنى بداية تأكيد حق الغير حتى يتساوى الانسان مع الآخرين فيما بين يديه • ولا يعنى الصوم الشق على النفس ثم ارضاءها بعد ذلك بل تعنى مشاركة الناس فيما بين يدي الانسان وأن المجتمع الاسلامي لا غقر فيه ولا جوع • ولا يعنى الحج رحلة سياحية أو تجارية أو دعائية أو تبرئة للذنوب بل تعنى مؤتمرا عاما للمسلمين جميعا للاجتهاد في المسائل العامة التي بها صلاح الناس وعموم البلوى ، وكلنا نعلم ذلك ونوافق عليه ولكن ممارسة الدين على الطريقة الرأسمالية هي في الغالب تقليد وسهولة وارضاء للضمير بأيسر السبل وأرخصها •

٤ — ومازلنا نكرر خطأ شائعا روجه فيما بيننا الاستعمار الثقافي ، وصدره الينا الغرب بعد أن فشل في استعماله ألا وهو الصراع بين الروحانية والمادية ، فكل من يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر يكون روحانيا ، وكل من يؤمن بالمجتمع وبالتغير الاجتماعي وبالتحليل الاحصائي وبالعوامل الاقتصادية يكون ماديا ، فندافع عن روحانية نظرية ، وهي الروحانية التي تروج لها النظم الرأسمالية ، اذ تريدها نظرية حتى يمكنها السيطرة على النواحي العملية ، وتريدها مجردة حتى يمكنها أن تتعامل مع المحسوس وأن تستحوذ عليه ، وتريدها فارغة بلا مضمون حتى تحتكر هي المضمون وتبتلعه في بطونها • والحقيقة أن كل من يؤمن بالروحانية على هذا النحو الفارغ ، الخالي من أي مضمون يكون ضحية الفكر الرأسمالي والاستعمار الثقافي •

وفي حقيقة الامر هذه الروحانية العرجاء هي المادية بعينها لانها تجعل العالم المادى لا روحانية فيه ، ومن ثم تقتشط النظم الرأسمالية في هذا العالم ، وتفعل ما تريد . تستغل وتحتكر ، وتسيطر وتلاعب ، فاذا تم لها ما تريد ذهبت الى الروحانية الفارغة ووفتها حقها بالكلمات والشعارات أو الممارسة الشعائرية والطقوس ، فتطمئن النفس وتبرأ ثم تعود من جديد الى العالم تفعل فيه ما تشاء بلا قانون أو حدود .

هذه الروحانية المميتة القاتلة للروح هي التي حذر منها الاسلام مرارا بقوله « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. » وهي التي نبه عليها الرسول في التطبيق ونوه بها الصحابة في الممارسة ، فالذى يعمل بيديه ويطعم أخاه العابد في المسجد يكون أخوه أعبد منه ، واليد السوداء المشقة من العمل الغليظ يد يحبها الله ورسوله ، والقدم التي تسعى في سبيل الله عوناً للجار أو دفاعاً عن الحمى قدم تشبعت بالروحانية . فروحانية الاسلام ذات مضمون ، روحانية الارض والطبيعة والكون . وهنا تمحى التفرقة بين روحانية فارغة ومادية صماء ، وتكون الروحانية هي المادة النشطة المتحركة ، والمادة هي الروحانية المتجسمة المتحققة ، فالعالم كله روح وكله مادة لا انفصام بينهما . وهذا هو أحد معانى التوحيد . ولكننا حتى الآن مازلنا ضحية الروحانية العرجاء ، ونؤمن بالدين على الطريقة الرأسمالية .

٥ — ويظن الناس أن هذا العالم قد خلق لينتفع به الانسان « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » . ومن ثم تتحول قيم الناس الى قيم استهلاكية خالصة ، يكون مطلبهم هو اقامة مجتمع الرفاهية والوفرة . ومادام الانسان قد آمن بالله ، كتبه ورسله واليوم الآخر ، وأقسام

الشعائر وأركان الدين فان من حقه أن يتمتع بما وهبه الله من رزق ،
فيتزوج أكثر من مرة ، ويسكن ، ويأكل ، ويشرب ، وينعم برزق الله ،
ويكون الاخ المسلم أول من يهرع الى الموائد ، وأول من يقفز الى
الصلاة ، وأول من يجمع المال ، وأول من يدفع الزكاة • وهذا أيضا
أثر من آثار الرأسمالية في الدين • فالدين يضع كل شيء في خدمة
القضية ألا وهي تحقيق الامانة على الارض ، ويبحث على التعفف ،
ويدعو الى تجاوز الحياة الدنيا احساسا منه بالرسالة • فالقيم
الاسلامية قيم انتاجية خالصة فيها نفع للناس • وكلها تهدف الى
تحقيق المصلحة العامة ، والاخلاق الاسلامية من عفة وزهد وتقشف
وتقوى ، هي في الحقيقة أخلاق اجتماعية للحد من نمط الاستهلاك لانه
في اليوم الذي يتحول فيه المجتمع من نمط الانتاج الى نمط الاستهلاك
ومن مجتمع النضال الى مجتمع الرفاهية ينهار كما لاحظ ابن خلدون •

ان النعمة الحقيقية والسعادة الابدية ليست في التمتع بمباهج
الدنيا بل في العمل على تحقيق الرسالة ، وفي أداء الواجب ، وفي أن
يترك الانسان وراءه أثرا أو سنة حميدة تتناقلها الاجيال وتتبعها بعده
لان « الآخرة خير وأبقى » • ولا يوجد مال حلال لانسان في مجتمع
أغلبيته عارية بلا لباس ، وفي العراء بلا مأوى ، وجائعة بلا طعام ،
وأمية بلا تعليم ، ومريضة بلا استشفاء ، فكيف ينعم الانسان بالمال
الحلال في واقع كل ما فيه حرام ؟

٦ — يؤمن الناس بالفردية في الدين ، ويدافعون عن النشاط الحر القائم على المنافسة وبدافع الربح ، فقد أكد الدين دور الفرد وأثبت المسؤولية الفردية ، فلا عجب أن يكون للفرد الحق في ممارسة نشاطه بلا حدود ، واستثمار أمواله كما يشاء ، وتأجير من يعملون له في الأرض أو في المصنع أو في المتجر . وهذا في الحقيقة تفكير رأسمالي تغلغل في الدين ، فندافع عن الرأسمالية ونظن أننا ندافع عن الدين . صحيح أن الاسلام يؤكد على المسؤولية الفردية ولكن في الاخلاق والعمل الصالح ، وفي الفهم والتفسير والتمييز والادراك ، ولكن ليس في الاستغلال والاحتكار ، والمضاربة في الاسواق والتلاعب في الاسعار . فالجماعة لها حق في مال الفرد ، ليس عن طريق الزكاة فقط بل كل ما تحتاجه الجماعة ، وكل ما يمكن للفرد أن يقدمه من أموال للاستثمار . فإذا ما استغل الفرد أو احتكر كان من حق الدولة المصادرة للصالح

روز اليوسف ، سبتمبر ١٩٧٦ ، وقد وضع رئيس التحرير عنوان :

خمس خطايا رأسمالية أخرى تسببت الى الفكر الاسلامي .

في العدد الماضي القى الدكتور حسن حنفي استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة ، الضوء على خمس « خطايا » من الفكر الرأسمالي . . تسببت الى الاسلام في مجتمعنا .

واليوم يواصل الدكتور القاء الضوء على خمس خطايا أخرى — يختتم بها حديثه الخطير وهي :

- حرية النشاط الفردي .
- حق الملكية المقدس .
- طاعة « اولى الامر » .
- تقديس رجل الدين .
- التحالف مع « الغرب المؤمن » .

العام ، والتأميم ورجوع الملكية للمسلمين ، كما أن من حق الدولة تحديد الاسعار والرقابة عليها كما هو واضح في وظيفة « الحسبة » في الاسلام .

وقد امتد هذا التصور الفردي الرأسمالى القائم على المنافسة والربح في علاقة المتدين بالله ، فهو يدفع قرشا لبناء مسجد في الارض حتى يبنى الله له قصرا في الجنة ، ويسابق الى الخيرات حتى ينال مكانا عليا في الجنة . فالطبقات في المجتمع لها ما يرادفها في درجات الجنة حتى يحصل الانسان على أعلاها بالمنافسة والتسابق . وتقوم العلاقة أيضا على الحساب الكمي ، فالحسنة بعشرة أمثالها . ويضاعف الاجر الى ما لا نهاية ، ومن ثم تكون تجارة رابحة تلك الذي يعقدها المتدين مع الله .

وفي مناهج الاصلاح تؤمن بأن صلاح المجتمع بصلاح الافراد ، وأن فساد المجتمع بفساد الافراد وأن الرسول قد غنى بتربية الافراد أولا على مدى ثلاثة عشر عاما ثم بعد ذلك أسس ببناء المجتمع في عشرة أعوام ، ونظن أن هذا هو منهج الدين وهو في الحقيقة أثر من آثار الرأسمالية في الدين ، فالابنية الاجتماعية هي التي تصدد سلوك الافراد ، والطبقات الاجتماعية هي التي تفرز قاداتها . وقد كان الافراد الذين رباهم الرسول افرازا لطبقة المضطهدين والمستعبدين والاذلاء أو لطبقة الرافضين لفكر قومهم ودينهم وعاداتهم ومثلهم ومعتقداتهم . وكان ذلك من أجل تربية القادة ، وهي الطلائع الثورية للجماهير وليس من أجل تربية الافراد لذاتها . وذلك لان الواقع كان

مختمرا بالثورة ، وكانت الجماهير تحتاج الى فكر يعبر عنها والى قائد يوجهون نصبالها ، وهو ما أعطاه الاسلام .

وتنشر الاسلام أحيانا ونصف انتشاره بأنه دين أتى للناس و
الختارة قبل أن يأتى للدهماء ، وأن الرسول ذاته كان من قريش .
وهي قبيلة من أشرف قبائل مكة ، وأنه كان يدعو القبائل أعلاها فأثابها
نارا ، ويدعو وجهاء القوم ورؤساء العشائر وأغنياء الناس ، فالصخرة
هي النشطة ، القادرة ، العاملة التي بها ينتشر الدين في حين أن العامة
عاجزة ، جاهلة ساكنة لا نصرة فيها أو لها . وهذا هو التفسير
الرأسمالي لانتشار الاسلام . صحيح أن الرسول قد دعا رؤساء
القبائل وذلك لانهم القادة ، ودعوة القادة فيها دعوة للجماهير ذاتها ،
وطبقا للنظام القبلي الذي تتم فيه القبيلة رئيسا ، اذا دخل الرئيس
الدين الجديد دخلت القبيلة كلها . وفي نفس الوقت لم يمنع ذلك
من دخل أفراد القبائل الدين الجديد رغما عن رئيس القبيلة . ومنع
ذلك فقد رفض القرآن هذا المنهج في الدعوة في حادثة مشهورة « عبس
وتولى ، ان جاءه الاعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنتفه
الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى ، وما عليك الا يزكى ، وأما
من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى .. » ، فحذر القرآن
عن التوجه الى طية القوم وترك دهمائهم ، وكم من القادة فيما بعد
قد خزجت من الدهماء ! !

كما ندعو الى التغيير عن طريق اعطاء الاولوية للداخل على الخارج
ونستشهد بقول الله : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بأنفسهم » . وبالتالي فالاخلاق شرط السياسة ، واعادة بناء الضمائر

شرط لاعادة بناء المجتمع ، ونذكر القول المأثور « من أصلح الله جوانيه أصلح الله برانيه » . وهذا هو الفكر الرأسمالى المتغلغل فى الدين ، اذ يريد النظام الرأسمالى أن يغطى معالم البناء الاجتماعى ، وعدم لغت الانظار اليه وذلك باحالة مشاكله وارجاعها الى نفوس الناس ، وخراب الضمائر ، وفساد الاخلاق ، فيلتفت الناس الى نفوسهم ويتركون الواقع الاجتماعى كما يريد النظام الرأسمالى ، ويقلبون النظرة من الخارج الى الداخل ، ويعكفون على طهارة النفس وتركبتها ، ويكتشفون أن هذا العالم زائل ، فيسعد الرأسمالى بما وصل اليه المتدين . وهيهات أن يتغير الواقع بتغير النفس ، فمادام الواقع كما هو فان البناء النفسى يظل أيضاً كما هو . ولكن البداية بتغير الواقع ، وتحقيق الاصلاح الاجتماعى من شأنه أن يعيد بناء الأفراد . وهذا لا يمنع من أنه فى مرحلة بناء القيادات ، والطلائع الثورية يمكن البدء بتوعية الافراد ، وتوعية الجماهير ، كجزء من البناء الايديولوجى للواقع كله ، وهى عملية مواكبة لعملية التغير الاجتماعى تحقيقاً لوحدة الشخصية القومية ، وحتى لا يكون الواقع فى جانب والابنية النظرية فى جانب آخر .

٧ — ويؤمن الناس بالملكية الفردية ويدافعون عن الملكية الخاصة ، فالدين قد سمح بها ، والانسان هو صاحب الحق الاول والاخير فيما يملك ، وهى ملكية شرعية لا يمكن لاحد أن يصادرها أو أن يؤممها أو أن يشارك فيها آخر . والعلم يؤيدها ، فالطفل يقبض ما تناله يده ويرفض تركه ، ويرفض أن يشاركه لعبه مع الآخرين ، والمرأة تحب الخزين . وهذه هى الرأسمالية فى الدين ، واستغلال الدين والعلم من أجل تأييد النظام الرأسمالى والايديولوجية التى قام عليها ، اذ يدافع

الناس عن الدين في صورة الملكية الخاصة ، وهم في الحقيقة يدافعون عن الملكية الخاصة في ثوب الدين كأثر من آثار الاستعمار الثقافي وكتعبير عن حب الدنيا التلقائي عند الناس . فالملكية ليست بالضرورة الملكية الخاصة بل هناك صور مختلفة للملكية العامة ، ملكية الله ، وملكية الدولة ، والملكية التعاونية ، والملكية اجماعية . وهي مكيات يؤيدها الدين ، وشرعها الفقهاء ، ومارستها النظم الاسلامية ، ويقول بها عديد من النظم الاقتصادية اشتراكية ورأسمالية على حد سواء .

فالاسلام لم يعرف الملكية الخاصة ولكنه جعل الملكية لله ، والانسان مستخاف فيما أودعه الله بين يديه ، له حق التصرف . وحق الانتفاع به . فاذا أضر بالغير ، واذا اختزن دون أن يستثمر كان من حق الحاكم أن يصادره وأن يجعله ملكية عامة للمسلمين . هذا بالاضافة الى أن لفظة « مال » في اللغة ليس اسما وبالتالي لا تشير الى شيء بل هي اسم صلة « ما » وحرف جر « ل » أي أنها لفظ مركب يدل على علاقة بين الشيء والانسان، وهي علاقة التصرف والانتفاع فحسب . والملكية المذكورة في القرآن (حوالي ١٢٠ مرة) لا تعنى الملكية الخاصة بل الملكية المعنوية مثل ملك اليمين بمعنى الرعاية والعناية ، وملك المفتاح بمعنى الائتمان ، وملك النفس بمعنى القدرة ، وملك خزائن رحمة الله ، وملك النبوة ، وملك السماوات والارض . الملكية في الاسلام وظيفة اجتماعية فحسب يحسن الانسان ادارتها فاذا أساء الادارة ، وظف غيره . وتاريخنا مملوء بالحالات السابقة التي حرم فيها الحكام والفقهاء الملكية الخاصة حتى لا يستكين الناس الى الارض ويتركوا الغزو في سبيل الله ، فضلا عن أن الملكية لا تنتج عن ممارسة الاخلاق الاسلامية التي تجعل علاقة المسلم بالعالم أداء ورسالة وليست بعلاقة ملكية .

وما نقوله في الملكية نقوله أيضا في الميراث ، اذ نقائل بعضنا بعضا من أجل الميراث ، ويفكر كل منا في نصيبه راضيا أو كارهيا ، ذكرا أم أنثى اذا ما توفي الاقربون • وهذا أيضا ايما بالرأسمالية في ثوب الدين ، ودفاعا عن الدين وهو في الحقيقة ممارسة للرأسمالية • فالميراث ، كالملكية لله وحده في الاسلام • ولم يرد لفظ « الميراث » في القرآن بل ورد لفظ « الارث » بمعنى ميراث النبوة والعلم والحكمة والكتاب ، والارض ، والجنة ، ولم ترد في أى سياق بمعنى الارث الشخصى الذى نفرح به ونناله دون ما مراعاة لمبدأ تكافؤ الفرص • والآية المشهورة التى تنظم الميراث آية شرطية ، قد تحدث الحالة وقد لا تحدث • واذا كنا نعلم أن المال وظيفة للاستثمار لصالح الجماعة ، وأن الجماعة لابد وأنها محتاجة اليه كان الاوقع أن يترك الانسان هذا العالم دون أن يترك وراءه شيئا الا من العمل الصالح • وهل ورث الانبياء أو ورثهم أحد ؟

٨ — وكثيرا ما ندعو الى طاعة أولى الامر ، ونبرهن على ذلك بأن طاعة أولى الامر من طاعة الله « فأطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الامر منكم » ، وننصب أنفسنا دفاعا عن السلطات الحاكمة ضد الشعوب • وهذا بالضبط هو الممارسة الرأسمالية للدين ، والايمان بالله على الطريقة الرأسمالية ، والايمان بالرأسمالية في ثوب الدين ، وذلك لان طاعة أولى الامر تدفع الناس الى التسليم ، وتبعث فيهم الدعة والسكون ، وخير وسيلة لذلك هى استغلال طاعة الله التى ترضاهما الجماهير • فلما أن الجماهير مطيعة لله تكون أيضا مطيعة للنظام • ولما كنت الجماهير متدينة وستظل كذلك الى أجيال قادمة فان طاعتها للنظام تكون مدعومة على الاطلاق ، ومن ثم يتحقق للنظام الرأسمالى ما يبغيه

من الابتداء على الوضع القائم ، واتهام كل صور المعارضة بالخروج على النظام ، ومن ثم ، بالخروج على طاعة الله .

وهذا خروج على الدين ، وضياع للامة ، فقد قال الدين أيضا « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ولما كان صاحب رأس المال قد عصى الله باستغلاله واحتكاره ، وسيطرته على أرزاق الشعب ، ونهبه لشروات البلاد فان الخروج عليه واجب ، وتغيير النظام ضرورة ، ولقد بشر الدين أيضا كل من رفع سيفه في وجه حاكم ظالم بالجنة ، والرأسمالي ظلم الناس باستغلالهم والسيطرة على أرزاقهم ، ومن ثم كن قلب النظم الرأسمالية وتقويضها واجبا شرعيا على كل مسلم ومسلمة ، وكذلك من الدين أيضا « عجبت لرجل لا يجد قوت يومه ولا يخرج للناس شاهرا سيفه » والرأسمالي منع أقوات الناس وكثرها ، وترك المسلمين جوعا ، ومن ثم وجب اشهار السيف في وجهه . وقد عبر مصالحونا عن ذلك وعلى رأسهم الافغانى بقوله « عجبت لك أيها الفلاح ، تشق الارض بفأسك ولا تشق قلب ظالمك » . وملاك الارض وأمراء الاقطاع استولوا على أراضي المسلمين ومن ثم وجب على جماهير الامة أخذ حقها واسترداد الارض لذلك تنشر النظم الرأسمالية القيم الخلقية التي تدعو الى استتباب الامر واستقرار النظام ، وسيادة القانون ، وتبشر بأخلاق الشرف والامانة والاستحقاق وكلها أخلاق يستفيد منها الطبقة الحاكمة والطبقة المتوسطة درعها ومانع قانونها وهي التي تحرص على النظام ، وتضمن الامن ، فهي المستفيدة من الاقلية الحاكمة بقدر ما تتلقى من موائدها ، ويقدر ما ينالها من رشايها ، وهي المستفيدة أيضا من الطبقة الدنيا باستغلالها

لحسابها كما تفعل الطبقة العليا • وتتهم النظم الرأسمالية كل النظم المعارضة بالارهاب والعنف ، واراقة الدماء ، والتعصب ، والتبعية والعمالة ، والخيانة في حين أن الثورة على نظم الاستغلال والاحتكار جزء من الجهاد المقدس ، بحرص المؤمنون على نيل الشهادة فيه •

٩ — وكثيرا ما نقدر رجال الدين ، نطيعهم طاعة عمياء لا مراجعة فيها ولا استفسار ، ونتخذهم قدوة صالحة للسلوك ، ونسلمهم رقابنا وثرواتنا • وهذا بالضبط ما تريده لنا النظم الرأسمالية • إذ أنها تقيم لنا مؤسسات دينية ، وتدعم رجال الدين كواسطة بين الحق والخلق — وهو ما حذر منه الفقهاء جميعا — يمكن من خلالها السيطرة على المجتمعات • ورجال الدين ، في نهاية الامر ، فئة اجتماعية من علية القوم ، ويكونون جزءا من الطبقة العليا ، يتمتعون بامتيازاتها ، ويعيشون على حمايتها ، ويتصدرون واجبة القوم ، وتأنمر في النهاية بأمرها ، فهي ولية نعمتها ، وسبب بقائها • ومن ثم ، فالسلطة الدينية هي الحليف الطبيعي للسلطة السياسية • تستشهد السلطة السياسية برجال الدين كمثال أعلى للسلوك في الطاعة والولاء • ولما كانت الجماهير تثق برجال الدين ، ايماننا منها بالدين ، فانها تأخذ سلوكهم قدوة ، وبالتالي يتحقق للنظام الرأسمالي ما يبغيه من طاعة الجماهير وولائهم له • واذا أراد النظام الرأسمالي اصدار قانون زيادة في الضرائب أو ترفيرا للعمالة أو تحديدا للاجور فانه يلجأ الى رجال الدين الذين يقومون بدورهم بتبليغه للشعب وتبريره وتأييده بالنصوص الدينية ، قال الله : وقال الرسول : والباسه ثوب الدين فيقبله الشعب راضيا مرضيا • فاذا ثار الشعب بقيادة طلائعه ، فان رجال الدين يقومون بامتصاص ثورته مطالبين بالطاعة والولاء ، ومتوعدينه بالويل والثبور • م ٥ — اليمين واليسار في الفكر الديني

والطرد والحرمان ، ومتهمين قياداته بالخروج ، واثارة الفتن ، وبث
الشقاق ، والقضاء على وحدة الامة !

وكل ذلك غريب على الاسلام ، فليس في الاسلام رجال دين .
من ثم فان ادعاء أية سلطة دينية حق التفسير للدين أو التوجيه
للجماهير فانه يكون ادعاء باطلا لا يقره الدين ، ولا ينبغي وجه الله ،
وكل توسط بين الانسان والله هو توسط غير شرعى ، فلا وساطة في
الدين بين العبد وربّه . والاجتهاد حق مشروع للجميع ، ولكل مسلم
أن يجتهد اذا ما توافرت فيه شروط الاجتهاد ، العلم بالكتاب والسنة
والوعى بمصالح المسلمين ، ولكل مجتهد نصيب ، وللمخطئ أجر ،
وللمصيب أجران ، وقد حذرنا الرسول من تبعية مدعى الاجتهاد والا كان
ذلك شركا بالله .

١٠ — وعلى نطاق الاحلاف ، يظن الناس أن الغرب المؤمن أقرب
اليهم من الشرق الملحد وأن الرأسمالية الغربية قائمة على الدين في
حين أن الاشتراكية الشرقية قائمة على الالحاد ، ومن ثم كان الغرب
هو الحليف الطبيعي للمسلمين ، فزو وان كان يطمع في أموالنا وثرواتنا
الا أنه لا يطمع في ديننا ، في حين أن المعسكر الشرقى يطمع في الاموال
والثروات ويطمع في الدين ، ويهدم العقائد ، وينشر الكفر والالحاد ،
ويهدم المعابد . فالاستعمار الغربى استعمار للارض دون هدم للدين
ودون قضاء على العقائد التراث في حين أن الاستعمار الشرقى استعمار
للارض وهدم للدين وقضاء على العقائد والتراث معا . الاستعمار
الغربى يسهل استئصاله بالحرب أو بالسلم في حين أن الاستعمار

الشرقى يستحيل استئصاله لانه يفرض وجوده بالقوة . الحليف الغربى صريح فى معاملته ، يريد الارض ويؤمن بالله فى حين أن الحليف الشرقى منافق يريد الارض ويدعى الحرية ، يسيطر على الشعوب ويرفع شعار الديمقراطية . الحليف الشرقى غير انسانى فى نظامه يقهر الفرد ويكبت الحريات فى حين أن الحليف الغربى انسانى فى نظامه ، كريم فى معاملته يحترم الفرد ويدافع عن حرياته . هذا هو ما نؤمن به ونظن أنه من الدين فى حين أنه فى حقيقة الامر من ترويج الدعاية الاستعمارية فى أذهان الشعوب النامية من أجل اعادة السيطرة عليها ، وادخالها فى أحلافها العسكرية ، ومناطق سيطرتها ونفوذها .

فالغرب فى حقيقة الامر ينافق فى الدين ، ويظن أن الايمان هو تستر وتعمية وتغطية على ما يدور فى الواقع ، ويتهم كل من يضع فى الايمان مضمونا اجتماعيا بالكفر والالحاد ، ويحرص على نشر هذا التصور الضامر للدين ، أنه نظريات أو عقائد أو شعائر أو طقوس . فى حين أن المبادئ العامة للنظم الاشتراكية وأهدافها من تحقيق للعدالة الاجتماعية ، وتذويب للفوارق بين الطبقات ، ومن قضاء على روح الاستغلال ووسائل السيطرة والاحتكار ، ومن جعل العمل وحده مصدرا للقيمة ، ومن جعل الحكم للاغلبية والتخطيط لصالحها ، كل ذلك أقرب الى روح الاسلام من التستر بالعقائد والشعائر على مظاهر الاستغلال والاحتكار . والذي يهدم العدالة الاجتماعية هو فى الحقيقة هادم للدين حتى ولو ملأ الارض تكبيرا ، وعمرها معابدا ، وتناثرت فوقها الصدقات .

ان الشعوب المتحررة حديثا بعد أن تحررت من الاستعمار

الصريح ، العسكري أو الاقتصادي مازالت تحت رحمة الاستعمار الثقافي الذي ينبغي الإبقاء على سيطرته على الشعب وثرواتها من خلال طبقة من أهل البلاد تدين له بالولاء ، بولائها للثقافة الأجنبية وتقليدها لها . فبدل أن يحكم الاستعمار مباشرة فإنه يحاول أن يحكم الآن من خلال هذه الطريقة ، وهي امتداده في البلاد النامية . وقد آن الأوان للقضاء على الاستعمار الثقافي في البلاد ، وتنوير الناس ، ورفع الخط في أذهانهم ورفع الالتباس في نفوسهم عما يظنون أنه من الدين وهو في الحقيقة من الرأسمالية . وهذا هو دور المثقفين الآن .

ماذا تعنى أسباب النزول ؟

ان أهم ما يميز هذا الشهر الكريم هو نزول الكتب السماوية فيه :
التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن . فهو شهر الوحي ورسالات
السماء « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان » .

وقد تصور الناس خطأ أن الحديث عن القرآن يتم عن طريق
الحديث عن كلام الله الابدى ، فيجعلونه صفة من صفات الله كما
فعل علماء أصول الدين القدماء أو يجعلونه الكتاب المدون أى المصحف
المغلف بالقטיפه الحمراء ، الموشى بالذهب ان أمكن ، والمغطى بالحرير .
والمقبل بالشفاه ، والموضوع على المكاتب أو فى العربات ، وفى واجهات
عرض محال التحف الشرقية ، أو المكتوب المزركش على لوحة أو على
لوحة أو على حبة قمح أو على بيضة كما هو الحال فى متاحفنا الشرقية .

وكلا النظرتين خطأ ، فالقرآن وان كان كلام الله الا أنه أنزل
الينا لصالحنا « ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم » ، وحديث الله
الينا ، فالمقصود هو نحن البشر ، والهدف هو مصلحتنا ، وبالتالى
يكون ارجاع كلام الله الى الله ثانيا مضادا لمقصد الوحي ولغرض
الله فى حديثه الينا ، فاعتبار كلام الله صفة لله مضاد لكلام الله
نفسه الذى أتانا ليبلغنا الرسالة ، وليشير علينا بما فيه مصلحتنا .

روز اليوسف العدد ٢٥١٩ ٢٠/١/١٩٧٦ . وقد بدل رئيس التحرير
العنوان الى « القرآن ليس تحفة شرقية » وصدره بعبارة « والاسلام
يرفض الكلام فى الدين بلا منسبة » .

والقضية ليست نزول القرآن من عند الله مباشرة أو في اللوح
المحفوظ أولا ثم بعد ذلك إلينا ، فكل ذلك رجم بالغيب ، وقول بالظن ،
« وان الظن لا يغنى عن الحق شيئا » . انما القضية كلام الله هذا
الذى نسمعه ونقلوه ، ونفهمه ونفسره ، ونجد فيه تحقيقا لطلابنا ،
وحلا لمشاكلنا ، ودرءا لمآسينا .

ونخطيء عندما نشغل بالنا بكيفية التبليغ ، هل كان الرسول وهو
بشر يأخذ صورة ملائكية أم هل كان الملاك يأخذ صورة بشرية ؟ هل
كان الملاك يأتي وله صوت مثل صوت الجرس أم كان ينفث في روع
الرسول ؟ هل كان الملاك يأتي الرسول في نومه أم في يقظته ؟ كل ذلك
لا شأن لنا به ، فبذلك لم نؤهر ، وعن مثل هذه الامور حرم السؤال .
مهمتنا بعد وقوع الكلام وحدثه وانزال القرآن محسوسا لديننا
نسمعه ونقرأه ونفهمه ونفسره ، ونطبقه ونستفيد منه في حياتنا العملية .

ما يهمنا اذن هو نزول القرآن أو وقوعه ، وأهم ما يميز القرآن
على الكتب المقدسة الاخرى هو أنه نزل منجما أى مفرقا طبقا للحوادث،
وحسب الظروف ، وبناء على مقتضيات الواقع ومتطلباته ، وقد
استدعى ذلك انتباه المناهضين للإسلام « وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة » وكان الرد من القرآن أيضا « كذلك لنثبت
به فؤادك » أى حتى يعيه الانسان مع واقعه ، وحتى يحفظه ولا ينساه،
فالواقع هو حامل الآيات وحارس الذاكرة وحافظها .

ما يهمنا اذن هو نزول القرآن ، وهو ما وصفه علماء التفسير ،
وعلماء أصول الفقه باسم « أسباب النزول » التى أصبحت شرطا من

شروط التفسير والاجتهاد • فماذا تعنى « أسباب النزول » بالنسبة للعصر الحاضر ؟

١ — الوحي والواقع :

تعنى « أسباب النزول » أن الوحي لم يفرض على الواقع ابتداء بل كان نداء للواقع ذاته ، وأن الجزيرة العربية كانت تبحث عن فكر يعبر عنها ، وعن أيديولوجية توحد قبائلها وعن زعيم أو قائد يقودها وبه تؤدى رسالتها • كانت اليهودية والمسيحية محدودة الانتشار ، ولم تكن تعبر عن واقع العرب الا فى أقل الحدود • عاش اليهود منغلقيين على أنفسهم ، محصورين فيما بينهم فكيف يوحّدون القبائل ؟ وعاش المسيحيون فضلاء أتقياء لا يدخلون فى معارك القبائل فكيف يتزعمونها ؟ وكان الحنفاء يحظون باحترام الجميع ، فقد كانوا على سنة ابراهيم ، جد العرب • فجاء الاسلام لنشر الحنيفية السمحة « ملة ابراهيم حنيفا » فى صورتها العامة وهو الاسلام الذى أصبح الرافد الاساسى فى الشعور العربى ، والمرحلتان السابقتان للوحي جزء من تاريخه •

أما الوثنية فلم تكن مكونا أساسيا من مكونات الشعور العربى بل كانت لا تتجاوز سطحه ، ولا يؤمن بها أحد ايماناً يقوم على التصديق والبرهان •

نستدل من ذلك اذن على أن الواقع له أولوية على الفكر ، وبالتالي يكون الاسلام بلغة العصر ديناً واقعياً من الاساس وليس فقط فى التشريعات على ما هو معروف فى مبادئ الاستدلال « لا ضرر ولا ضرار » أو « الضرورات تبيح المحظورات » • وذلك يعنى أنه مطالب

من مطالب الواقع ، وأن الواقع هو الذى نادى به ، وهو الذى فرضه ، فلم يأت عنوة ، ولم يفرض غصبا •

وهذا ما قد نسيناه فى حياتنا المعاصرة ، عندما نحاول فرض الدعوات السياسية بالسلطة ، ونشر المذاهب والاتجاهات عن طريق الدولة ، والناس تتسائل عن معنى هذا وتمغزى ذاك ، حيارى ، تقلب وجوها فى السماء باحثة عن شىء يعبر عن واقعها كما عبر الاسلام أول مرة عن واقع الناس فى الجزيرة العربية • وتكون النتيجة لامبالاة الناس أمام ما يعرض أمامها من مذاهب واتجاهات وبحثها فى ملفاتها القديمة فتجد الموروث بعبله وبكل ما فيه من حشو فتجتره بلا وعى وبلا انتقاء أو تجد اغراء الجديد فتقلده ، وتنعم بتحقيق أشواقها نحو التحديث والتجديد ، وفى كلتا الحالتين لا تجد الناس فكرا يعبر عن واقعها كما عبر الوحي من قبل •

وكذلك عندما يحاول مثقفونا فرض الافكار والمذاهب الفنية على أذواق الجماهير التى لا تتذوق هذه الافكار وهذا الابداع الفنى لعدم ثقافتها وأسميتها وجهلها بقواعد الفنون الحديثة يشكون من سلبية الجماهير ، ولامبالاة الناس فى حين أن التغير الاجتماعى لا يأتى عن طريق فرض أفكار على الناس بل عن طريق التعبير عن واقعها بالفكر وبالفن ، وصياغة مآسيها بالنظر وبالتصوير ، والتعبير عن أشواقها فى أيديولوجية كاملة كما فعل الاسلام أولا •

٢ — النص والمصلحة :

وتعنى « أسباب النزول » أيضا أن هذا الواقع يمكن ادراكه بالقطرة ، ويمكن للآخرين الاتفاق عليه وموافقته والتصديق به • فقد

كان عمر يدرك واقع المسلمين ومصلحتهم بفطرته ، وكان يطالب النبي بوحى فى هذه المسألة أو فى تلك الواقعة ويدرك بحواسه الوحى المطلوب ، ثم يأتى الوحى مصدقا لادراك عمر .

وكان الرسول يثنى دائما على هذا الذى صدقه الوحى ، فعمر هو الذى أدرك بفراسته خطورة الخمر على العقل وعلى الحياة العامة فجاء الوحى محرما لها . وهو الذى أدرك خطورة غواية المسلمين فى الطرق العامة فنزلت آية الحجاب . وكان يدرك بفطرته متى يجب السلام ومتى تحين الحرب ، متى تعقد المعاهدات ومتى تنتقض ، متى تجب الطاعة ومتى تحين الثورة . كان يدرك بفطرته متى تجب الملكية ومتى يفرض الغاؤها ، متى يطبق الحد وفى أى ظرف يوقف ، ومن عمر خرج فقه عبد الله بن مسعود ، ومنه تأسس فقه مالك ، وعن مالك عرفت المبادئ العامة للاجتهاد ، المصالح المرسله ، ما رآه المسلمون حسن فهو عند الله حسن .

فبنظرتنا نحن ، وبالتحاما بالواقع يمكن صياغة حلول لمشاكلنا ، تكون بالضرورة مصداقا للوحى . فواقع مصر بدخله المحدود لا يقبل الا مجتمعا لا طبقية فيه ، وواقع مصر بأرضها المجتلة لا يقبل الا توجيه موارد البلاد وطاقاتها لطرد المحتل ، وواقع العالم الاسلامى بتركيز ثرواته فى يد الاغنياء ، وشيوع المجاعة والقحط والجفاف وسوء التغذية والامراض والامية لدى عامة المسلمين لا يقبل الا باعادة توظيف المال العام لخدمة الجماعة ، ورد أموال الاغنياء الى بيت المال .

فالواقع هو الذى يفرض نفسه ، وهو أبلغ من كل نص ، يختلف فى تفسيره المتحذلقون ، كل على هواه ، دفاعا عن مصلحته ، الواقع

هو مصدر النص ومنبعه ، والبداية بالواقع هو الرجوع الى المنبع
والمصدر والاساس •

٣ — الحديث بدون مناسبة :

وتعنى « أسباب النزول » أننا نختار من الوحي في كل مناسبة ما نجد فيه حلا لمشاكلنا مأسينا • أن كل محاولة لتفسير الوحي ككل وأخذه جملة واحدة معارضة لطريقة نزول الوحي في البداية ، « وقرأنا فرقناه لتقرأه الناس على مكث » أى أن القرآن يحتوى على حلول لمشاكل عدة لا يؤخذ منها الا ما ساعد على حل مشاكل الناس والا استمع الناس الى كل شىء ولم يأخذوا أى شىء ! فالوحي قد حوى كل شىء ، وبه حلول لمشاكل قد تظهر في أى عصر ، « ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل » • فليس الهدف هو عرضها كلها واستحسانها والثناء عليها ، جمعت فأوعت ، والا كنا كمن يحفظ قاموسا للغة حتى يتقن اللغة دون أن يأخذ من المفردات ما يحتاجه في موقف معين • ومهما حفظ فانه ينساها لانها معرفة لم توظف ولم تستخدم في حين أن الكلمات التى يعيها الانسان في موقف تلعبه وبحثه عن المفردات وهو بصدد الحديث هى التى تبقى نظرا لشدة المحنة وكثرة الاستعمال •

أما ما يحدث اليوم من نشر للنوحى ، ما نحتاجه وما لا نحتاجه . وكأننا نعلن عن سلعة في أجهزة الاعلام فهى محاولات للتعمية والتغطية والتستر على ما يدور في الواقع ، وتملق لحسن الجماهير الدينى وترك لشكلايتها وأزماتها وضنكها وهمها ، أو نخطب في المصلين ونذكر لهم محاسن الصلاة ونحثهم على الصلاة ! وكأننا نريد اعطاءهم دما لديم من قبل ، أو ندعو الفقراء الى الفقر ونقول « يأيتها الناس ، أنتم الفقراء

الى الله والله هو المغنى الحميد » ! أو نقول للجياع « جوعوا تصحوا » ،
أو نقول لمجتمع يعاني من التفاوت الطبقي وسوء توزيع الدخل القومى
« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » ، أو نتحدث عن عالم الجن
والملائكة فى مجتمع يعاني من الجهل والتقليد والتسليم ونحاول تأسيسه
على عقلانية واستتارة ، أو نذكر الحور العين ، والجنان والانهار ،
والاشجار والظلال فى مجتمع محروم لا مأوى له ولا طعام فنسكنه
ونشبعه عن طريق التمنى والخيال ، ولا ندرى أن لكل مقام مقالا •

ان الحديث عن الدين ملا مناسبة ، بل لمجرد المهنة أو التجارة
أو ملء الاوقات فى أجهزة الاعلام أو للتكسب أو للدعاية والاعلان كل
ذاك لا يرضاه الاسلام •

أما الابتهالات والتواشيح والمدائح فكلها ليست من الاسلام فى
شئ بل غناء لاناس يكون ، وطرب لاناس مهمومين ، ومدح حيث
يكثر المداحون •

لقد سمى الفقهاء من قبل « أهل التنزيل » لانهم حاولوا استنباط
شريعة تصلح للناس فى حياتهم ، ونحن على درب الفقهاء نسير •

مناهج التفسير ومصالح الامة

أولا - مقدمة :

ان القرآن هو منبع تراث الامة وأساس حضارتها ومصدر معرفتها ، والباعث على معظم الحركات الاجتماعية والسياسية على أربعة عشر قرنا من تاريخها •

وان كل حركات التجديد المعاصرة التي أحدثت أثرا في عالمنا الاسلامي المعاصر انما خرجت كلها من فهم القرآن ومنهج تفسيره • وقد ارتبطت الحركة الوطنية والدعوة الى الاستقلال في المغرب العربي بالاسلام في ثورة الريف بالمغرب ، وحركة التحرر الوطني بالجزائر ، والسنوسية وعمر المختار بليبيا ، وبرابطة علماء الجزائر ، وبعلماء الزيتونة وجامع القرويين بتونس • كما ارتبطت به أيضا في المشرق العربي في الحركة المهدية بالسودان ، والوهابية بالحجاز ، وبالكواكبي في الشام ، وبالاغاني في مصر • وتعدى الامر الى العالم الاسلامي ككل في باكستان وتصورها كدولة في شعر اقبال وأخيرا في الثورة الاسلامية بايران •

ولما كان فهم القرآن لا يتأتى الا بمنهج في التفسير عن وعي أو لا وعي ، فان مناهج التفسير كانت هي المقدمة الضرورية لفهم القرآن

ولتحويله من وحى الهى الى مقصد انسانى ، ومن كلام الله المنزل على النبى الى كلام البشر الموجه الى الجماعات الانسانية المختلفة .
ولما كان هذا التفسير لا يتم فى فراغ بل فى زمان ومكان معينين ، فى لحظة تاريخية محددة فرض ذلك علينا منهجا معيناً فى التفسير يأخذ بعين الاعتبار مصالح الامة وحاجات المسلمين ويواجه قضايا العصر الإنسانية . لذلك ارتبط منهج التفسير الجديد بالمنهج الفقهي القديم لما كان الفقه هو استنباط الاحكام ومواجهة الواقع الجديد . كذلك ارتبط بحركات الاصلاح الدينى ، يشد أزرها ويقويها ويعيد صياغتها ويتطورها . كما ارتبط بحركات التجديد المعاصرة التى تود نقل الاصلاح خطوة أخرى ، من الاصلاح الدينى الى النهضة الشاملة ، ثم من النهضة الشاملة وما يتبعها من عقلانية وتنوير الى الثورة الاجتماعية والسياسية .

وتستعمل الفاظ اتجاه ، ونظرية ، ومنهج بمعنى واحد تقريبا خشية الدخول فى تفرعات نظرية خالصة لا ينتج عنها أثر عملى .
والحقيقة أن التفسيرات القديمة اتجاهات لم تتحول بعد الى نظريات محكمة أو مناهج مرتبة ، تقوم كلها على مبدأ واحد هو التأويل قبولا أو رفضا وما يتبعه من قول بالمأثور أو بالرأى واعتماد على النقل أو العتل ووقوع فى التشبيه أو دفاع عن التنزيه . وسيتم الإشارة إليها كمناهج فى التفسير ، أملا فى أن تتحول على أيدي الباحثين من اتجاهات الى نظريات الى مناهج محكمة . وقد كتب هذا البحث بطريقة الترقيم للأفكار امعانا فى الوضوح والدقة ، وتجنبنا لفصاحة الخطباء واحساسيات الشعراء وبلاغة الادباء وحتى تسهل مراجعتها ومناقشتها وتأسيسا لعقلانيتنا المعاصرة ، وحرصا على بدهة الرؤية وصدقها .

ثانياً — مناهج التفسير في تراثنا القديم :

ويمكن احصاء اتجاهات التفسير ونظرياته في تراثنا القديم في عدة مناهج رئيسية هي :

١ — المنهج اللغوى :

وقد ظهر هذا المنهج في عدة تفسيرات لغوية نظرا لان العصر كان عصر لغة وبلاغة وفصاحة وبيان (١) . وكان العرب أهل خطابة وشعر . فكان من الطبيعى أن يظهر التفسير اللغوى كطابع للعصر خاصة وأن القرآن نفسه كتاب بلاغة ، ويمكن استعماله كشواهد لغوية مثل الشعر العربى القديم وخطب العرب وأمثالهم . وقد آمن بعض المسلمين بالاسلام ابتداء من اللغة وفصاحة القرآن ، وظهرت نظريات اعجاز القرآن للباقلانى والجرجانى وغيرهم ابتداء من الاعجاز اللغوى . وقد قام بهذه التفسيرات اللغويون وليس المفسرين ، باعتبار أن القرآن كتاب بلاغة . ويمتاز هذا المنهج بالآتى :

(أ) التأكيد على أهمية اللغة كمدخل لفهم الوحي ، فالوحي ليس تاريخا مقدسا أو واقعة مميزة فريدة أو شخصا أو حادثة بل هو كلام مكتوب ومقروء ومسموع ومدون بلغة انسانية معنية هي اللغة العربية . فالوحي كلام يحتمل معانى تحملها الكلمات . وهنا تبدو أهمية الكلام واللفظ .

(١) الزجاج : اعراب القرآن ، ثلاثة اجزاء ، تحقيق ودراسة ابراهيم الايبارى ، المؤسسة المصرية للعلمة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٢/١٣٨٤ هـ ١٩٦٣/١٩٦٥ م .

(ب) الحرص على الدقة في فهم الالفاظ ، ومعرفة معانى العبارات ، مما يجعل المفسر متمكنا من النص ، وهو الاصل . لذلك اشترط القدماء معرفة اللغة العربية كأحد شروط التفسير ، وبالتالي أمكن تحاشي الاهواء والانفعالات من تفسير النصوص .

(ج) معرفة دقيقات المعانى بمعرفة أساليب البيان العربى في التقديم والتأخير ودلالات الحروف وأنواع الاسماء والافعال ، والمعانى الاشتقاقية للالفاظ مما يجعل اللغة مدخلا دقيقا ومضبوطا للمعانى ، والمعانى رؤى للأشياء والوقائع . واللغة على بما يقول المعاصرون « منزل الوجود » .

(د) الحفاظ على سلامة اللغة العربية وعلى حيويتها واستمرارها في التاريخ ، ودوام لغة القرآن « بلسان عربى مبين » (٢٦ : ١٩٥) ، وقوفا أمام مظاهر الانهيار اللغوى والاهمال والتسيب التى أدت الى نشأة العامية وسيادتها فى الاسواق واستعمالها فى الحياة اليومية وانزواء لغة القرآن فى المساجد والزوايا والمعاهد الدينية .

(هـ) الاقتراب من الصور الفنية ووظيفة « التخيل » فى القرآن الكريم ، وإدراك أهمية ما سماه المحدثون « التصوير الفنى » فى القرآن ، وظهور البعد النفسى وأهمية إيصال المعانى عن طريق احداث الاثر والتأثير فى النفوس عن طريق الصورة الفنية واستعمال الخيال .

ومع ذلك فان هذا المنهج له عدة عيوب أهمها :

(أ) الوقوع فى التفسيرات الحرفية التى تغفل المعنى كلية وتجعل المعركة كلها تدور حول الالفاظ ودلالات الالفاظ ودقيقات المعانى اللفظية وتغفل المقاصد الكلية للوحى ، ونحن معروفون بثقافة

اللفظ وبحضارة الكلمة ، وبسياسة الخطاب الاجسوف ، وبخلافات الكلمات الرنائة ، وينظم « الميكروفونات » العالية ويدخل الحروب بمنطق انفاى والربابة وبالعتربات التى ما قتلت ذبابة •

(ب) الوقوع فى الماحكات اللفظية ، والشواهد التاريخية المتعارضة ، والخلاف بين النحاة ، بين البصريين والبغداديين ، والاعتماد على لهجات القبائل ، والاحتكام الى لهجة قريش ، وبالتالى استحالة فهم القرآن الا من اللغويين والنحاة ، ولما بعد العيد علينا لم يبق أمامنا الا بدو الصحراء والعربان •

(ج) ان اللغة ليست ألفاظا فقط بل هى أيضا معانى • بل أن الالفاظ مجرد وسائل لحمل المعانى • فبالرغم من أهمية ألفاظ القرآن وعباراته الا أنها مجرد أدوات للتعبير عن المعانى المستقلة التى يمكن ادراكها مباشرة فيما وراء الالفاظ • فالمنهج اللغوى يعطى الاولوية للالفاظ على المعانى من حيث الفهم فى حين أن المعانى من حيث الادراك لها أولوية على الالفاظ •

(د) اغفال الواقع الاجتماعى والتاريخى الاول الذى نزلت فيه النصوص وهى المسماة فى علوم القرآن باسم « أسباب النزول » . واغفال تطور الشريعة والمسمى أيضا فى علوم القرآن باسم « الناسخ والمنسوخ » وكأن النص لا زمان له ولا مكان ، واغفال الفرق بين المكى والمدنى ، ودلالات علوم القرآن •

(هـ) اغفال واقع المسلمين الحالى وكأن النص ليس خطابا موجها لهم ، وكأن حياة المسلمين ليس هو موضوع الخطاب ومقصده ، وكأن

الناس تأكل اللغة وتسكن في البلاغة ، تحل مشاكلها وأزماتها بالكلمات حتى حُش الشعر الحديث محل ألفاظ القرآن لانه يصور مآسى الناس .

(و) استحالة تطبيق المنهج اللغوى اليوم نظرا لان ابداع العرب الآن لم يعد في اللغة بل ربما في حركات التحرر الوطنى وثوراتهم ضد الاستعمار وسعيهم للوحدة ، وبدايتهم للنهضة ، وأصالتهم كشرط لابداعهم ، وتميزهم وهويتهم التى لم نتميع أو نتعرب بعد .

٢ - المنهج التاريخى :

وهو المنهج السائد فى كتب التفسير الضخمة وانتهى غلب عليها منهج النقل والرواية (١) . ومعروف عن القدماء باسم « اُلفسير بالماثور » . وقد ظهر هذا الاتجاه فى عصر كانت المعرفة فيه تأتى عن طريق النقل والرواية ، وتبجيل الصحابة والتابعين وتابعى التابعين . وأهمية الاوائل على الاواخر ، وفضل السلف على الخلف ، والحرص على التدوين ، وذكر المآثر وحفظ التراث . وتمتاز هذه التفسيرات بالآتى :

(١) ابن جرير الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن ، المطبعة الاثرية ، القاهرة ١٢٢٣هـ . الحسين بن مسعود البغدادى : معالم التنزيل ، القاهرة ، المنار ١٣٤٥هـ . الحافظ عماد الدين بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، المطبعة التجارية ، القاهرة ١٣٥٦هـ . عبد الرحمن الثعالبى : الجواهر الحسان ، الجزائر ١٣٢٣هـ . جلال الدين السيوطى : الدر المنثور ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٣١٤هـ أبو طاهر الفيروزبى : تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، المطبعة الازهرية ، القاهرة ١٣٤٤هـ . أبو اثيث السمرقندى : بحر العلوم ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٣ . أبو اسحق الثعالبى : الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، مخطوطة بالازهر رقم (١٣٦) ٥٥٦١ . أبو عطية الاندلسى : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٥٦/١٠ .

(أ) المعلومات التاريخية الواسعة في موضوعات الوحي وتدوين القرآن والسنة وحياة الرسول والصحابة ، وكيفية نشأة الدولة الإسلامية والفتوح حتى أنه يصعب التمييز بينها وبين كتب التاريخ . وقد قام بها المؤرخون مثل الطبرى وابن كثير ، وكأن التفسير هو اعطاء أكبر قدر ممكن من المعلومات حول الموضوع .

(ب) الموضوعية والنزاهة والحياد والتتوى الباطنية نظرا لانهم كانوا يروون عن الصحابة والتابعين ، فلا يوجد أثر كبير للخلافات المذهبية والمفائدية الا القليل . وظهت الثقافة العربية الأمثلة في الشعر القديم كأحد شواهد التفسير . وكانت تظهر به أحيانا بعض الجوانب الفقهية واللغوية .

ولكن عيوب هذه التفسيرات أكثر فمناها :

(أ) احتمال وقوع الخطأ في منهج الرواية والنقل وبالتالي يكون التفسير كله خطأ ، وعدم وجود مقياس آخر لصدق المعرفة مثل العقل أو الحس والمشاهدة لصحة النقل ، بالرغم من أنها مقاييس موجودة سلفا في شروط التواتر . فالاعتماد على الصدق الخارجى وحده لا يكفى لايجاد الصدق الداخلى .

(ب) دخول كثير من الاسرائيليات نتيجة للنقل والرواية ونظرا لعدم التمييز بين مصادر النقل وبالتالي دخول كثير من أساطير الاولين وقصص الانبياء وتفصيلات لم يذكرها القرآن وفي كثير من الاحيان موضوعات من الادب الشعبى .

(ج) تحويل الوحي الى أشياء ووقائع وحوادث وشخصيات في حين أن الوحي حقائق وتجارب بشرية . ويصاب الانسان سريعا بالملل

والضجر من هذه التفسيرات نظرا لعدم وجود أى بناء روحى ذاتى كما هو الحال فى التفسير الصوفى • وكثير من المعلومات غير موجهة لغاية أو لهدف وكأن المعلومات وسيلة وغاية فى نفس الوقت •

(د) ربط القرآن بظرف تاريخى واحد فى حين أن التاريخ متجدد وحوادثه متغيرة ، وبالتالي تحويل الوحي الى تاريخ حقبة معينة من الزمان لشعب معين فى منطقة جغرافية بعينها وهذا انكار لحقائق الوحي العامة •

(هـ) عدم الاعتماد على العقل والنيل من التفسير بالرأى واعتباره هوى ، وبالتالي يكون أقل قيمة من التفسير بالمعقول ، واغفال المعانى المستقلة عن التاريخ التى يدركها العقل وتكشف عنها التجارب الانسانية •

(و) اغفال الواقع التاريخى الحالى والذى لا يمكن للمؤرخ المفسر القديم أن يتنبأ به ، فالتفسير هنا يتعامل مع الماضى وليس مع الحاضر ، ويتعامل مع التراث القديم وليس مع الابداع الحالى ، فكان الوحي موضوع القدماء لا شأن للمحدثين به •

٣ — المنهج الفقهي :

وهو المنهج الغالب على التفسيرات الفقهية للقرآن لرصد أحكام الشريعة (١) • وقد نشأت فى وقت تدوين الشريعة وذكر الخلافات بين

(١) الجصاص : أحكام القرآن ، الهيئة المصرية ، القاهرة ١٣٤٧ هـ
(حنفى) • أبو بكر بن العربى : أحكام القرآن ، السعادة ، القاهرة ١٣٣١ هـ
المالكى • القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٥ —

المذاهب ، وظهور فقه الفرق الدينية ومحاولا تأسيس دويلات مذهبية في حاجة الى نظام سياسى واجتماعى • وتمتاز هذه التفسيرات بالآتى :

(أ) اعطاء أهمية قصوى للجانب التشريعى فى الوحي وبيان أن الوحي ليس مجرد عقيدة بل شريعة ، وأن الشريعة ليست فقط من استنباط الفقهاء بل منصوص عليها فى الوحي ، وأنها قادرة على تنظيم مجتمع وتأسيس دولة •

(ب) تجاوز الخلاف المذهبى العقائدى الى نوع من وحدة التشريع للامة الاسلامية ومحاولة الاجتماع على الحد الأدنى من الاتفاق العمل على تسيير حياة الناس بعد الوقوع فى الحد الأعلى من الخلافات النظرية •

(ج) تنوع التفسير الفقهى طبقا للمذاهب الكلامية وبيان كيف أن الشريعة بالرغم من أنها نظام عملى الا أنها تخضع لفلسفة التشريع أى للعقائد النظرية • فالقانون أساسا تصور للقانون يقوم على غاية ويخدم مصلحة •

١٩٤٥ (مالكى) . مقدار السيورى : كنز العرفان فى فقه القرآن ، تبريز ١٣١٤ هـ (اثنا عشرى) . الكيا الهراسى : احكام القرآن ، مخطوطة بمكتبة الازهر رقم (٣٩٨) ٧٨٦٦ (شافعى) . الجلال السيوطى : الاكبل فى استنباط التنزيل ، مخطوطة بمكتبة الازهر رقم ١٧٨٥ (شافعى) . يوسف التلانى : الثمرات البانعة ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٤١ (زيدى) •

ومع ذلك فلهذه التفسيرات بعض العيوب منها :

(أ) ابتسار الوحي وتقليصه ورده الى أحد جوانبه وهي الشريعة ، والوحي عقيدة وشريعة ، تصور ونظام ، نظر وعمل .

(ب) سيادة الخلافات المذهبية والعقائدية على التفسير ، وتوريث هذا الخلاف حتى الآن لعشرات الاجيال ، وبالتالي ضياع الوحدة الباطنية في الشريعة التي تعبر عن وحدة الامة . لقد اختلفت الآراء وكشفت عن درجة من التعصب والتحامل . وأصبح يضرب بها المثل الآن على التثنت والتفرق بقولنا سخرية لحل أى معضلة « فيها قولان » !

(ج) عدم بيان الحكمة من الشريعة ومقاصد الوحي والوقوع أحيانا أحيانا في الصورية الفقهية وكأن القانون لا هدف له ولا غاية ، وبالتالي غياب التفسير بالمقاصد والغايات ، ومن ثم ظهرت بعض القوانين منتفية للحكمة ، ضارة بالناس خاصة في فقه الفرق .

(د) ارتباط الشريعة بالظروف التاريخية القديمة التي كانت وراء استنباطها وتغير هذه الظروف الآن ووجود ظروف تاريخية أخرى تجعل الفقه القديم بغير ذى دلالة أو نفع في كثير من الحالات .

(هـ) عدم تطوير الشريعة طبقا لظروف كل عصر ، وبقيائها في نفس الظروف القديمة وثبيتها على ذلك حتى تحولت من فقه تاريخي خاص الى فقه كلى وشامل لكل العصور فتحجرت ، وضاعت حياتنا وبحثنا لمجتمعاتنا عن نظم وشرائع أخرى أكثر تطورا أو ملائمة .

(و) اختلاف الحكم النظري الفقهي عن الواقع العملي مهما حدث تجديد في الجانب الاول مثل قانون الاحوال الشخصية ، وقوانين

الربا وتشريعات العمل ، وكأن الواقع يفرض تشريعه الخاص طبقا للمصلحة العامة ويجب كل تشريع مستتب سلفا .

٤ - المنهج الصوفي :

وقد ظهر هذا المنهج في التفسيرات الصوفية الكلية أو الجزئية (١) . وقد ظهرت هذه التفسيرات في ظروف تاريخية خاصة بعد تكوين جماعات الرفض السلبية وانتهاء جماعات الرفض الفعلية وتصفيتهما واستئصال مقاومة آل البيت والشيعية والخوارج ، ولجوثها الى الرمز والاشارة تخفيا عن الاعين ، وانتقاذها النفس دون الغير ، والباطن دون الظاهر ، ووقوعها في الحب الالهى كتعويض عن الكره الانسانى ، وقد امتاز هذا المنهج بعدة أشياء منها :

(أ) البدء بالتجربة الحية وليس بالنص ، وتجاوز منهج النقل والرواية الى منهج التجربة الباطنية : عن قلبى عن ربى أنه قال ... ، والبحث عن التجربة الحية وراء النص والتى خرج منها حتى يمكن تأويله باعادة نفس التجربة وفهمه ابتداء منها .

(ب) تحويل الوحي الى تجارب انسانية عامة بصرف النظر عن ايمان الفرد ومذهبه وملته وهى التجارب التى تشارك فيها الانسانية

(١) سهل التنرى : تفسير القرآن الكريم ، السعادة ، القاهرة ٢٠٨ هـ .
أبو محمد روزيهان : عرائس البيان فى حقائق القرآن ، الهند ، ١٢١٥ هـ .
عبد الرازق القاشانى : تفسير ابن عربى (تأويلات القاشانى) ، الاميرية ، القاهرة ١٢٨٣ هـ . أبو عبد الرحمن السامى : حقائق التفسير ، مخطوطة بمكتبة الازهر رقم ١٠٩٣ . نجم الدين داية وعلاء الدولة البيهلى : التأويلات النجعية ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٦ .

جمعاء ، حقائق وجدانية بديهية تكشف عن جوهر الانسان والحياة وتكون معادلة للوحى ، فالوحى كشف للطبيعة ورؤية للوجود وليس قهرا لها أو ادانة له .

(ج) النظر بعين الوحدة الى كل شىء ، الى قوى الانسان النظرية والعملية ، اللغوية والفكرية ، القولية والفعالية ، النظرية والوجدانية ، الذاتية والموضوعية ، الانانية والغيرية ، والوصول الى نظرية عامة فى الوحدة ، وحدة الشهود ، وحدة الوجود ، وحدة الاديان تكشف عن أحد معانى التوحيد .

(د) اعطاء الاولوية للجانب العملى على الجانب النظرى ، والبداية بالعمل من أجل الوصول الى النظر ، والتركيز على أهمية الرياضة والمجاهدة مما يجعل الصوفى نشطا متحمسا فاعلا عاملا مؤثرا مجاهدا .

(هـ) أهمية الارتقاء والحركة والتطور والاتجاه نحو القصد والهدف أو ما يسمى بالغائية ، وتحقيق هذا الهدف على مراحل وتدبر بناء على خطة يتم انجازها فى الزمان ، والقدرة على الانتظار ، والتخطيط البعيد المدى .

(و) أهمية الصراع والتنافس والتقابل والتعارض فى أحوال النفس ، ومن هذا الصراع ينشأ جدل العواطف والانفعالات من غيبة وحضور ، صحو وسكر ، هية وأنس ، خوف ورجاء ، فقد ووجد .

ومع ذلك فالمنهج الصوفى له بعض العيوب منها :

(أ) الوقوع فى التأويل بلا شروط من اللغة أو أسباب النزول حتى ابتعد التفسير عن واقعه الأسمى وأصبح غاية فى ذاته يهدف الى

اشباع الذوق النظرى والوجدانى ، واستحالة المعنى الواضح ، وتحويل الحكم الى متشابه ، والظاهر الى مؤول ، والمبين الى مجمل ، والحقيقى الى مجازى •

(ب) الايغال فى التحليلات النظرية خاصة فى التصوف النظرى ، وتحويل الوحي الى تأملات الهيئة ونظريات ميتافيزيقية ابتعدت عن الحياة العملية وليس لها أى أثر على الاوضاع الاجتماعية والسياسية •

(ج) التطرف فى الجانب الوجدانى فى التصوف العملى بعد تحوله الى علم لبواطن القلوب حتى أصبح التصوف تيارا معاديا للعقل والنظر ، وغلب عليه الكشف والالهام والعلم اللدنى ، وحل الخيال محل الفعل ، والوهم محل الواقع ، وتخيل الصوفى واهما أن التوحيد قد تحقق فى الوحدة بالفعل •

(د) اعطاء الاولوية المطلقة للداخل على الخارج وللباطن على الظاهر ، وللقلب على الجوارح ، وللذاتية على الموضوعية ، وللأخلاق الباطنية على النظم السياسية والاجتماعية الخارجية حتى استحال العمل فى العالم الخارجى •

(هـ) الوقوع فى العزلة وترك المشاركة ، واعطاء الاولوية للفرد على الجماعة وللاثنا على الآخر ، وبالتالي استحال العمل مع الجماهير وفى التاريخ باستثناء الطرق الصوفية كجماعات مغلقة •

(و) اسقاط التدبير ، والوقوع فى الجبرية المطلقة ، واسقاط الشرائع والتكاليف ، ومحو الفروق بين الاحكام الشرعية طبقا لمنظور الوحدة الشاملة ، تحريم المباح ، ورد المكروه الى المحرم ، والمندوب الى الواجب ، ثم اسقاط المحرم والواجب فى حالة الفناء •

٥ - المنهج الفلسفى :

ويظهر هذا المنهج فى التفسيرات الفلسفية والاعتزالية التى تقوم على العقل دون النقل، وتشارك المنهج الصوفى فى التأويل وان كانت تختلف معه فى منهج التأويل العقلى أم الباطنى (١) . وقد ظهرت هذه التفسيرات بعد عصر الترجمة وإطلاع المسلمين على الثقافات المجاورة ، ثم تمثلها وفهمها والرد عليها بالاعتماد على العقل والنظر وليس على النص الحرفى . وشارك فى ذلك المعتزلة أولا ثم الفلاسفة ثانيا نظرا لما بينهما من اتفاق حول منهج العقل والنظر .

وقد كان لهذه التفسيرات عدة مزايا أهمها :

(أ) تجاوز منهج النص والنقل والرواية ، ومحاولة التعرف

(١) من تفسير الفلاسفة :

الفخر الرازى : مفتيح الغيب ، الإميرية ، القاهرة ١٢٨٩ هـ .
البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الكتب العربية ، القاهرة ١٣٣٠ هـ .
النسفى : مدارك التنزيل وحقق التأويل ، السعادة ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
الخلزن : الباب التأويل فى معنى التنزيل ، التقدم ، القاهرة ١٣٢١ هـ .
أبو حيان : البحر المحيط ، السعادة ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .
الجلال السيوطى : تفسير الجلالين ، دار إحياء الكتب ، القاهرة ١٣٤٥ هـ .
الذيسلبورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، الإميرية ، القاهرة ١٣٢٢ هـ .
الخطيب الشربينى : السراج المنير ، الإميرية ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .
الالوسى : روح المعانى ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة .
ومن تفسير المعتزلة :

انقاضى عبد الجبار : تنزيه القرآن عن المطاعن ، الجماية ، القاهرة ١٣١٦ هـ .
الشريف المرتضى : آمالى الشريف المرتضى ، السعادة ، القاهرة ١٢٢٥ هـ .
الزمخشري : الكشاف ، مطبعة محمد مصطفى ، القاهرة ١٣٠٨ هـ .

على المعانى المستقلة وادراكها وايجاد الادلة على صدقها من داخل
المعنى وليس من خارجه ، حتى أصبح الوحي مرادفا للفلسفة ، لا فرق
بين الدين والفلسفة أو بين النبوة والعقل •

(ب) البعد عن التعصب وتكفير الخصوم وايتار التسامح واتساع
الافق والنظرة الشمولية ، وضم الخصوم كحالات جزئية في تصور
أعم وأشمل بل والدفاع عنهم ومحاولة اقالتهم من عثراتهم وايجاد
الاعذار لهم •

(ج) القدرة على التعامل مع الحضارات الاخرى واحتوائها
وتمثلها والرد عليها وأخذ الحقائق من أى حضارة ومن أية أمة بل
والدفاع عن فلسفة الامم الاخرى ومفكريهم وشرحهم وتعميقهم وجعلهم
روادا للفكر البشرى •

ومع ذلك فهناك بعض العيوب مثل :

(أ) الوقوع في التأمل النظرى الخالص والشطحات الفلسفية
والنظريات البعيدة عن التصديق اذ أن العقل قادر على تبرير كل شئ
وعلى السير في كل طريق وأصبح البحث عن الحكمة غاية في ذاتها •

(ب) الايغال في تحليلات العقل حتى أصبح حاويا لكل شئ
مقياسه الاتساق • تحول الواقع كله الى معقول ، ولم تعد هناك تجربة
أو واقعة أو أمر يند عن العقل • المنطق عقلى ، والطبيعات عقلية ،
والالهيات عقلية ، والشر عقلى ، والموت عقلى •

(ج) تسرب بعض آثار الفلسفات القديمة من الحضارات المجاورة

من فارس واليونان وتحويلها الى نظريات اسلامية مما أحدث تغييرا في بعض محاور الحضارة الاسلامية ومراكزها من الالهوية ، وخلق العالم ، وخلود النفس ، في حين أنها حقائق واضحة بذاتها في الوحي لم تكن بحاجة الى كل هذا العناء •

(د) ظهور بعض الجوانب الاشراقية بالرغم من سيادة العقل كما ظهر في نظريات الاتصال بالحق والفعال ونظريات الفيض أو الصدور التي تكشف عن الاشراق في المعرفة وفي الوجود ، ثم انتقال ذلك الى السياسة والمجتمع فنشأ الاشراق الاجتماعي والسياسي في « المدينة الفاضلة » من القمة الى القاعدة •

(هـ) سيادة التصور الحيوي في الطبيعة والفلك ، وظهور نظريات العقول العشرة والنفوس والافلاك ، وشوق الطبيعة وسعيها نحو معشوقها • الافلاك لها عقول ونفوس ، وبتحركاتها وأدوارها تتحكم في كل شيء على الارض ، تسجد لله ، وتسبح بحمده ، وهو من نتائج الاشراق العلمي •

(و) غياب الواقع الاجتماعي والمشاكل اليومية ، وكأن هذه النظريات كانت فلسفة للخاصة الدائرة في بلاط الحكام وحلقات العلماء لا شأن لها بفلسفة العامة وبمشاكل الناس • تنشأ في فراغ ، وتدور في فراغ كما كانت فلسفات القدماء •

٦ - المنهج العقائدي :

وهو المنهج السائد في تفسيرات المتكلمين وعلماء أصول الدين وكتب

العقائد والفرق (١) • وقد نشأت هذه التفسيرات كجزء من الممارك السياسية والتي أخذت طابعا عقائديا طالما كانت العقيدة في المجتمعات الإسلامية تقوم بوظيفة الايديولوجية السياسية • وتمتاز هذه التفسيرات بالآتي :

(أ) الالتزام بالقضايا السياسية والاجتماعية دون أن تقع في التراهاات النظرية والتأملات الميتافيزيقية ، وتوجيه العقيدة للعمل السياسي وفرض العمل السياسي نفسه على العقيدة •

(ب) التعبير عن المواقف السياسية التي تعبر بدورها عن صراع القوى الاجتماعية في المجتمع الاسلامي ، والكشف عن تاريخ الصراع الاجتماعي في أسسه النظرية في العالم الاسلامي •

(ج) صياغة مبادئ الايديولوجية الاسلامية وظهور ارهاصات هذه الصياغات في الاصول الخمسة عند المعتزلة أو في مبادئ التوحيد والمعدل عند الخوارج أو في عقائد الشيعة الامامية •

(د) استطاع البعض منها تكوين دول مثل الدولة الاموية على

(١) (تفسيرات الامامية الاثني عشرية) :

عبد اللطيف الكارزاني : مقدمة مرآة الانوار ومشكاة الاسرار ، طبع العجم ١٣٠٣ هـ . الحسن العسكري : تفسير العسكري ، طبع تبريز ١٣١٤ هـ . أبو علي الطبرسي : مجمع البيان ، طبع طهران ١٣١٤ هـ . ملا محسن الكاشي : الصافي ، طبع فارس ١٢٤٤ هـ . السيد عبد الله العلوي : تفسير القرآن ، طبع طهران ١٣٥٢ هـ . سلطان الخراساني : بيان السعادة ، طبع طهران ١٣١٤ هـ . الشوكلي : فتح القدير ، الحلبي ، القاهرة ١٣٤٩ هـ (زیدی) . محمد أطفيش : هيمان الزاد الى دار المعاد ، زنجبار ١٣١٤ هـ (خارجي) •

عقائد المرجئة ، والدولة الفاطمية على عقائد الشيعة ، والدولة الحجازية اليوم على الدعوة الوهابية ، والجمهورية الاسلامية بايران على الثورة الاسلامية .

ومع ذلك يعاب على هذه التفسيرات عدة أمور منها :

(أ) الوقوع في الشيئية في العقائد والتفسير الحرفي للنصوص وتصور العقائد على انها أشياء وليست بواعث للسلوك ، والجنة والنار على أنها أماكن ، واليوم الآخر على أنه نهاية للزمان ، والتقوى على أنها شعائر ، والايمان على أنه مظاهر .

(ب) الاعتماد على النص ، وجعل العقل لاحقاً للنص كما هو الحال عند الحشوية وأهل الظاهر خاصة وأهل السنة عامة مما جعل وظيفة العقل في تبرير المعطيات اعتماداً على سلطة الكتاب وليس في تحليل الواقع اعتماداً على نفسه .

(ج) الدخول في معارك نظرية لا ينتج عنها أثر عملي مباشر مثل الذات والصفات وخلق القرآن ، ولو أن دلالاتها الحضارية معترف بها مما دعا البعض الى « الجام العوام عن علم الكلام » واعتباره هوى ، يبعد الانسان عن العمل ويوقعه في المحذور منه أو المشكوك فيه .

(د) اخراج بعض النظريات لتبرير النظم القائمة مثل القضاء والقدر لتبرير شرعية الدولة الاموية والرضوخ لها والتسليم بها ، وعقائد الامامة من قريش ، وتأجيل العمل على الايمان استبعاداً للمعارضة القومية أو لترك العمل السياسى .

(هـ) تركيز المشكلة السياسية كلها حول موضوع الزعيم أو الامام وصفاته دون التعرض للجوانب الاخرى مثل التنظيمات الشعبية والمؤسسات الدستورية وكأن السلطة السياسية هي محور الدولة وأداة التغيير دون غيرها •

(و) القضاء على وحدة الامة من خلال التفرق والتشيع والتحزب « كل حزب بما لديهم فرحون » (٣٠ : ٣٢) ، وتكفير بعضها البعض ، فاستحال الحوار ، وسالت الدماء ، أخذ أصحابها لقب أهل الاهواء والبدع والزيغ وليس أهل الفكر والنظر والبرهان •

(ز) سادت فرقة واحدة هي فرقة أهل السنة التي تتصور التاريخ على أنه انهيار مستمر من الوحدة الى الفرقة ، ومن الايمان الى الكفر ، ومن الهداية الى الضلال ، فالسلف خير من الخلف مما دفع بالشيعية الى التصور المعارض وهو الخلاص في المستقبل على يد المهدي المنتظر ، فالتاريخ تقدم وازدهار وتفجر وثورة •

٧ - المنهج العلمي :

وهو المنهج الذي ظهر أخيرا بعد أن بدأت الامة الاسلامية دورتها الحضارية الثانية فترجمت عن الغرب من جديد • ولما كان الغرب قد أقام حضارته هذه المرة على العلم فقد بدأت ترجمات الكتب العلمية والترويج للنظريات العلمية حتى أصبح العلم أحد المحاور الجديدة في حياتنا الثقافية تقليدا للغرب وتمثلا لنظرياته العلمية وليس تأصيلا للعالم القديم • فكان من الطبيعي أن تنشأ التفسيرات العلمية للقرآن متبنية بعض نظريات العلم ورافضة للبعض الآخر بناء على تصورنا

الاسلامى المحافظ للاسلام ونقلنا للعلم الغربى دون الحصول على مقدماته وشروطه (١) .

ولهذه التفسيرات بعض المميزات أهمها :

(أ) الرغبة فى التحديث والجرأة على الجديد والاقبال على منجزات العصر ، وخروج من التقوقع على الذات ، واعادة التعلم من الغير ، وأخذ الحكمة من أى مصدر كانت حتى ولو كانت من الامم القاصية عنا مما يعطى هذا التفسير ميزة على تفسير القدماء .

(ب) احترام العلم نسبيا وتوجيه العقل نحو العلم مما يساعد على اعادة التوازن فى حياتنا القومية بين العلم والدين ، ومواجهة لون آخر من ألوان الفكر البشرى من جهد العلماء وليس فقط من عطاء الانبياء .

(ج) الملحق بآخر انجازات العلم واعادة التفسيرات طبقا لآخر النظريات العلمية ، وبالتالي الاتجاه أكثر فأكثر نحو التفسير الزمنى التاريخى المتغير فى مقابل التفسير الابدئى الدائم الصالح فى كل زمان ومكان .

ومع ذلك فان عيوب هذه التفسيرات كثيرة منها :

(أ) البداية من الآخر وليس من الذات احساسا بالدونية

(١) طنطاوى جوهرى : الجواهر فى تفسير القرآن الحكيم ، مصطفى الحلبى ، القاهرة ١٣٤٠ — ١٣٥١ هـ . أبو زيد الدمنهورى : الهداية والعرفان ، مصطفى الحلبى ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

أمامه فينشأ مركب النقص لدينا أمام الغير ، ونتحول الى مستهلكين
لحضارة الغير لا مبدعين ، ناقلين لا مكتشفين ، تلاميذ الى الابد دون
أن نكون أساتذة .

(ب) استمرار النقل المستمر الى فترة طويلة دون اللحاق
بالنظريات العلمية لان معدل انتاج الحضارة العلمية أسرع بكثير من
معدل الترجمة عنها ، فنظل لاهئين ، وتصيبنا الصدمة الحضارية ، وكلما
ترجمنا تتسع الفجوة بين الانا والغير ، ويكون التخلف هو قدرنا .

(ج) اقتلاع العلم من جذوره في الغرب وأخذ آخر منجزات
العلم دون التصور العلمى للعالم الذى ينشأ بناء على تطور العلم
 وظروف نشأته وتغييره للوعى الاجتماعى القومى لدى الشعوب ،
والشهادة فى سبيله . فأخذ العلم دون التصور العلمى يجعل العلم مجرد
ترجمات ومعارف دون أن تحدث اعادة بناء لتصورنا للعالم على أساس
تصور علمى ، ونكون كالحمار يحمل اسفارا ، مثقفين وعلماء يحملون
المعارف وعاجزين عن تحليل الواقع علميا .

(د) الانقطاع عن تراث الامة العلمى والجهل به والانفصال
عنه وهو الذى قام على تصور علمى للعالم لم يقدر له أن يعيش فى
وعينا القومى ، وهو الذى ساهم فى تطور العلم الغربى وفى احداث
التصور العلمى المصاحب له ، ولا يكفى فى هذه الحالة مجرد الفخر
بالانجازات العلمية للأباء والاجداد صناع الحضارة ، ومعامى البشرية .

(هـ) الاعجاب بالعلم دون غيره من انجازات الحضارة الغربية
فى الفن والسياسة والاقتصاد والاجتماع وأساليب الحياة ، فى حين أن

العلم الغربى أحد مظاهر الحضارة الغربية ، ومرتبطة بها ارتباط الجزء بالكل ، فأخذنا العلم دون حضارة العلم وزرعناه في بيئة ثقافية ليست بيئته فحدث التجاور في حياتنا بين الحاسب الآلى وضريح الولى •

(و) البداية بالعلم وتفسير الدين طبقا لآخر اكتشافاته يعطى العلم زمام المبادرة ويجعل الدين مجرد لاحق بالعلم • فيكون الفضل للعلم على الدين ، ويكون السبق للعلماء على الانبياء ، ويكون النبو هو العامل المحرك للمطلق ، مما يعطى العلم أكثر مما يستحق والدين أقل مما يستحق •

(ز) التوفيق بين الدين والعلم وأخذ من العلم ما يتفق مع الدين ورفض ما يخالفه (التفسير المحافظ) أو أخذ من الدين ما يتفق مع العلم (التفسير التقدمى) وبالتالي ابتسار العلم والدين معا ، وتأويل أحدهما بالآخر مما يؤدي الى سوء فهم للدين والعلم على حد سواء •

(ح) سوء فهم العلم حتى يمكنه تأييد الدين خاصة الايمان بالغيبات وسوء فهم الدين لتأييد العلم الذى يسمح بتأويل الغيبات وسوء تفسير العلم واتهام بعض نظرياته بالاحاد أو الكفر وسوء تفسير الدين لادانة العلم أو لاعلان برائته ، والوقوع نهائيا في ازدواجية المعرفة والمنهج •

(ط) تحويل الامر كله الى مكسب وتجارة من أجهزة الاعلام في مجتمعات أمية أنصاف متعلمة تتعجب من حكمة الله في المخلوقات ومن ايمان العلماء بالغيبات ، فيرسخ ايمانها المحافظ الذى يؤيده العلم ولا ترى في العلم الا تأييدا لعقائد الايمان •

(ي) اغفال القضايا الاجتماعية والسياسية التي تشغل بال الجماهير والتي عليها يتوقف حياتهما وترتبط الوعي القومي بشغله بموضوعات تبعده عن واقعه الاجتماعي والسياسي وكأن الله لا يظهر الا في الطبيعة دون المجتمع .

٨ - المنهج الاصلاحي :

وهو المنهج الذي ظهر في تفسيرات المصلحين الدينيين منذ القرن الماضي تعبيرا عن أوضاع الامة الاجتماعية والسياسية ومحاولة تغييرها والنهوض بها والقضاء على مظاهر التخلف فيها من احتلال وتفكك وتسلط وفقر وجهل وفتور ، وهو آخر المناهج صياغة وتقدما وارهاسا وتجاوزا للمناهج القدماء (١) . ويمتاز هذا المنهج بالآتي :

(أ) الالتزام بقضايا الامة الاسلامية ومحاولة النهوض بها والمساهمة في عمليات التغير الاجتماعي وعدم تحويل التفسير الى مهنة أو وظيفة بل هو رسالة ودعوة وقضية ، وسلاح ضد التسلط والتفقر والفقر وجميع مظاهر التخلف .

(ب) كان أصحاب هذا التفسير من النشطين سياسيا في مجتمعاتهم مثل محمد عبده ورشيد رضا وبالتالي نشأت تفسيراتهم من خضم

(١) الشيخ محمد عبده : تفسير جزء عم ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٣٤١ هـ .
الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا : تفسير سورة الفاتحة وست سور
من خواتيم القرآن ، المنار ، القاهرة ١٣٥٣ هـ . الشيخ رشيد رضا : تفسير
المنار ، القاهرة ١٣٤٦ هـ . الشيخ محمد مصطفى المراغي : اندروس
الدينية ، مطبعة الازهر ، القاهرة ١٣٥٦ - ١٣٦٤ هـ . الامام الشهيد سيد
قطب : في ظلال القرآن ، مطبعة الشروق ، القاهرة .

تجاربهم السياسية والاجتماعية ومن خبرات كفاح طويئ ونضال
ضد الاستعمار والتخلف والتجزئة •

(ج) تجاوز التفسيرات القديمة اللغوية والتاريخية والفقهية
والكلامية والصوفية والفلسفية والعقائدية وظهور التفسير الاجتماعى
والسياسى فيها مما جعل هذه التفسيرات صورة حية لاوضاع الامة
الاسلامية •

(د) الارتباط بجيل معين ، وبلحظة تاريخية محددة ، وفى زمان
ومكان معينين ، فبطل الادعاء بوجود تفسير صالح لكل زمان ومكان
وبالتالى اكتشاف أهمية التاريخ وقوانين التاريخ وحركة المجتمعات
وتطورها ، والتحق التفسير من جديد بعلم العمران •

ومع ذلك فقد ظلت هذه التفسيرات ناقصة لعدة أسباب منها :

(أ) لم تكن للقضايا الاجتماعية والسياسية الاولوية المطلقة
على الموضوعات العقائدية ومازالت أحد موضوعات التفسير وليس
موضوعه الرئيسى بالاضافة الى الحاقها بالاخلاق وبالايمان دون تحليلها
كموضوعات اجتماعية مستقلة لها أبنيتها المستقلة •

(ب) مازال منهج النص غالبا عليها مما نال من استقلال
الموضوعات العلمية كظواهر انسانية مستقلة عن النص ، وبالتالي لم
يكن الواقع هو البداية المطلقة ، وكان التفسير مقدمة للواقع وليس
الواقع مقدمة للتفسير •

(ج) مازال يغلب عليه التفسير الطولى وليس الموضوعى ، سورد

بسررة ، وآية بآية ، مما يشتت الموضوعات ويجزؤها ويجعلها مناشرة دون أى بناء نظرى أو مادى يجمعها وكأن الغاية هو التفسير وايس معرفة الواقع .

(د) انها اصلاحية محدودة الاثر لم تتحول بعد الى نهضة شاملة تقوم على مبادئ التنوير من عقل وحرية وديمقراطية وطبيعة وانسان وتاريخ ، وبالتالي ظلت قابعة فى ميدان العقائد حتى نشأت حركات نهضة علمانية من خارجها .

(هـ) انها حركات اصلاحية وليست ثورية تهدف الى الفهم الصحيح للعقائد وليس الى احداث انقلاب أساسى فى البنية الاجتماعية . لذلك قامت الثورات الاجتماعية من خارجها أو حاولت الانتساب اليها فى لحظات تعثرها .

(و) مازال بعض جوانب المحافظة الدينية التقليدية سواء فى العقائد أو فى التشريعات مثل « الرد على الدهريين » مما فتت الحركات الوطنية الاجتماعية وجعل أمر الوحدة الوطنية عسيرا بل وانتهى الامر الى الصدام الدموى بينها وبين الحركات الوطنية الاخرى .

(ز) لم يستمر قاداتها فى الثورة الى ما لا نهاية ، وتراجع البعض منهم ونكص على عقبيه (محمد عبده) ، كما تحولت بعض الحركات الاصلاحية الى نظم دينية محافظة مثل الوهابية فى الحجاز والمهدية فى السودان والاخوان فى مصر .

(ح) لم تتم صياغتها بعد صياغة علمية فى نطاق العلوم الاجتماعية والانسانية والتاريخية وظلت أقرب الى الدين منها الى العلم ، تتبع من الحركات الدينية وليس من الحركات الاجتماعية .

ثالثا — المنهج الاجتماعي في التفسير :

وقد أفادت مناهج القدماء في ظروف عصرهم وفي مواطن ابداعهم : اللغة والرواية والفقه والتصوف والفلسفة والعقائد • ولكن هذه الظروف قد تغيرت ، ولم يعد عصرنا لغة أو رواية أو فقه أو تصوف أو فلسفة أو عقائد بل عصر علوم اجتماعية وفي مقدمتها العلوم السياسية والاقتصادية التي بدأ المنهج الاصلاحى في الانتباه اليها مهمة جيلنا اذن هو تطوير هذا المنهج وأن يبدأ بواقع الامة وبمصالح المسلمين •

ويتصف هذا المنهج الاجتماعي في التفسير بالآتى :

١ — انه تفسير جزئى للقرآن الكريم وليس تفسيراً كائناً له على الاقل في هذه المرحلة ، أى أن المطلوب تفسيره هو رؤية حاجات المسلمين داخل القرآن وليس تفسير القرآن كله ، بصرف النظر عن حاجات المسلمين ومطالبهم • فاذا كانت مشكلتنا الرئيسية حتى الآن هو تحرير الارض ومواجهة الاستعمار فان آيات الجهاد والقتال والحرب والاعداد هى التى يكون لها الاولوية فى التفسير وليست آيات الدعة وحسن العيش والتمتع بزينة الحياة الدنيا • واذا كانت مشكلتنا اليوم هو التسلط والقهر والطغيان فان آيات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهر بالحق والتمسك به ، ورفض النفاق والثورة على الذلة والمهانة ، يكون لها الاولوية المطلقة فى التفسير على آيات الطاعة والامر بالعبودية واذا كانت مشكلتنا أيضاً هى الفقر والجوع والبؤس والشقاء والحرمان وسوء التغذية والعري والبطالة ، مشاكل المعذبين فى الارض ، فان آيات القرآن عن الملكية العامة والغنى والفقر ومنع تداول المال بين الاغنياء والاستخلاف وحق الفقراء فى أموال الاغنياء والمساواة والعدالة

الاجتماعية هي التي يكون لها الاولوية المطلقة على آيات التجارة والربح والرزق والطبقات والدرجات والكسب الحلال . واذا كانت مشكلتنا الرابعة هي لا مبالاة الناس وفتور الجماهير وخنوعها واستسلامها وكسلها ورضوخها واستكانتها وترك مصائرها بيد غيرها وقدرتها ، فان آيات الحث على النجوض ورفض الاثقال الى الارض والدعوة الى الهجرة في أرض الله الواسعة وخلافة الانسان لله في الارض ، والشهادة ، والعزة للمؤمنين ، والعلو للامة ، تكون لها الاولوية المطلقة على آيات القضاء والقدر والتسليم والتقويض والارجاء والانتظار والتوفيق والهداية والدعاء وطلب البركات . نقرأ اذن حاجتنا في القرآن ، وما لا نحتاجه لا يقرؤه جيلنا بمعنى لا يفسره لانه لن يفهمه ، فالفهم لا يتم الا طبقا لحاجة أى تجربة اجتماعية وأزمة معاشه . فاذا كنا ندعو الى العلم فاننا نفسر آيات العلم وليس آيات الفيض والالهام والكشف والفتح والبصر الحديد . واذا كنا ندعو الى الواقع فاننا نعطي الاولوية لآيات التنزيل وليس لآيات التأويل ولعالم الشهادة وليس لعالم الغيب . واذا كنا ندعو الى العقل فاننا نعطي الاولوية المطلقة لآيات العقل . واذا كنا ندعو للعمل فاننا نبرز في حياتنا آيات العمل قبل آيات الايمان والتفكر والتدبر والتأمل والنظر . واذا كانت التنمية هي مشكلتنا الرئيسية بغزو الصحراء واستخراج المياه الجوفية ، وبتخزين مياه الامطار ، واقامة السدود والخزانات والبحث عن ثروات الارض ، فان آيات الارض والماء والزراعة والخضرة والفواكه والاعناب والشجر الباسقات والاوراق والثمار تكون لها الاولوية المطلقة في وجداننا الدينى القومى . واذا كانت مأساتنا في نقص الثروة الحيوانية اللحم واللبن والبيض ، فان آيات الانعام والاسماك واللحم الطرى والطيير تبرز في وجداننا القومى تحثنا على زيادة الثروة الحيوانية .

وإذا كانت مشكلتنا هي أزمة الاسكان ، فإن آيات المسكن والبيت المستقر تجد صدًى في نفوسنا . وهكذا نجد في القرآن حاجاتنا ونفس آياته طبقاً لها ، وبالتالي يصبح القرآن كتاباً مقروءاً في الاسواق في حياة الناس اليومية ، ويأخذ معنى في جيلنا ويوفى بالغرض .

٢ — والتفسير الموضوعي للقرآن هو الاقدر على الوفاء بمقتضيات المنهج الاجتماعي وليس التفسير الطولي ونعنى به تفسير القرآن جزءاً بعد جزء ، حزباً بعد حزب ، سورة بعد سورة ، آية بعد آية ، لفظاً وراء لفظ ، حرفاً اثر حرف ابتداء من الفاتحة والبقرة حتى سورة العلق والناس (!) . نفسر ما نعرفه وما لا نعرفه ، ما نحتاجه وما لا نحتاجه ، تفسير لا في زمان ولا في مكان . وبالتالي يكون الاعتماد أساساً على المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم وتفسير الآيات كلها حول موضوع واحد نحتاجه في عصرنا ويسبب لنا أزمة ويجثم على صدورنا كهم ثقيل يكتم الانفاس . ويبنى الموضوع بطريقة تحليلية المضمون للآيات من حيث :

(أ) البناء الصوري والشكل اللغوي للآية وذلك من حيث ذكر

(١) ظهر عند القدماء بدايات التفسير الموضوعي مثل « التباين في أقسام القرآن » لابن القيم ، « مجاز القرآن » لابو عبيدة ، « مفردات القرآن » للراغب الاصفهاني ، « الناسخ والمنسوخ » لأبي جعفر النحاس ، « أسباب النزول » لأواحدى ، « أحكام القرآن » للجصاص . ولكنها تفسيرات لا تظهر فيها الموضوعات الاجتماعية والسياسية . وظهر عند المحدثين كثير من هذه الموضوعات دون تحليل شامل لآيات القرآن وبنائها في أكثر ما كتب عن الاقتصاد الاسلامي ، والنظم المعرفية في الاسلام ، وملكية الارض والثروة في الاسلام ، واحكام الربا ، وقوانين العمل والعمال ، وفي الاجتماع والسياسة ونظم الحكم .

الموضوع اسما وفعلا ، مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا ، ، هذكرا أو مؤنثا ، مفردا أو جمعا ، مضافا أو غير مضاف ، وكيفية الاضافة بالضمائر أم بالاسماء ، والضمائر هتكلم أو مخاطب أو غائب ، ومدى تكرار اللفظ حتى يمكن تحديد الموضوع ابتداء من الشكل ، فالفعل غير الاسم ، الفعل حركة والاسم ثبات ، والرفع غير النصب غير الجر ، فالرفع فاعلية ، والنصب المفعولية ، والجر اللحاق والتبعية ... الخ .

(ب) تحليل المعانى وتصنيفها فى مجموعات رئيسية حتى يمكن بناء الموضوع ، والتمييز بين المعانى الرئيسية والمعانى الفرعية ، بين الايجابية والسلبية ، بين الالهية والانسانية ، بين المعنوية والمادية ، بين الفردية والاجتماعية حتى يمكن معرفة رأى الوحي فى الموضوعات الرئيسية .

(ج) اعطاء الاولوية للموضوعات التى تلبى حاجة العصر مثل : الارض ، المال ، الفقر ، الغنى ، التقدم ، التخلف ، الامة ، العمل : الانسان ، الجهاد ، اسرائيل . بحيث يتحول وجداننا المعاصر الى نظريات وتصورات قادرة على تحليل أزمت العصر .

(د) تكوين الموضوعات كلها فى نسق عقلى محكم واحد بحيث يكون تصورا اسلاميا للعالم وحتى يمكن لمنهج اسلامى واحد أن يظهر ويتكون يدور حول الانسان والمجتمع والطبيعة والتاريخ ، وهو يلبي حاجة المسلمين فى البحث عن منهاج مستقل وتصور للكون ومنهاج للحياة ونظام اجتماعى وسياسى(١) .

(١) أنظر نموذجا لذلك فى مقالنا « المال فى القرآن » قضاليا عربية ، ١٩٧٨ . وهو منشور أيضا فى هذا الجزء .

٢ — التفسير الزمني قادر على اعطاء صورة للقرآن لجيل بعينه وليس لكل الاجيال ، وفي عصر بعينه وليس في كل العصور . فالقرآن الابدی الذي يتجاوز العصور والاجيال موجود في العلم الالهي ولكن لاوجود له في صدور الناس أو في حركة التاريخ أو في كتب المفسرين أو في أقوال الخطباء أو في نظريات العلماء . التفسير الزمني هو تفسير العصر ولا شأن له بالعصور السابقة ولا يلزم الاجيال اللاحقة ، فمثلا هو تفسير أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر مهمته الدفاع عن الانسان في عصرنا وليس عن الله في كل العصور ، ليس فقط في العمليات بل أيضا في النظريات . ولما كانت مشاكل الحياة متجددة فإن التفسيرات القديمة وليدة عصرها كما أن تفسيرنا وليد عصرنا ولا تلزم الاجيال المستقبلية بأي حال . وأي دعوى أخرى دون ذلك ادعاء باطل وغرور انساني ، ورغبة في التسلط على رقاب الناس واحتكار معارفهم واجتهاداتهم ، ونفاق وارهاب وتعصب وجهل يخفى أخطاء التفسير أكثر مما يبين صدقه .

والتفسير على هذا النحو له غاية عملية وليس غاية نظرية ، يهدف الى تغيير أحوال المسلمين وليس الى اكتشاف حقائق نظرية ، فالصدق في التفسير هو التغيير والاثار « فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » (١٣ - ١٧) . فالتفسير مرتبط بالمسلمين في التاريخ ولا يبحث عن الاسلام كحقيقة أبدية خارج التاريخ فهذه الحقيقة لا توجد الا في بطون المسلمين . لقد نشأ الوحي نفسه في الزمان ، وتطور في الزمان ، من اليهودية الى المسيحية الى الاسلام . وتطورت الكتب المقدسة في الزمان من صحف ابراهيم ومزامير داود

وتوراة موسى وانجيل عيسى والقرآن الذى نزل على محمد • كما أن القرآن نزل منجما على ثلاث وعشرين عاما بادئا بالعقيدة ثم الشريعة ، بالآيات المكية ثم المدنية • بل ان الشريعة ذاتها بها ناسخ ومنسوخ طبقا للقدرة • والزمان داخل فى الشريعة الاسلامية فى العبادات : الصلاة فى أوقات ، وجوبا أو قضاء ، على الفور أو على التراخى ، والصيام فى أوقات معلومة ، والحج فى أشهر معلومة ، والشهادة فى كل وقت ، والتكليف فى الحياة وما نحتاجه هو تفسير زمنى لجيلنا ، ينفعنا ، ويحل مشاكلنا ، ويتوجه الى مآسينا •

٤ — التفسير الواقعى الذى يبدأ من واقع المسلمين وحياتهم ومشاكلهم ومآسيهم وأحزانهم ومصائبهم وهزائمهم لا يبدأ من فراغ بل يبدأ من مشكلة • فالوحي لا يعطى مجانيا بلا فائدة بل لحل قضية حارت فيها العقول والافهام ولم يقدر الا القليل على حلها برؤية صائبة وحس مرهف كما كان الحال مع عمر بن الخطاب • وهذا مشهود فى « أسباب النزول » أى أولوية الواقع على الفكر ، والحركة على الثبات ، فالحل مغير للواقع وليس مثبتا له أو مبررا اياه • والتفسير الواقعى لا يتحدث عن الاسلام العام الخالد الذى لبس له مكان ولا زمان والذى يطير فوق الواقع ولا يحل مشاكل الناس • التفسير الواقعى لا يقوم بالدفاع عن الله ، فالله غنى عن العالمين أو عن الاسلام فان لهذا الدين ربا يحميه ، بل يدافع عن المسلمين الذين لا يدافع عنهم سواهم • فما أسهل الحديث عما ينبغى أن يكون وما أصعب تغيير ما هو كائن • وقد يهدف التفسير العام الى التعمية والتغطية والتمويه على ما يدور فى الواقع ، وعلى ايثار السلامة والحرص على لقمة العيش خشية وخشية وسلامة • كما قد يدل على العجز عن المواجهة مادامت

البضاعة لا تتعدى الكلام ، ويضع الناس في نظام مثالي ينعمون به ويرنون اليه يجدون فيه تعويضا وعزاء عن واقعهم المظني الاليم .

٥ — التفسير بالمعنى والقصد وليس بالحرف واللفظ . فالوحي مقاصد كما يقول الاصوليون القدماء ، وبواعث واتجاهات وأهداف كما يقول المحدثون . فالكليات الخمس ، المحافظة على النفس والعقل والدين والعرض والمال هي مقومات الحياة الخمس . فالمصلحة أساس الشرع ، لا ضرر ولا ضرار ، والضرورات تبيح المحظورات ، والاشياء في الاصل على الاباحة ، والاشياء قبل ورود الشرع على البراءة الاصلية ، والانسان خير بالفطرة ، والاسلام دين العقل والطبيعة ، ودين الحرية والمساواة ، وان ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ، وأن العمل وحده مصدر القيمة ، وأن البشر سواسية كأسنان المشط ، وأن لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى والعمل الصالح ، وأن الانسان حر ومختار ومسؤول وأنه قادر على ادراك الحقائق بالعقل ، وأنا قادر على التمييز بين الخير والشر . . الى كل ذلك من مبادئ انسانية عامة وحقائق موحى به تطابق العقل والطبيعة وتكون أساسا للتفسير وتقوم فيه مقام البديهيات والاوليات والمصادرات . فما الفائدة من تناول التحسينات أو الحاجيات دون الضروريات باصطلاح القدماء ؟ وما الفائدة في المماحكات اللفظية والتفريعات الجزئية والكليات الاساسية غائبة عن الازهان ؟

٦ — التفسير بالتجارب الحية التي يعيشها المفسر ، فالنفسير جزء من الحياة والحياة مادة علم التفسير ، ولا تفسير ان لم يكن لدى المفسر تجارب ، يعيش حياته ، ويحيها بصدق ، يتأزم ويتألم ، يفرح ويحزن ، يشقى ويسعد . فالتفسير ليس مهنة أو بضاعة أو تجارة بل

هى أزمة فى المعرفة ، وحيرة فى السلوك ، وبحث عن المعنى ، وتغيير
للأوضاع • لذلك كانت تفسيرات الصوفية بالرغم من عيوبها تفسيرات
صادقة تتم بناء على تجارب • وهنا أيضا تأتى أهمية التفسيرات
الاصلاحية التى تعبر عن تجارب الاصلاح والثورة والتغير الاجتماعى •
والنصوص الدينية فى أصلها تجارب معاشة ، استشهاد الانبياء ، وخوف
الانتقاء ، وطغيان الملوك والامراء ، وصراع القوى الاجتماعية المتعارضة ،
والشد والجذب بين قوى التخلف وقوى التقدم • فيعقوب تبيض عيناه
من الهم فهو كظيم ، ويوسف فى غيابات الجب ، ومع امرأة العزيز ،
وفى السجن ، وموسى هارب يترقب ، ويونس فى بطن الحوت ، وعيسى
نفسه حزينه حتى الموت ، ونوح يدعو على قومه ، وابراهيم فى النار ،
ومحمد باخع نفسه على أن يؤمن قومه ، والمؤمنون يمسخهم القرح ،
يحزنون ويخافون • وقد عبر الصوفية عن ذلك أصدق تعبير فى الاحوال
والحالات النفسية المتعارضة مثل القبض والبسط ، الخوف والرجاء ،
الصحو والسكر ، الهيبة والانس ، الغيبة والحضور • الخ • أما
التفسير المهنى الوظيفى الذى يتم من فوق المنابر ومن أعلى المصاطب ،
ويملأ الصفحات لاطهار المعارف والعلوم كلها تفسيرات لا تخرج من
القلب ، ولا تكتب بالدم ، ولا تغير قيد أنملة من حياة الناس •

٧ - رصد مشاكل الواقع حتى يمكن بدأ التفسير منها • ويحدث

ذلك على النحو الآتى :

(أ) اذا كان نهج التفسير الاجتماعى يبدأ من واقع المسلمين ،
دفاعا عن مصالح الامة وحلا لازماتها ، ومواجهتها قضاياها الاساسية .
كان لابد أولا من رصد مشاكل الواقع • ولا يتم ذلك الا بتعاون علماء
الاجتماع والسياسة والاقتصاد أى باشتراك العلوم التى تقوم باحصاء

مشاكل الواقع الاجتماعى وهو بالنسبة لنا : تحرير الارض من الصهيونية والاستعمار ، الحرية والديمقراطية ضد التسلط والطغيان ، التنمية ضد التخلف والفقر ، تجنيد الجماهير ضد السلبية والفتور .

(ب) وضع نظام للاولويات لهذه المشاكل دون أن يمنع ذلك من السير فى جميع الجبهات . فمثلا يأتى أولا تحرير الارض وما يتطلبه ذلك من اقامة جبهة وطنية وتأجيل الصراع الاجتماعى الى حين . فحركة التحرر الوطنى تحتاج الى جهد الجميع . ثانيا الحرية والديمقراطية مما يسمح بحرية الرأى والتعبير للجميع ، والسماح بتعدد الآراء واختلاف وجهات النظر ، ويكون المحك فى النهاية لاكثر الحلول قدرة وشمولا وعمقا وبقاء . ثالثا ، التنمية ضد جميع مظاهر التخلف من فقر وأمية وجهل وما يتطلبه ذلك من اعادة توزيع ثروة البلاد وتحقيق أكبر قدر ممكن من المساواة والعدالة الاجتماعية . رابعا ، تجنيد الجماهير ضد السلبية والفتور واللامبالاة ، وأخذ مصائرنا بأيديها ، وتوجيه حكائها ، وقيامها بمهمة المراجعة والرقابة .

(ج) الاعتماد على التحليل العلمى وتبنى الحلول الواقعية التى تقوم على التطور والتدرج ، والاقتداء بالمنهج الاصولى فى تحليل العلل ، والبحث عن العلة الفاعلة أو المؤثرة أو الملائمة أو المناسبة . واتباع طرق السبر والتقسيم ، وهو أكثر المناهج علمية ويقوم على التجريب والاحصاء كما وضعه علماء الاصول القدماء .

(د) السماح باختلاف الآراء ، وتعدد الاتجاهات ، وعادة ما يكون الرأى الاسلامى أوسع الآراء أفقا وأشملها نطاقا ، وأبقاها زمانا ، وأكثرها عمقا ، وأقواها أثرا وفاعلية ، وأقصرها وقتا ، وأقلها

جهدا • وتعدد الحق في العمليات وارد على رأى القدماء • فالوحدة الوطنية يرعاها الاسلام ويقويها ويحرص عليها •

(هـ) تحقيق ذلك بالفعل ، فلا فرق بين باحث ومناضل ، بين عالم ومكافح ، النظرية للعمل والنظر للتطبيق • وقد كان الفقهاء من هذا الطراز ، رجل علم وعمل ، فقيه دين وقائد أمة •

٨ — الوضع الاجتماعى للمفسر هو فى النهاية الذى يحدد نوعية التفسير فالخلاقات بين التفسيرات هى فى نهاية الامر اختلافات بين الاوضاع الاجتماعية للمفسرين • فكل مفسر ينتمى الى طبقة اجتماعية ، وكل تفسير يكشف عن ولائه لطبقته • والذى يحدد موقفه الكلى هو الآتى :

(أ) موقف المفسرين من الواقع ، هل هو مبرر له أم ثائر عليه ؟
يبنى التعايش والارتزاق أم له رسالة وعليه مسؤولية قيادة الامة ؟
يرتكز اليه ويؤثر السلامة وحسن الختام أم يتصدى لمصالح المسلمين مدافعا عنها لا يخشى فى الله لومة لائم ؟

(ب) هل هو جزء من النظام السياسى مستفيد منه باعتباره موظفا أم هو خارج النظام غير مرتبط به ؟ هل هو موظف أم مواطن ؟ يأخذ من الدولة أم يعطبها ؟ تفرض عليه من حتميتها أم يفرض عايتها حرية ؟

(ج) هل هو من الطبقة العليا أم من الطبقة الدنيا ؟ هل يدافع عن مصالح طبقة أو فئة أو قوم أو انه يعبر عن مصالح المسلمين ويلبى احتياجات جماهير الامة ؟ وهذا لا يمنع من أن ينتسب بدخله الى طبقة

وبوعيه الى طبقة أخرى ، فليس المهم هو الدخل الطبقي بل الوعي الطبقي •

(د) هل ينبغي جاها أو منصبا أو شهرة أو مالا أم ينبغي التجرد التام ورعاية مصالح الامة والنزاهة المطلقة والعمل لوجه الله ؟ فالعلماء ورثة الانبياء ؟ هل ينبغي الرئاسة في الدنيا أم الخلود في التاريخ ؟

رابعاً — خاتمة :

قد يقال ان المنهج الاجتماعي في التفسير عليه عدة محاذير أو يؤدي الى عدة مخاطر أو تثار عليه بعض الشبهات أو توجه اليه بعض الاتهامات^(١) • وهى كلها أوهام تعلق بذهن العامة من جراء أجهزة الاعلام وآثار الثقافة الغربية في بلادنا وتخويفنا من مفاهيم التقدم حتى يبقى مفهومنا للدين محافظا تقليديا تستغله النظم الحاكمة لصالحها ضد مصالح الشعوب • وأهم هذه المخاطر :

(أ) العلمانية • وذلك لان المنهج الاجتماعي يبدأ من واقع المسلمين ولا يبدأ من الدين ، ويغوص في مشاكل الدنيا ، ويعتبر العقائد كتصورات للعالم وكبواعث للسلوك ، ويجعل الاسلام في خدمة المسلمين • والحقيقة أن هذه ليست علمانية بل ليس الوحي الاسلامي الذي لا يفرق بين الدين والدنيا • العلمانية لفظ غربى خالص يعبر عن مسألة غربية خالصة وهو رفض سلطة رجال الدين • والاسلام

(١) انظر كتبنا : « التراث والتجديد » ، موقفنا من التراث القديم « ص ٥٦ — ٧٤ ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨٠ •

دين علمانى منذ البداية لانه ليس به رجال دين • علمانية معطاء من
الداخل بوضع الهى وليست مكتسبة من الخارج بجهد انسانى •

(ب) الالحاد • وذلك لان المنهج الاجتماعى لا يتطرق الى
موضوعات دينية مستقلة عن الالوضاع الاجتماعية ، ولا يتناول
موضوعات الله والايمان واليوم الآخر بل لا يتعرض الا لموضوعات
تحرير الارض والحرية والديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية
وتجنيد الجماهير • لا يتعرض لعالم الغيب ويقتصر على عالم الشهادة ،
وينظر الى الدين من منظور انسانى خالص • والحقيقة أن الالحاد ،
كالعلمانية ، مفهوم غربى خالص ، الهدف منه العودة الى الدنيا واكتشاف
عالم الحس والشهادة بعد أن غالت الديانات التى سادت الغرب
ممارسة أو ثقافة فى عالم الغيب والاسرار • الاسلام منذ البداية دين
يقوم على الحس والمشاهدة ومجرى العادات وليس به أسرار أو
غيبيات تتد عن العقل ، وليس به آخرة منفصلة عن الدنيا أو روح
منفصل عن المادة •

(ج) الماركسية • وذلك لان المنهج الاجتماعى فى التفسير يبدأ من
المشاكل الاجتماعية للناس ، ويواجه قضايا التحرر الوطنى ، والمساواة
والعدالة الاجتماعية والتحرر من القهر والتبسط ، ويعمل على تجنيد
الجماهير فى حزب طليعى ، ويعى معارك القوى الاجتماعية وصراع
المطبقات ومراحل التاريخ ، وأهمية العوامل المادية فى تفسير سلوك
الافراد والجماهير ، والحقيقة أن هذه ليست ماركسية • ولماذا نعطى
الماركسية أكثر مما تستحق ونعطى مفكرينا القدماء من علماء أصول
الفقه أقل مما يستحقون وهم الذين بحثوا عن العلل المادية المؤثرة فى

السلوك ؟ لقد كان أول من اعتنق الاسلام هم العبيد والفقراء والمساكين والمعذبون في الارض ، فقد وجدوا في الاسلام الحرية والعدالة والمساواة ، وحررهم من الخوف والتسلط والقهر من أشرف مكة وأغنيائها ، وجندهم في جيوش المسلمين لفتح البلدان وتحرير البشر من الطاعون .

(د) التغريب . طالما أن المنهج الاجتماعي له هذه الصفات فإنه يكون مماثلاً لما تم في الغرب من حركات علمانية والحادية وماركسية وعقلانية وحرية وطبيعية وديمقراطية ، وإن ذلك مناف لما عليه مجتمعاتنا من تدين وإيمان وروحانية والهامة وغيبية وطاعة لأولى الأمر . والحقيقة أن كفاح الغرب في العصور الحديثة ضد التسلط الفكري والديني في العصر الوسيط الذي دفع ثمنه من دماء العلماء والمفكرين هو كفاح في سبيل مثل الاسلام ومبادئه التي وضعها قبل ذلك بأربعة عشر قرناً من الزمان . فإذا كان الغرب قد بدأ نهضته بالاحياء في القرن الرابع عشر وبالإصلاح الديني في الخامس عشر ، وبالنهضة في السادس عشر ، وبالعقلانية في السابع عشر ، وبالتنوير في الثامن عشر ، وبالعلم والثورة الصناعية في التاسع عشر ، وبالوجود الانساني والثورة التكنولوجية في القرن العشرين فإن الاسلام قد ضم هذه المبادئ كلها في الوحي . فاعترف بالآداب والديانات القديمة ، وأنكر سلطة رجال الدين والرهبانية والكهنوت ، وجعل الانسان في علاقة مباشرة بينه وبين الله دون وساطة ، وجعل الانسان خليفة الله في الارض ، وجعل للعقل سلطاناً على كل شيء ، وأقام المجتمع الاسلامي على مبادئ الحرية والعدالة والمساواة ، واعترف بقوانين الطبيعة

وقدرة الانسان للسيطرة عليها وتسخيرها لمنفعته في الدنيا ، وأثبت رسالة الانسان في الحياة وبأنه محور الكون وصورة الحقيقة في الوجود « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (١٧ : ٧٠) (١) .

(١) انظر دراستنا الثلاث السابقة عن التفسير : « هل لدينا نظرية في التفسير ؟ » ، « أيهما أسبق : نظرية التفسير أم منهج في تحليل الخبرات ؟ » ، « عود الى المنبع أم عود الى الطبيعة ؟ » قضايا معاصرة (١) في فكرنا المعاصر ص ١٧٥ — ١٧٦ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ .

اختلاف في التفسير أم اختلاف في المصالح ؟

يخطئ من يظن أن تفسيراً معيناً للدين هو الدين في ذاته .
فالتفسيرات متعددة ولكن الدين واحد وكلها شرعية لأنها تعتمد على
نصوص الدين ، ولا احتكار في التفسير ، ولا تكفير لاحدها دون الآخر .

ولكن كيف تكون التفسيرات مختلفة والدين واحد ؟ هل ترجع
التفسيرات الى خلاف في وجهات نظر مجردة أم أنها ترجع الى اختلاف
في المصالح ؟

والحقيقة أن قارئ النصوص الدينية ليس عقلاً مجرداً بل هو
إنسان ، يعيش في مجتمع ، وله مشاكله وظروفه ومصالحته . ولا يمكن
أن يقرأ النص إلا من خلال هذا الوضع النفسي الاجتماعي سواء
في اختيار النص أو في فهمه . ولما تعددت المواقف والظروف والمصالح
والطبقات للمفسرين ، تعددت أيضاً تفسيراتهم . فليس الخلاف حول
معنى موضوعي للنص المستقل بل هو اختلاف المواقف الاجتماعية
والمصالح التطبيقية للمفسرين . اختلاف التفسيرات يرجع أساساً الى
اختلاف المصالح ، واختلاف المصالح يرجع في النهاية الى التركيب
الطبيقي للمجتمع .

كتب هذا المقال أيضاً في ١٩٧٨ لجريدة الاهلي ، وأعيدت صياغته من
المسودة الأولى في خريف ١٩٨٧ . انظر أيضاً « مناهج التفسير ومصالح
الامة » في هذا الجزء .

فاذا كان في المجتمع ثلاث طبقات ، لكل منها مصلحته الخاصة تكون لدينا ثلاث تفسيرات :

١ — تفسير الطبقة العليا ، وينتقى من النصوص ما يدافع به عن التركيب الطبقي للمجتمع مثل : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » ، « ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات » ، مخرجين النص من السياق • فقد تعنى الدرجات هنا درجات العلم وليس درجات الربح • وهو التفسير الذى يدافع عن الملكية الفردية ، وعن النشاط الاقتصادى الحر مادام الانسان يكسب بالحلال ، ويخرج الزكاة حتى ولو وصل ربحه الى المليون وتجاوزه • وهو التفسير الذى يتبناه رجال الاعمال وأصحاب رؤوس الاموال ، بناء المساجد ، ودعاة التقوى والايمان ، وأصحاب برامج العلم والايمان وتفسير القرآن الذين يسرق من منازلهم بعشرات الالوف من الجنيئات المجوهرات والحلى الثمينة !

٢ — تفسير الطبقة المتوسطة ، وهو التفسير الذى يدعو الى حفظ النظام ، وعدم التغيير ، والابقاء على الوضع القائم ، « وأطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » • والطبقة المتوسطة بطبيعتها انتهازية ، تبغى مصلحتها ، تستفيد من الطبقة العليا ، فهى المنفذة لاوامرها والمبررة لافعالها ، والمتطلعة لانماط سلوكها فى حركة صاعدة سلمية كمكافأة لها على بذل الخدمات • وتستفيد أيضا من الطبقة الدنيا ففى التى تقضى لها المصالح وتحقق لها الرغبات ، وتطبق أو لا تطبق لها القوانين • فتأخذ الرشاوى والعمولات ، وتستغل حاجات الناس ، وتعيش على مآسى الآخرين •

٣ — تفسير الطبقة الدنيا ، وهى طبقة الاغلبية ، الطبقة الكادحة ، وهو تفسير يعتمد على ابراز حق الاغلبية ، دعائه قليان ، وأنصاره مضطهدون ، وفكره محاصر ، ومتهمون بالشيوعية والالحاد ، وبالكفر والانحلال ، وبالدموية والخروج على القانون ، وبقلب نظم الحكم بالتتظيمات السرية وبعملاء الاتحاد السوفيتي ، وبمنفذى المؤامرات الدولية ! وهم الذين يعودون الى مصالح الناس كأصل التشريع كما يقرر الشرع ، ويرون العقائد متصلة بحياة الناس • فالإيمان بالله أمان من الجوع والخوف « فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » • تنهار المجتمعات بتشديد القصور فوق الآبار المعطلة ، « وبئر معطلة ، وقصر مشيد » • وهو التفسير الذى يقول بملكية الدولة لوسائل الانتاج (الماء ، والكأ ، والنار) وبالإصلاح الزراعى ، وبسياسة للاجور تتناسب مع الجهد فى العمل ، وبالإعتماد على الذات ، وبالتخطيط لصالح الاغلبية •

ولما كان لا يوجد مقياس نظري لمعرفة التفسير الصحيح ، وكان الخلاف فى التفسيرات النظرية هو فى الحقيقة اختلاف فى المصالح ، فان التفسير الصحيح انما ينتج عن صراع القوى الاجتماعية • ويكون السؤال هو : لصالح أية طبقة يتم حسم الصراع الاجتماعى ، الطبقة العليا أم الطبقة المتوسطة أم الطبقة الدنيا ؟ وما هى القوى الاجتماعية القادرة على حسم هذا الصراع ؟

المال في القرآن (تحليل المضمون)

ان طريق التنمية اللارأسمالى فى البلاد النامية مرتبط أشد الارتباط بترائها القديم وبثقافتها الوطنية • ولما كان هذا التراث وهذه الثقافة فى جوهرها دينية ، أصبح من الضرورى معرفة موقف الدين من التنمية ، وكيف يمكن أن يساهم فى تكوين نظام اقتصادى يرعى مصالح الاغلبية • وترداد الاهمية اذا ما عرفنا كيف يستغل الدين فى البلاد النامية لصالح النظم الرأسمالية بالتركيز على التفاوت فى الرزق كمظهر من مظاهر القدر الالهى ، وعلى الاستثمار القائم على الربح ، وعلى الملكية الخاصة بلا حدود أو شروط ، وعلى النشاط الاقتصادى الحر مادام صاحب رأس المال يؤدى ضريبة المال أو العقار فى صورة الزكاة • فأصبح الدين وسيلة لتدعيم النظام الرأسمالى أمام أعين الجماهير ، ولا تستطيع له دفعا •

مهمتنا هنا هى تقديم بديل آخر عن تصور الدين لآحد مظاهر النشاط الاقتصادى ألا وهو المال لمعرفة ما اذا كان تصور الدين للمال أقرب الى التصور الرأسمالى أم الاشتراكى أم أنه تصور خاص يمكنه تطوير المجتمع وتنمية موارده الاقتصادية على نحو رأسمالى بالضرورة دون الوقوع فى التصورات الاشتراكية الطوباوية أو الدينية أو الخلقية • قد يحتوى الدين على تصور علمى للمال ووضعه فى المجتمع وصلته

قضايا عربية ، السنة السادسة ، العدد الاول ، يناير - ابريل ، كانون الثانى - نيسان ١٩٧٩ • وكان قد كتب أولا لنشره فى مجلة « الفكر الاشتراكى » التى كانت ترمع دار الثقافة الجديدة نشرها فى عددها الاول الخاص عن الطريق اللارأسمالى للتنمية فى البلاد النامية •

بالنشاط الانساني ، وقد يكون هنا التصور أكثر تطابقا مع وجداننا القومي أكثر من أى تصور نظرى آخر فى أحد النظم الاقتصادية . وعلى هذا النحو ، لا يتهم هذا التصور بأنه مستورد أو دخيل أو أنه لا ينبع من تراثنا وتربتنا وأخلاقنا وروحنا كما هو معروف فى التهمة الشائعة التى تلصق بكل تصور لا رأسمالى للدين .

وسنعمد على تحليل لفظ « المال » فى القرآن دون ما دخول فى نظريات الفقهاء فى المال خشية الوقوع فى قيل وقال ، وخشية ضياع وحدة التحليل فى خضم اختلافات الفقهاء ، وحتى لا تأخذ الدراسة طابعا تاريخيا سيكون حتما ناقصا (١) . سيكون الاعتماد الاساسى على اللغة العربية وعلى بدهاة العقل وعلى الاحساس بالعصر والشعور بمتطلباته ، أى أننا سنصف آيات المال باعتبارها تجارب شعورية جماعية فى وجداننا القومي . سأحاول أن أعيد بناء تراثنا الدبنى القديم ممثلا فى مصدره الاساسى وهو القرآن طبقا لحاجات العصر وعلى رأسها التنمية بالطريق اللارأسمالى ، وهو الطريق الذى يفرضه أيضا الدخل القومي المحدود ، وغياب رؤوس أموال كبيرة تكون دعامة للتنمية بالطريق الرأسمالى ، وكأن تراثنا القديم فى جوهره ومنشئه يطابق واقعنا ، ويتفق معه فى طريق التنمية .

وسأبدأ أولا بتحليل لصورة الآيات أعنى أشكالها اللغوية ثم أتنى بتحليل المضمون أى معانيها من أجل الانتهاء الى تصور عام للمال فى « القرآن » أى فى آخر مرحلة من مراحل الوحي الذى اكتمل فيها وأصبح أيديولوجية .

(١) انظر فى ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام : كتاب الاموال ، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م .

أولا : تحليل الصورة :

١ — ذكر لفظ « المال » في القرآن في صورته المختلفة ٨٦ مرة أى أنه موضوع مهم تناوله الوحي بالبيان والتفصيل وليس موضوعا عارضا ، ويعادل موضوع النبوة (ذكر لفظ « النبی » بصوره المختلفة ٨٠ مرة) كما يعادل موضوع الوحي (ذكر لفظ « الوحي » بصوره المختلفة ٧٨ مرة) . فالحديث عن « المال » في الوحي حديث أصيل وليس اسقاطا من مذاهب معاصرة عليه ، وليس شذا للوحي الى مذاهب مغايرة له ، وليس استعمالا للوحي ، حتى يقول ما يريد صاحب مذهب أن يقول .

٢ — وقد ذكر لفظ « المال » في القرآن في صورتين مختلفتين : مرة غير مضاف الى الضمائر (المال ، مالا ، الاموال ، أموالا) ٣٢ مرة ، ومرة أخرى مضافا الى الضمائر (ماله ، ماليه ، أموالكم ، أموالهم) ٥٤ مرة ، مما يدل على أن المال قد يكون له وضع مستقل في العالم عن النشاط الانساني ، لا يضاف الى أحد ، فردا أو جمعا ، وقد يدخل في علاقة مع الآخرين ، في صورة نشاط وجهد واستثمار . والمال المستقل عن النشاط ينبىء عن أنه وضع طبيعي ، لا يمتلكه أحد ، بل موضوع في الطبيعة أو واقعة مستقلة . فكل مال لا يمتلك بالضرورة بل هو موجود قبل نشاط الانسان في مقولة الوجود وليس في مقولة الملكية . فكل محاولة لاثبات ملكية المال تغفل وضع المال المستقل غير المضاف الى الضمائر ، وتجهل وضع المال كظاهرة طبيعية في العالم في صورة ثروات طبيعية في الارض قبل أن تدخل في أية علاقة مع الانسان ، المال هنا مجرد امكانية للعمل والنشاط وليس فقط واقعا دافعا على هذا النشاط . ولما كانت الاضافة أكثر شيوعا من عدم الاضافة (٥٤ — ٣٢)

كانت علاقة المال بالآخرين هي محور نظرية المال ، أى المال المستغل ، المستثمر ، بعد أن أصبح طرفا في علاقة مع الانسان . المال لا يدخل في بطن الطبيعة بل يستغله الانسان ، لذلك لا يمكن اكتناز المال أو تخزينه أو منعه من السيولة والحركة ، فالمال للاستعمال وليس للاكتناز ، المال حركة وليس سكونا ، المال طرف في علاقة مع الانسان من حيث هو نشاط وحركة ، وفعل وجهد ، وطاقة وتولد . فاذا كانت البلاد النامية تعاني من نقص في الاستثمار الداخلى بالرغم من وجود المال في أيدي الطبقات العليا بما يتمتعون به من قوة شرائية ضخمة تسمح لهم باستهلاك الاموال أو بتفريغها أو باستثمارها في عقار غير منتج أو مضاربة أو عمولة أو سمسة ، فكل ذلك اكتناز للمال دون جهد ونشاط . ومن هنا أتى تحريم الربا ، لان المال لا يولد المال تلقائيا بل الجهد هو الذى ينمى المال ويكثره .

٣ — ويذكر لفظ « المال » غير مضاف في صورتين : مرة نكرة (مالا ، أموالا) ١٧ مرة ، ومرة معرفة (المال ، الاموال) ١٥ مرة مما يشير الى أن المال معروف وليس مجهولا ، وأنه معلوم وليس خفيا (هذا بالاضافة الى المال المعروف بالاضافة الى الضمائر) . فالمال يدخل في نظام اقتصادى ونعرف مصدره واستثماره وتنميته ومآله . لا يترك المال هباء لا ندري من أين أتى ؟ وكيف تكاثر ؟ وأين انتهى ؟ بل يدرس ، ويتقن مساره . فالمال له نظرية يقوم عليها وليس مجرد موضوع أو شيء يخفى ويستتر . وقد يكون التعريف بألف ولام التعريف (المال ، الاموال) ٧ مرات وقد يوكن بالاضافة (مال الله ، مال اليتيم ، أموال اليتامى ، أموال الناس) ٨ مرات مما يدل على أن التعريف بالمال لا يأتي من كونه موضوعا طبيعيا معروفا في العالم

بل يكون تعريفه بنسبته الى الآخرين ، والآخرين هم الناس أولا (ذكرت « أموال الناس » ٤ مرات) ثم أموال اليتيم واليتامى ثانيا (ذكر مال اليتيم مرتين ، وأموال اليتامى مرة) ثم مال الله ثالثا (ذكر مال الله مرة واحدة) • فالمال للناس أى للجماهير وللعمامة وللأغلبية ولأصحاب المصلحة الحقيقية وعلى رأسهم اليتامى والمحتاجون ومن لا عائل لهم وليس للمكتفين الذين تفيض الأموال عن حاجتهم • فالمال لا يكون الا عند صاحب الحق ، والحق يتحدد بالحاجة • والمال هو أيضا مال الله وليس ملكا لاحد ، ولم يظهر في القرآن ولو مرة واحدة أن المال هو مال الاغنياء والمترفين !

٤ — ويذكر لفظ « المال » غير المضاف في صيغتين : مرة مفردا (المال ، مالا) ١٨ مرة ، ومرة جمعا (الاموال ، أموالا) ١٤ مرة • فالمال قد يكون مفردا وقد يكون جمعا عندما يتراكم ، ولكن المال في صيغة المفرد أكثر شيوعا من المال في صيغة الجمع ، مما يدل على أن تراكم المال في أموال يكون أقل حدوثا • فاذا حدث فانه يكون للاستثمار ، وتكون أموال الناس ، فالتراكم لا يكون للفرد ، خاصة وأن كل الحالات التى أضيف فيها المال في صيغة « أموال » كانت لنسبتها الى الناس في صيغة « أموال الناس » •

٥ — ويذكر لفظ « المال » غير مضاف في حالات الاعراب الثلاث ، مرة مرفوعا (مرتين) ، ومرة منصوبا (١٧ مرة) ومرة مجرورا (١٣ مرة) • فالمال لا يأتى مرفوعا الا فيما ندر ، أى أن المال لا يمكن أن يكون فاعلا أو مبتدأ أو خبرا ، لان المال لا يفعل من تلقاء ذاته بل يفعل من خلال الجهد الانسانى ، (تحريم الربا) ولا يكون مبتدأ أو خبرا لان المال ليس موضوعا ولا محمولا في قضية خبرية بل هو

موضوعا للنشاط والجهد • وفي المرتين اللتين ذكر فيهما « المال » مرفوعا أخذ معنى سلبيا مثل « المال والبنون — زينة الحياة الدنيا » (١٨ : ٤٦) أى يكون المال لا قيمة له ، يكون ظاهرا خادعا ، وعرضا لا جوهرًا أو مثل « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » (٢٦ : ٨٨) فالمال هنا ليس بذى منفعة في المواقف المصيرية حيث يتحدد فيها عمل الانسان ، وحيث يتم فيها تقييم جهده ونشاطه ومسار عمره ، فالمال ليس مقياسا للتقييم بل العمل هو المقياس ، ولا يغنى الكم عن الكيف ، ولا الموضوع عن الذات ، ولا الامكانية عن التحقق •

فاذا أتى لفظ « المال » مجرورا فانه يكون أكثر شيوعا من وروده مرفوعا (١٣ — ٢) فان الجر يأتي اما بالاضافة مثل « ذا مال » أو بالعطف مثل « وأموال اقترفتموها » • والاضافة والعطف لا يدلان على وضع اللفظ ، فالمضاف اليه يرجع الى وضع المضاف ، والمعطوف يرجع الى وضع المعطوف عليه • ولكن الاهم هو ورود اللفظ مجرورا بحروف الجر (١١ مرة) مما يدل على أن المال في حركة مستمرة منه واليه • وذلك لان حروف الجر المستعملة قبل اللفظ هي اما « من » (٥ مرات) ، واما « ب » (٣ مرات) ، واما « في » (٣ مرات) ، فالجر بالحرف « من » هو الشائع وهو يدل على سحب المال وأخذه واسترجاعه مثل « ولم يؤت سعة من المال » (٢ : ٤٧) أو « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال » (٢ : ١٥٥) أو اعطائه للآخرين مثل « وآتوهم من مال الله » (٢٤ : ٣٣) أو أخذه أو سحبه من الآخرين ظلما وعدوانا مثل « لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (٢ : ١٨٨) • والجر بالحرف « ب » يدل على اعطاء المال وعدم استبقائه أو حجزه • وقد يكون هذا العطاء لشراء الذمم والافساد

كالرشوة مثل « أتمدونن بمال » (٢٧ : ٣٦) أو لامتحان الشعور
ومعرفة صلابة الذات واختبار القدرات من أجل التوعية لها وتقوية
نشاطها مثل « وأمددناكم بأموال وبنين » (١٧ : ٦) أو « ويمددكم
بأموال وبنين » (٧١ : ١٢) ، أما الجر بالحرف « في » فانه يشير
الى أن المال يجمع بين الحركتين معا ، الاخذ والعطاء ، الدفع والجذب
من وإلى ، وهو ما يسمى بالمشاركة مثل « وشاركهم في الاموال » (١٧ :
٦٤) ، وهي حركة المال الخارجية ، أو التكاثر وهي حركة المال الداخلية •
وحركة المال الداخلية سلبية مثل « وما آتيتم من ربا ليربو في أموال
الناس » وهو التكاثر بلا جهد ونشاط وعمل واجتهاد ومثل « وتكاثر
في الاموال » (٥٧ : ٢٠) أي تكاثر الاموال بلا غاية أو هدف بل من
أجل التكاثر والاكتناز وليس من أجل التنمية والتطوير •

أما اذا أتى المال منصوبا فهو أكثر حالات الاعراب شيوعا من
الرفع والنصب (٢ — ١٣ — ١٧) ، وهو يدل على أن المال موضوع
للنشاط وانه يقع عليه الفعل ، وأنه طيع في يد الانسان • وقد يأتي
أولا بمعنى سلبى ، وضعا لارتباط الشعور بالمال ، وادانة له مثل
« وتحبون المال حبا جما » (٨٩ : ٢٠) حتى يظل الشعور الانساني
مستقلا عن طرفه الآخر وهو المال • فجمع المال ليس هدفا في ذاته دون
استثمار « الذى جمع مالا وعدده » (١٠٤ : ٢) وليس صرفه هدفا
في ذاته فذاك استهلاك بلا انتاج « يقول أهلكت مالا لبدا » (٩٠ :
٦) ، وليست كثرة المال في ذاتها قيمة للانسان ، بل القيمة في نشاطه
وعمله « وقال لاوتين مالا وولدا » (١٩ : ٧١) أو « وجعلت له مالا
ممدودا » (٧٤ : ١٢) • كما أن كثرة المال أو قلته ليست زيادة في
القيمة الذاتية للانسان أو نقصانها ، فالكم ليس مقياسا للكيف « أنا

أو أكثر منك مالا » (١٨ : ٣٤) أو « أنا أقل منك مالا » (١٨ : ٣٩)
أو « وأكثر أموالا » (٩ : ٦٩) أو « زينة وأموالا » (١٠ : ٨٨) أو
« أكثر أموالا وأولادا » (٣٤ : ٣٥) • وقد يأتي ثانيا بمعنى عدم
الاقترب من أموال الآخرين وهم المحتاجون واليتامى والناس ، وليس
من بينهم الاغنياء ، مثل « ولا تقربوا مال اليتيم » (٦ : ٣٤) أو
« ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما » (٤ : ١٠) أو « وأكلهم أموال
الناس بالباطل » (٤ : ١٦١) أو « ليأكلون أموال الناس بالباطل »
(٩ : ٣٤) • فالمال للحاجة ، ومكانه الطبيعي عند المحتاج ، وأخذ المال
من المحتاج هو قضاء على الحياة ، والمال من أجل المحافظة على الحياة
واستمرارها • وقد يأتي ثالثا بمعنى اعطاء المال ، والتخلي عنه ،
واعطائه لمن هم أشد حاجة من الانسان مثل « وآتى المال على حبه
ذوى القربى واليتامى والمساكين » (٢ : ١٧٧) أو القيام بالافعال
تحقيقا لرسالة وليس انتظارا لاجر مثل « يا قوم لا أسألكم
عليه مالا ، ان أجرى الا على الله » (١١ : ٢٩) • هذه المعانى الثلاثة
للفظ « المال » فى حالة النصب تثبت أولا استقلال الشعور الانسانى
عن المال ، ثم تؤكد ثانيا ضرورة محافظة الانسان على هذا الاستقلال
وذلك باعطاء المال من هو فى حاجة اليه ، ثم تبرز فى النهاية ضرورة
اعطاء المال لمن هو فى أشد حاجة من الانسان ، واثار الآخر على
النفس • فاستقلال الشعور ليس واقعة فقط بل هو واقعة يحافظ عليها
بالحركة والنشاط ، وبمقاومة الرغبة فى الاستحواذ على ما لدى الآخرين ،
وباثار الآخر على الذات • فالحاجة هى التى تحدد اتجاه المال وحركته
بين الناس • فيتجه المال الى من هو فى حاجة اليه •

٦ — أما « المال » المضاف الى الضمير فانه يذكر مرة مضافا الى ضمير المفرد (ماله ، ماله) ٧ مرات ، ومرة أخرى يذكر مضافا الى ضمير الجمع في صيغة الجمع (أموالكم ، أموالنا ، أموالهم) ٤٧ مرة أى أن المال لا يدخل في علاقة كثيرة مع الفرد بل انه علاقة جماعية (٧ — ٤٧) • فاذا ما دخل في علاقة مع الفرد فانه يكون مالا مفردا وليس أموالا بالجمع ، فالفرد لا يمكنه أن يجمع المال ؛ بل أن تراكم الاموال يكون من عمل الجماعة •

٧ — ويكون « المال » مضافا الى ضمير المتكلم مرة واحدة (ماله) أو الغائب (ماله) ست مرات ولكنه لا يكون أبدا مضافا الى ضمير المخاطب في صيغة « مالك » • وكأن الذى له المال أما أنا المتكلم بنسبة ضئيلة أو هو الغائب بنسبة كثيرة تربو على ستة أضعاف • فالمخاطب لا مال له والمتكلم له مال نسبي أما الغائب فهو الذى له كل المال تقريبا وبالتالي تكون هناك طبقات ثلاث :

١ — طبقة المعدمين ، وهم المخاطب ، الذين لا يملكون شيئا ، وهم الجماعة الحاضرة الموجودة التى تحتاج الى من يخاطبها والتى هى مهياة لحياة الوعي والادراك •

٢ — طبقة الفقراء ، وهم المتكلم ، الذين يملكون أقل القليل ، وهى الطليعة الواعية التى بالقدر الذى تملك تكون فى تحالف مع الطبقة الأدنى ، طبقة المعدمين •

٣ — طبقة الاغنياء ، وهم الغائب ، الذين يملكون كل شيء تقريبا ، والذين يكونون طبقة مناقضة لطبقتى المعدمين والفقراء ، فالطبقة

م ٩ — اليمين واليسار فى الفكر الدينى

المتوسطة اذن أقرب في تحالفها الى طبقة الفقراء منها الى طبقة
الاغنياء .

فاذا ما أضيف « المال » الى ضمير المتكلم (ماله) فانه يشير
الى استقلال شعور الانسان عن المال ، وأن قلة المال أو كثرته لم تؤثر
في وعى الانسان « ما أغنى عنى ماله » (٦٩ : ٢٨) .

واذا ما أضيف الى ضمير الغائب (ماله) فانه مرة يكون فاعلا
(٣ مرات) ومرة يكون مفعولا به (٣ مرات) ولكنه لا يكون مجرورا
أبدا مما يدل على أن احتفاظ الفرد الغائب بماله بصورة ثابتة لا يؤخذ
منه شيء هو أمر غير طبيعي . فالمال لا يسكن بل هو في حركة دائبة
منه واليه طبقا لنشاط الانسان وفعله . وفي حالة كونه فاعلا فانه يكون
قيمة سلبية ولا يكون بديلا عن شعور الانسان واستغلاله ولا عن عمله
ونشاطه « ما لم يزد ماله وولده الا خسارا » (٧١ : ٢١) أو « وما
يغنى عنه ماله اذا تردى » (٩٢ : ١١) أو « ما أغنى ماله وما كسب »
(١١١ : ٢) . وفي حالة كونه مفعولا به فانه يشير أيضا الى نفس
الحقيقة السابقة وهي أن خلود الانسان لا يكون بما جمع من مال بل
أيضا بما عمل بالمال وكيف استثمره « يحسب أن ماله أخذه » (١٠٤ :
٣) . فاذا ما تم الانفاق منه رغبة في دفع المال وتحريكه فان هذا الانفاق
يكون في صورة نفاق ورياء ، تسكينا للجماهير أو مزايدة في الدين أو
تأجيلا لثورة ، هذه « كالذى يتفق ماله رثاء الناس » (٢ : ٢٦٤) ،
ولكن السبيل الى الانفاق هو اعطاء حق الآخر من المال في الزكاة
« الذى يؤتى ماله يتركى » (٩٢ : ٢٨) .

٨ — أما لفظ « المال » المضاف الى ضمير الجمع في صيغة الجمع

(٢٧ مرة) فانه يضاف الى ضمير المتكلم مرتين (أموالنا) ، والى ضمير المخاطب ١٤ مرة (أموالكم) والى ضمير الغائب ٣١ مرة (أموالهم) مما يدل على ان المتكلمين ليس لديهم أموال وأن المخاطبين يأتون في الدرجة الثانية ولكن الغائبين هم الذين يكتنزون الاموال (٢ — ١٤ — ٣١) • هناك اذن طبقات ثلاثة :

١ — طبقة الفقراء ، وهم نحن، المتكلمون ، الذى لا يملكون مالا تقريبا الا فى أقل القليل ، فالمال لا يوجد فى أيدي من يطالبون به ، ومن لا مال لهم هم الذين يتكلمون ، وطلب المال حق لمن لا مال له • وحتى فى هذين الاستعمالين ، مرة يكون المال مرفوعا ليدل على استقلال الشعور عنه « شغلنا أموالنا » (٤٨ : ١١) ، ومرة يكون مجرورا اعلانا عن المشاركة فى الاموال « أن نفعل فى أموالنا ما نشاء » (١١ : ٨٧) •

٢ — الطبقة المتوسطة ، وهم أنتم ، المخاطبون الذين يملكون بعض الاموال • فالتوجه بالخطاب الى الحاضرين ضرورة من المتكلمين الذين لا يملكون شيئا • فالخطاب الاجتماعى كلام ممن لا مال له الى من له مال • وفى استعمال هذه الصيغة يأتى مرة اللفظ فاعلا أو مبتدأ (أربع مرات) لاثبات استقلال الشعور عن المال ، وان المال لا يكون بديلا عن قيمة الشعور الممثلة فى الجهد والنشاط « انما أموالكم وأولادكم فتنة » (٨ : ٢٨) ، (٦٤ : ١٥) • كما أن المال ليس سبيلا للرقى والتقدم بالضرورة. بل قد يؤدى الى التخمّة والترف « وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى » (٣٤ : ٣٧) • وكل مشروع يجعل من كثرة المال وسيلة للرفاهية والترف وبديلا عن الالتزام بمبدأ والدفاع عن قضية يكون مشروعا مفلسا « يا أيها الذين آمنوا ، لا تلهكم

أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » (٦٣ : ٩) • ثم يظهر اللفظ مرة أخرى مفعولا به (٥ مرات) مبينا حق الآخر في المال وعدم الاعتداء على أموال المحتاجين ، وعدم أخذها زورا وبهتانا ، سرقة ونصبا واحتيالا بالتلاعب بالأسعار أو باحتكار الأسواق ، « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » (٢ : ١٨٨) ، (٤ : ٢٩) ، فذلك اكتناز للمال ، وإضافة مال إلى مال ، وتجميع لرؤوس الأموال « ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » (٤ : ٢) • كما تبدو أهمية استثمار المال دون صياغة ، واستثماره فيما هو منتج وليس فيما هو مستهلك ضائع ، فضياع المال في الاستهلاك سفه ، واستثماره في الانتاج زيادة ونماء ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » (٤ : ٥) فقيام المال بالاستثمار ، وضياع المال بالاستهلاك • فلذا ما حدث الاستثمار بنشاط الانسان وجهده ينمو المال ويكثر ، وينصبح الاجر مطابقا للجهد « وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم » (٤٧ : ٣٦) • وأخيرا يظهر اللفظ أيضا مجرورا (٥ مرات) للتأكيد مرة ثانية على ضرورة عدم استغلال رأس المال لجهد الآخرين ، وعلى الكف عن هذا الاستغلال عندما يولد المال المال بلا جهد ، وعلى ارجاع رأس المال للانسان والا صادرت السلطة الشرعية « وان تبتم فلکم رؤوس أموالکم تظلمون ولا تظلمون » (٢ : ٢٧٩) ، وذلك من أجل إعادة استثمار المال بلا استغلال لجهد الآخرين « أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين » (٤ : ٢٤) • وأفضل استثمار للمال هو بذله في قضية عامة تهم مصالح المسلمين وعلى رأس القضايا جميعا ، الجهاد « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم » (٩ : ٤١) ، « وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » (١١ : ٦١) فذاك هو الاختبار

الحقيقى لطريقة استعمال الانسان للمال « ولتبلون فى أموالكم وأنفسكم »
(١٨٦ : ٣) •

٣ — طبقة الاغنياء ، وهم الغائبون الذين يملكون المال والثروة .
كالملاك الغائبين ، والمهربين ، وأصحاب رؤوس الاموال ، وهم الطرف
المقابل للطبقة الفقيرة والطبقة المتوسطة ، وهم الذين يشار اليهم باصبع
الاتهام ، بأنهم كثره الاموال • ومن حيث الاستعمال يأتى لفظ
« أموالهم » مرفوعا (٥ مرات) للإشارة الى أن كثر المال ليس بديلا
عن جهد الانسان ونشاطه وعمله « لن تغنى عنهم أموالهم » (٣ : ١٠) ،
(٣ : ١١٦) ، (٥٨ : ١٧) ، والى أن كثرة المال لا تدل على قيمة فى
ذاتها « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » (٩ : ٥٥) ، (٩ : ٨٥) •
ويأتى اللفظ مرة أخرى منصوبا (١٢ مرة) للإشارة الى استحالة أخذ
أموال اليتامى ، وهم المحتاجون ، وأن من يكتزون الاموال انما قد
كنزوها حتما من أموال المحتاجين « وآتوا اليتامى أموالهم » (٤ : ٢)
أو « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم » (٤ : ٢) أو « فادفعوا اليهم
أموالهم » (٤ : ٦) أو للحث على انفاق المال وعدم اكتنازه ، وضرورة
سيولته واستثماره ، فالمال للمحتاج ، والمال للانفاق « مثل الذين ينفقون
أموالهم » (٢ : ٢٦١) ، (٢ : ٢٦٥) أو « الذين ينفقون أموالهم فى
سبيل الله » (٢ : ٢٦٢) • هذا الانفاق من أجل قضية ، ومن أجل
تحقيق هدف والحصول على نتيجة « ان الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم » (٩ : ١١) • فاذا حدث ذلك أتت أموال الاغنياء
الى من ينفقها فى سبيل الغاية « وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم »
(٢٧ : ٣٣) • أما الانفاق من أجل التظاهر الاجتماعى أو من أجل

المزايدة في الدين وادعاء التقوى ، أو من أجل الحصول على مصلحة أكبر فهو نفاق ورياء » والذين ينفقون أموالهم رياء الناس « (٤ : ٣٨) • وكذلك الانفاق من أجل هدم المبدأ واعاقة تطبيقه ومن أجل استغلال الناس واستبعادهم فهو مقاومة للحق واستعمال المال ضد الأمانة وليس من أجلها » ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليضدوا عن سبيل الله « (٨ : ٣٦) • وأخيرا يأتي اللفظ مجرورا من أجل بيان سيولة المال وحركته وعدم ثبوته وسكونه في خزائن أصحاب المال • فالمال للانفاق من أجل القضية « وبما أنفقوا من أموالهم » (٤ : ٣٤) ، والمال للجهاد في سبيل الله وليس تكسبا بقضايا الدين « والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم » (٤ : ٩٥) ، « فضل الله المجاهدين بأموالهم » (٤ : ٩٥) ، « وجاهدوا بأموالهم » (٨ : ٧٢) ، (٩ : ٨٨) ، (٤٩ : ٢٥) ، « وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم » (٩ : ٢٠) ، « أن يجاهدوا بأموالهم » (٩ : ٤٤) • والذين لن يجاهدوا بأموالهم ستضيع أموالهم اما بالخصائر الطبيعية أو بثورات المعدمين ضدهم « ربنا اطمس على أموالهم » (١٠ : ٨٨) • والمال للمشاركة ، وهو ملك للجميع ، لكل فرد حق فيه • « والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » (٧٠ : ٢٤) ، « وفي أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » (٥١ : ١٩) • وذاك أمر تشريعي وليس متروكا للصدقة أو للزكاة أو للاهسان « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (٩ : ١٠٣) • فقال الملاك الغائبين هو في نهاية الامر مال الجماعة لا يجوز لاحد أن يستحوذ عليه أو أن يمتلكه •

ثانيا : تحليل المضمون •

وينتهى تحليل المضمون ، تحليل معانى الآيات بصرف النظر عن صورتها الى نفس النتيجة السابقة • ويمكن حصر هذه المعانى فى مجموعات ثلاث :

١ — المال مال الله يورثه لمن يشاء من عباده الصالحين • فملكية المال فى الاسلام لله وحده ، وضعه الله بين أيدينا وديعة نصرفه فيما أمر الله له أن يصرف ، للمحتاجين والفقراء أى لمن لا مال لهم ، « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » (٢٤ : ٣٣) ، المال وديعة بين يدى الانسان لا يجوز له الاستحواذ عليه « فاذا آتستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » (٤ : ٦) • ويتم نقل المال الى المحتاج علنا ، فذاك حقه العلنى « فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم » (٤ : ٦) • فحركة المال ليس فيها سر ، ولا تتم عن طريق التسرب أو الخفاء أو ما يسمى ببلغتنا عن طريق « التولييب » • فالمال مال الله يوجه الى الآخرين ، وليس ارثا أو احتكارا أو ملكا لاحد • حركة المال وانتشاره تخضع لقوانين اجتماعية وليست حقا مكتسبا لفرد دون فرد ، فاذا ما خضع المال لهذه القوانين أصبح فى يد الجماعة التى تستثمره لصالح الجماعة « وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها » (٣٣ : ٢٧) • وبتعبير آخر ، المال مشاركة بنص القرآن « وشاركهم فى الاموال » (١٧ : ٦٤) وليس استحواذا • المال يتحرك بين الافراد كتحرك الماء بين الاوانى المستطرقة طبقا للحاجة وليس من أجل الزيادة ، وطبقا للاستثمار وليس من أجل الاكتناز • فاذا ما حاول أحد أو جماعة وقف حركة المال تدخلت السلطة الشرعية وفكت حصار المال ، وأخذت حق الآخرين فيه « خذ من أموالهم صدقة

تطهرهم وتركهم بها » (٩ : ١٠٣) ، والصدقة ليست احسانا أو تصدقا أو تفضلا بل هي حق الآخر في مال الفرد ، وإعادة إنشاء لشعور الفرد وعودته الى وضعه الطبيعي ، وقضاء على اغترابه عن المجتمع وانحرافه عن القانون الطبيعي للمال وهو حركته الاجتماعية ، وهو ما يسمى بلغة الاخلاق أن الصدقة طهارة للنفس وتركية لها . والزكاة نفسها في العبادات هي تأكيد على حق الآخر في المال « ويتجنبها الاشقى ، الذي يؤتى ماله يتركى » (٩٢ : ١٨) . وليس المقصود منها رشوة اجتماعية وسياسية حتى يترك الانسان بماله يفعل ما يشاء ما دام قد دفع مر ٢٪ من ماله المخزون الذي مر عليه الحول دون حركة ، بل المقصود هو التأكيد على حق المجتمع في المال وعلى ضرورة استثماره دون خزنه واكتنازه . بل أن حق الآخر في مال الفرد نص صريح لا يحتمل تأويلا أو تخريجا « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (٧٠ : ٢٤) ، ومرة أخرى « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (٥١ : ١٩) . ومشاركة الاموال بين الناس ، وحق الآخر في مال الفرد هو الغاية من العبادات وعلى رأسها الصلاة ، والصلاة احساس بالآخر غير المتعين وهو الله ، ومشاركة المال هو احساس بالآخر المتعين وهو الذي لا مال له « أصلائك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » (١١ : ٨٧) .

لذلك استحال أن يضيف الغنى الى أمواله مال الفقير ، أو أن يأخذ من له مال حق من لا مال له « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » (٤ : ٢) حتى لا يتراكم رأس المال وحتى يظل المال سائلا بين أيدي الناس ، متحركا في الجماعة . فإضافة مال الآخر الى مال الفرد اثم وعدوان ، وظلم وبهتان « لتأكلوا فريقتا من أموال

الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (٢ : ١٨٩) • فالاثم والزور والبهتان والبطلان ليس في العبادات وحدها بل أيضا في خروج المال على نظام استعماله وعلى مساره الاجتماعي « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » (٢ : ١٨٨) ، أو « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » (٤ : ٢٩) • فالإيمان مساو لاستعمال المال حسب الشرع ، وحركة المال بين الناس دون استحواذ تعبير عن الإيمان •

ولا فرق في الاستحواذ على أموال الناس بين رجال الدين ورجال الدنيا ، بين السلطة الدينية والسلطة السياسية ، فكلاهما قد يوقفان حركة المال « ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل » (٩ : ٣٤) ، وهو ما يفسر تاريخيا باستمرار تواطؤ السلطتين الدينية والسياسية على أكل أموال الناس مما يسبب الثورة الاجتماعية التي تعيد الحركة الى المال •

والآخر هو الفقير المحتاج الذي لا عائل له ، الممثل باليتيم • فاليتيم هو الذي فقد عائله ولم يعد له سند الا من الجماعة • هذا اليتيم له حق في ماله ، ان كان له مال ، وهو حق الحاجة والفاقة ، ولا يمكن الاقتراب من ماله ، فالمال يستعمل عند الحاجة ، الحاجة هي التي تحدد الملكية ، وليست الملكية هي التي تحدد الحاجة • لا توجد ملكية مجردة بل توجد حاجة ملموسة يجوز عندها استعمال المال وتصريفه « ولا تقربوا مال اليتيم » (٦ : ١٥٢) ، (١٧ : ٣٤) • وأكل مال المحتاج الذي لا عائل له هو أكل للنار في البطون أي كسب حرام « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا » (٤ : ١٠) • ومن يفعل ذلك يستبدل الخبيث بالطيب ، والحرام بالحلال « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » (٤ : ٢) •

ويتم استثمار المال بالجهد والنشاط وبالعمل ، فالمال امكانية حركة ونشاط ، وسيلة للانسان كي يظهر بها قواه ، ويحقق بها امكانياته . ولكن المال لا يولد المال . ولهذا حرم الربا لانه اكل لاموال الناس بالباطل ، وزيادة في الممال بلا جهد أو عمل أو كد أو نصب « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » (٤ : ١٦١) . فزيادة المال كما لا تعنى نماء الانسان كيفاً ، وذلك لان النشاط هو الذى يغير الكيف « وما أتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله » (٣٠ : ٣٩) . فالربا استغلال لحاجات الآخرين ، وتكاثر فى المال بلا زيادة مقابلة فى الانتاج ، وتسرب الاموال من المحتاجين الى الذين لديهم فائض فى الاموال . والتوبة من الربا تعنى استرداد الفرد لرأسماله وارجاع ربح المال الى المستدين « وان تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » (٢ : ٢٧٩) . استثمار المال اذن يتم بنشاط الانسان ، وبعرقه وكده « ان تبتغوا بأموالکم محصنين غير مسافحين » (٤ : ٢٤) ، ويتم الاستثمار بالترشيد والتنظير وحسن التصرف « ولا تؤتوا أموالکم التى جعل الله لکم قیاما » (٤ : ٥) . فالمال من أجل القيام أى الانتاج والزيادة وليس من أجل الاستهلاك والنقصان . فاذا كان الربا أجرا بلا عمل فان نشاط الانسان قد يكون عملا بلا أجر لان نشاطه يهدف الى تحقيق رسالة ولا يهدف الى تحقيق ربح . فالربح ليس هو الدافع على النشاط بل الدفاع عن قضية ، والانتصار لبدأ « يا قوم لا أسألكم علیه مالا ان أجرى الا على الله » (١١ : ٢٩) . فاذا عمل الانسان من أجل قضية ، تحقيقا لهدف ، وتأدية لرسالة فانه لن يعدم ما يقيم به حياته « وان تؤمنوا وتتقوا يؤتکم أجورکم ولا یسألكم أموالکم » (٤٧ : ٣٦) .

٢ - تأكيداً على المشاركة في الاموال ، وتطبيقاً لحركة المال في المجتمع ، كلما ذكر المال ذكر الانفاق له ، والجهد بل ، والبذل منه في سبيل الله أى في سبيل المصلحة العامة ، وخدمة للقضية التي بها عموم البلوى كما يقول الفقهاء • « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء » (٢ : ٢٦١) • والانفاق لا يعنى الصدقة بل يعنى استثمار المال وذيوعه وحركته وعدم اكتنازه أو خزنه « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، ونسباً من أنفسهم كمثل حبة بربرة » (٢ : ٢٦٥) • فالانفاق هنا أيضاً لا يهدف الى الربح بل الى خدمة القضايا العامة • ويتم هذا الانفاق سرا وعلانية فقط بغية الشهرة أو الحصول على مصلحة أكبر « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ، سرا وعلانية ، فلهم أجرهم عند ربهم » (٢ : ٢٧٤) • فما أكثر الانفاق الذي يتم رياء ونفاقاً أو من أجل الحاق الاذى والاضرار بالآخرين واستغلالاً لهم ، على عكس « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم » (٢ : ٢٦٢) • وفي الانفاق يتميز فرد عن فرد ، ويتفاضل مؤمن عن مؤمن ، فالتفاضل والتمايز ليس في قدر المال بل في قدر الانفاق أى المساهمة بالمال من أجل المصلحة العامة • وبهذا المعنى وحده يفضل الرجال والنساء بما أنفقوا من أموالهم « بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » (٤ : ٣٤) • أما الانفاق ضد المصلحة العامة وصدا عن سبيل الله فهو الكفر بعينه « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » (٨ : ٣٦) • فالكفر ليس هو الكفر النظري بل هو كيفية انفاق المال في تخريب الذمم والضمائر ، رشوة للناس ، وفي غرس قيم الترف والنعيم التي هي أبعد ما تكون عن قيم النضال ، وتحقيق الرسالة •

وانفاق المال هو جهاد في سبيل الله مقرون بجهاد النفس .
« انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم » (٩ : ٤١) .
والجهاد بالمال وصف لواقع مثل « وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم
وأنفسكم » (٦١ : ١١) . كما هو تقرير لسأوك ماض « ان الذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » (٨ : ٧٢) .
كما هو أمر في الحاضر . فالجهاد بالمال لا يعرف وقتا ولا زمنا .
والذى يريد التشبه بالرسول فليعمل بالجهاد وبالمال ، وليس فقط باقامة
الشعائر واطالة اللحى « لكن الرسول والذين معه جاهدوا بأموالهم
وأنفسهم » (٩ : ٨٨) . والجهاد بالمال يتم عن اقتناع وليس عن رغبة
في نتيجة الجهاد ومآل المال ، فالعمل التاريخي عمل طويل ، والاستثمار
التاريخي قد لا يبدو في التمرر اللحظة « ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله » (٤٩ : ١٥) كما أن الايمان بالقضية ايمان
يقيني لا رغبة فيه حتى يتم الجهاد بالمال عن يقين أيضا . ويكون الجهاد
بالمال على قدر الطاقة ، وقليل المال يعظم بتكرار البذل والعطاء من
الآخرين « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم » (٩ : ٤٤) . وكما يتفاضل الناس بالانفاق فانهم
يتفاضلون أيضا بالجهاد بالمال « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير
أولهم الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » (٤ : ٩٥) .
فالفاضل ليس في الطبقات الاجتماعية أو في المناصب الادارية أو في
الوجاهة الاجتماعية بل في الجهاد بمال الفرد في سبيل القضية العامة ،
التحرر للبلد المحتل ، والتنمية للبلد المتخلف « فضل الله المجاهدين
بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » (٤ : ٩٥) . وقد يصل حد
الجهاد بالمال الى الجهاد بكل المال عن طريق تركه كلية والسعي في سبيل

الله تحقيقا للرسالة ، ودفاعا عن القضية ، فالانسان لا يرتبط الا بالهدف
« الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله » (٥٩ :
٨) • وهنا لا يكون فقد المال خسارة بل يكون وجودا للذات ، وانتصارا
للمبدأ ، ودفاعا عن الحق ، واعلانا عن استقلال الانسان « ان الله
اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » (٩ : ١١١) •

٣ — بعد التأكيد على شيوع المال ، وعلى ضرورة الانفاق له
والجهاد به ، تأتي الحقيقة الثالثة وهي اعلان استقلال الشعور
الانسانى • فالذى يحب المال مدان لانه يربط شعوره بشيء آخر
غير القضية « وتحبون المال حبا جما » (٨٩ : ٢٠) • فإذا ما أحب
الإنسان المال أكثر من التزامه بالمبدأ ودفاعه عن القضية انوار البناء
الاجتماعى وتوقفت حركة التاريخ « قل ان كان ••• وأموال اقترفتوها •
وتجارة تخشون كسادها ••• فتربصوا حتى يأثم الله بأمره »
(٩ : ٢٤) • فالشعور السوى هو الذى ينفق المال ويجاهد به على
حبه للمال « وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين »
(٢ : ١٧٧) • وهو الشعور الذى لم يغتر بالمال ولم يرضخ له •

والمال ليس قيمة فى ذاته بل قيمته من الجهد المبذول فى استثماره
« الذى جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخذه » (١٠٤ : ٢ — ٣)
أى فى استقلال الشعور عن المال • كما أن المال ليس بديلا عن التصور
الصادق للحياة ، فالمال لا يغنى من الادراك والمعرفة والا لا يصبح
الانسان « غنى حرب » ! « أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا
وولدا » (١٩ : ٧٧) • فالكم ليس بديلا عن الكيف ، والموضوع ليس
بديلا عن الذات ، والمادة ليست بديلا عن الشعور • والمال لا يعصم
من الانهيار ، فالبناء لا يتم الا بالكيف « ذرنى ومن خلقت وحيدا ،

وجعلت له مالا ممدودا ... سأرهقه صعودا » (٧٤ : ١٢ - ١٧) •
المال ليس بديلا عن بناء الشعور واتجاهه ، وجمع المال لا يعنى
بالضرورة زيادة الوعى أو قيمة العمل أو تطور المجتمع • ونقص المال
ليس نقصا فى القيمة نظرا لاستقلال الشعور عن المال « ونحن أحق
منه بالمالك ، ولم يؤت سعة من المال » (٢ : ٢٤٧) • فالمال فى حركة
دائبة ، يقل ويكثر ، لا يثبت على حال معين ، هو شىء عارض محض
لا تتوقف عليه قيمة الانسان • قلة المال اذن قد تعنى عظم قيمة
الشعور ، واستقلال الانسان « ان ترنى أنا أقل منك مالا وولدا فعسى
ربى يؤتيني خيرا من جنتك » (١٨ : ٣٩) • بل ان نقص الاموال قد
يكون وسيلة لازدهار الشعور ، وطريقة لاعلان استقلاله ، وشحذا
لهمته ، « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال »
(٢ : ١٥٥) • فنقص المال لدافع لحركة الجماعة واشارة بالبنان الى من
لديهم المال الفائض « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم » (٣ : ١٨٦) •
فذلك جزء من التجربة الاجتماعية • وبالتالي يستحيل الفقر الدائم
كما يستحيل الغنى الدائم •

وكما ان نقص المال ليس بديلا عن استقلال الشعور ، فان كثرة المال
لا تعنى بالضرورة استقلال الشعور وقيمة عمله ، اذ الكم لا يغنى عن
الكيف « فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا » (١٨ :
٣٤) • المال مجرد زينة للحياة أى شىء عارض فى مقابل الشعور وهو
الشىء الثابت الجوهرى « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » (١٨ : ٤٦) •
المال كالنسل مظاهر خارجية للحياة « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتنافس بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد » (٥٧ : ٢٠) • وكما
يكون نقص المال شحذا للشعور تكون زيادة المال ضياعا للشعور ، ولتمثله

للمبدأ والتزامه بالقضية « أمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا »
(١٧ : ٦) • وتكون كما بلا كيف « ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم
جنات » (٧١ : ١٢) • فكثرة المال قد تعنى النهاية والفناء كما حدث الآن
في مجتمعات الوفرة والرفاهية « أيحسبون أننا نمدهم من مال وبنين ،
نسارع لهم في الخيرات » (٢٣ : ٥٥) • وبتعبير قرآني ، قد تكون كثرة
المال فتنة كما أن قلة المال ابتلاء « واعلموا انما أموالكم وأولادكم
فتنة » (٨ : ٢٨) • وقد تصبح كثرة المال نقمة لا نعمة اذا ما اعتبرها
صاحبها بديلا عن العمل ، وقبمة في ذاتها • « عئل بعد ذلك زعيم ، أن
كان ذال مال وبنين » (٦٨ : ١٤) • وكلما زاد المال زادت الخسارة
بزيادة الطغيان ، والعمى الذهني « ربى انهم عصوني واتبعوا من لم
يزده ماله وولده الا خسارا » (٧١ : ٢١) • وقد كان فرعون كثير
المال ولكن هذه الكثرة لم تغنه عن العقل والفضيلة « انك آتيت فرعون
وملاه زينة وأموالا في الحياة الدنيا » (١٠ : ٨٨) • فكثرة المال
وكثرة النسل ما هي الا ظاهر في الدنيا لا يجوز الحكم عليه طبقا
للجوهر « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » (٩ : ٥٥) • كثرة المال
قد تزيد من قسوة القلب وتبعد الانسان عن طريق الوعي والفضيلة
« ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم » (١٠ : ٨٨) •

والمال ليس سبيلا للخلاص ، وليس بديلا عن العمل الصالح ،
فالكم لا يغني عن الكيف ، والموضوع ليس بديلا للذات ، والمادة لا
تغني عن المعنى ، والشئ ليس بديلا عن النشاط « يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » (٢٦ : ٨٨) • المال ليس بديلا
عن الوعي « أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا »
(١٩ : ٧٧) • والمال ليس بديلا عن الرؤية الصادقة والادراك السليم

والحسن البديهي « ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً » (٣ : ١٠ ، ١١٦) • واستهلاك المال لا يغنى الانسان عن بذل طاقته في العمل الصالح « يقول أهلكم مالا ليدا » (٩٠ : ٦) • ولن يستطيع المال حفظ صاحبه من السقوط والتردى « وما يغنى عنه ماله اذا تردى » (٩٢ : ١١) •

والمال كالسلطان لا يغنيان عن العمل الصالح « ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه » (٦٩ : ٢٨ — ٢٩) • والتاريخ شاهد على انهيار الشعوب التي اعتمدت على قوة المال وحده « كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً » (٩ : ٦٩) • لن تغنى كثرة المال أو النسل من الانهيار والسقوط ، نقوانين التاريخ وحركة المجتمعات ثابتة « وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين » (٣٤ : ٣٥) • بل ان صاحب المال لا يستطيع أن يتقرب بماله أو أن يترقى بما يكتنز • فالصعود الاجتماعى من حيث الغنى لا يقابله صعود معنوى من حيث القيمة « وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى » (٣٤ : ٣٧) • لذلك يحذر القرآن دائماً من رضوخ الشعور للمادة ، وينبه على خطورة نزوله عن استقلاله أمام المال « شغلتنا أموالنا وأهوانا فاستغفر لنا » (٤٧ : ١١) أو قبول المال رشوة بديلاً عن نقاء الضمير والالتزام بالمبدأ « أتمدونن بمال » (٢٧ : ٣٦) • ويأتى هذا التحذير بصيغة الامر « يأياها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » (٦٣ : ٩) •

هذه المعانى الثلاثة هي التى يدور حولها مفهوم « المال » فى القرآن ، المال حق لله ، وحق الآخر ، وحق استقلال الشعور الفردى عنه •

وفي النهاية ، يمكننا استنتاج الآتى :

١ — الطريق اللارأسمالى للتنمية فى البلاد النامية هو الطريق الذى ينبع من تراثها القديم ، ومن وجدانها القومى ، ومن قيمتها وعاداتها وتقاليدها ، وهو فى الغالب التراث الدينى ، ومن ثم وجب إعادة تفسيره على نحو يساعد قضية التنمية ، ويخدم مصالح الاغلبية .

٢ — المال مال الله وليس ملكا لاحد ، ولكن للانسان حق التصرف وحق الانتفاع وحق الاستثمار ، فاذا ما استغل الانسان الآخر أو احتكر أو اكتنز فان من حق السلطة الشرعية استرداد الوديعة . لذلك من حق السلطة الشرعية التأميم والمصادرة للمصالح العام . فملكية المال أقرب الى الجماعية منها الى الفردية .

٣ — المال حركة اجتماعية بين أفراد الجماعة ، لا يجوز اكتنازه أو احتكاره أو الاحتفاظ به بل هو مال سائل للاستثمار لمصلحة الجماعة . ومن حق السلطة الشرعية التدخل لمنع تكديس المال أو اختراجه دون استثمار .

ماذا تعنى : أشهد الا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ؟

فى هذا الشهر الكريم . شهر رمضان الذى ترداد فيه عواطفنا الدينية اشتعالا ، ونعبر عنها فى مظاهر خارجية عديدة بالاكثار من النوافل ، والمشاركة فى الموالد ، والزيادة فى أنوار المآذن والمساجد ، وتسبيح الله وحمده بالتمتمات فى الطرقات ، وحمل المسبحات فى وسائل النقل العامة ، ونهر المفطرين والازدراء بهم ، والتكالب على شراء مستلزمات شهر رمضان من بضائع مستوردة ، بعد تدبير الدولة العملة الصعبة لهذا الغرض ، والافطار الراقص والسحور . فى وسط هذا كله يترى المتأمل منا فى دينه ، ويفكر فى أصوله ، ويحصى أركانه ، فيجد أن أول ركن من أركان الاسلام هو الشهادة ، شهادة أن لا إله الا الله ، وأن محمدا رسول الله كما هو معروف فى الحديث المشهور « بنى الاسلام على خمس ... » وهى الشهادة التى نطلقها قبل كل صلاة ، والتى أصبحت عنوان المسلم . فان قالها عصم دمه وماله ، ودخل فى زمرة الجماعة ، وأصبح فردا فى الامة له ما لها من حقوق ، وعليه ما عليها من واجبات ، والتى أصبحت شعارا على أعلام كثير من الدول التى لها تاريخ اسلامى . ثم يسأل نفسه ماذا تعنى : أشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمدا رسول الله بالنسبة للعصر الحاضر ؟

هى عبارة مركبة تتكون من ثلاث عبارات بسيطة : أولا — أشهد أن . ثانيا — لا إله الا الله . ثالثا — وأن محمدا رسول الله .

أولا : ماذا تعنى الشهادة ؟

يظن الناس خطأ أن الشهادة تعنى مجرد قول ، فاذا ما لفظ الانسان الشهادة فهو مسلم • ومع أن هذا التفسير هو الذى أخذه المرجئة من الفرق الكلامية ، وأبو حنيفة من الفقهاء الا أنه يجعل اعلان الشهادة اعلانا مجانيا بلا ثمن ، وقولا فارغا بلا مضمون • فما أسهل أن ينطق الانسان بالشهادة باللسان دون أن يعنيها بالفكر أو يشهد بها بالوجدان أو أن يصدقها بالعمل • وهذا هو حالنا جميعا عندما نسمعها قبل كل صلاة في الآذان ، وعندما نرفع ابهامنا ناطقين بها ونحن راكعون في التشهد في آخر الصلاة ، وعندما نرى جنازة في الطريق العام ، وعندما نرى مصيبة وقد حلت بفرد أو جماعة ، وعندما نميز أمتنا عن غيرها من الملل •

فاذا كنا أكثر جرأة ، وأكثر التزاما ، وأكثر استتارة ، فان القول قد يصبحه فكر ، فنعنى بعد النطق بالشهادة بأن الله موجود ، وبأنه واحد ، ولكن هذا الفكر المسطح الذى يجعل من الالهوية قضية اثبات أو نفى أو مجرد قضية عددية تشير الى أن الله عدده واحد لا تزيد عن القول المجرد ، فهي فكرة مجردة أيضا لا مضمون لها ، فكلنا نعلم أن الله واحد ، ولكن ما هى متطلبات هذه المعرفة ؟ وماذا تعنى هذه المعرفة بالنسبة للشعور وكيان الفرد ؟ وماذا عن أثرها في العالم الخارجى ؟ لا شئ ، فهى معرفة جرداء عرجاء ، ولو كنا نعلم جميعا أن الله واحد لما أشركنا به شيئا ، ولا يعنى الشرك اثبات أن الله عدده اثنان أو أكثر بل يعنى الاشراك في الدوافع والغايات ، وكثير منا تحركه دوافع الهجرة الى الخارج أو الكسب غير المشروع في الداخل ، أو

البحث عن الجاه والسلطان ، أو الجرى وراء الجنس المكبوت • فمعرفة أن الله واحد هي معرفة العجائز ان لم تتحقق متطلباتها •

فاذا كنا أكثر التزاما ، وأبعد نظرا ، وأعمق شعورا ، أصبح للشهادة معنى يحياه الانسان ، ويشعر به ، ومن ثم تكون المعرفة بأن الله موجود وواحد أكثر التصاقا بحياة الانسان ووجدانه ، يشعر بمعنى العبارة ، ويحس بمضمونها ، ويدرك أثرها في النفس ، فاذا قال الشهادة فانه يعنيها ويشعر بها • ولكن يظل أيضا هذا الفهم على مستوى العجائز لانه لا يحقق مطلباً في الخارج ، ولا يتجاوز عالم الانسان الداخلي • يظل الله كدافع شعوري مطويا ، مكنونا ، مخزونا ، حبيسا في النفس ، لا يدفع ولا يحرك ، لا يبعث ولا ينشط ، وكثيرا ما تريحه الدوافع الحسية الأكثر التصاقا بحياة الناس المباشرة ، فيتحرك الانسان بدافع الكسب أو الشهرة أو الجنس أو الخوف أكثر مما يتحرك بدافع الالهية ، وكثيرا ما تراجمه هموم الحياة اليومية فيتحرك سعيا وراء الرزق والمواد الغذائية المدعمة من الدولة أكثر مما يتحرك بالالهية الدفينة •

فاذا كان التزامنا واضحا ، وكنا نبغى دفع الثمن الذي يتطلبه قول « لا اله الا الله » ، وكنا أكثر التصاقا بالواقع ، وأكثر التزاما بمشاكل الجماهير ، وأكثر استعدادا للتضحية ، وأشد جرأة ، وأقل خوفا ، وأكثر نقاء وطهارة ، وأقل انغماسا في الوظائف والروتين ، تتحول الشهادة من الداخل الى الخارج ، فلا تكون قولا فحسب ، ولا معنى فقط ، ولا شعورا وكفى ، بل تكون عملا يتحقق به هذا القول بالفعل ، ويحيل معناه الى واقع ، ويتحول الشعور من رضى واستكانة الى حركة ونشاط ، وتنطلق الدوافع الحبيسة والطاقات المعطلة وتتصرف في

الواقع تجرف ما يصدها ، وتعيد البناء ، وتتحول الجماهير الى حركة في التاريخ . وهذا ما عني به الفقهاء والمصلحون الاجتماعيون عندما فرقوا بين توحيد النظر وتوحيد العمل ، وأن الثاني هو حق الاول ومضمونه ، وأن انهيار المسلمين يحدث اذا ما أخذوا توحيد النظر وتركوا توحيد العمل ، وأن صلاحهم وتقدمهم وفلاحهم انما يأتي بدفع ثمن التوحيد ألا وهو العمل .

فالشهادة اذن لا تعنى فقط القول أو التشهد بل تعنى أن يكون الانسان حاضرا في جماعة ويشهد على عصره ، ويقول هذا مرض أفضى عليه ، وهذا فقر في مجتمع الاغنياء ، وهذا احتلال لارضى المسلمين ، وهذا تخلف لدى خير أمة أخرجت للناس . فالشهادة من « شهد » أى الاعلان ، والدحض ، والفضح ، والاثبات ، والنفى ، وأخذ الموقف ، والانتصار للحق . تعنى الشهادة رؤية أحوال العصر والحكم عايتها بأحكام الله . فاذا شهد الانسان على عصره بالقول وبالعمل وفضح الانقسام بين الفكر والواقع ، وأظهر المسافة بين كلام الله والاوزاع الاجتماعية ، ومات دون غايته فانه يصبح شهيدا ، فالشاهد على عصره هو الشهيد في عصره ، والشهيد عند قوم هو الشاهد على أحوالهم . وبلا مساومة أو اعلان لانصاف المفردات . الشهادة اذن هى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مكان حل فيه الانسان ، وفي كل جماعة يحط عليها ، أن يغير الانسان المنكر باليد أى بالفعل ، وبالقول أى بالجهر بالحق ، وبالقلب حتى يظل شعوره طاهرا نقياً ، وحتى لا تفسد الضمائر والذمم أمام الرشاوى والاغراءات أو التهديدات والتلويح بالعقوبات .

ثانياً — ماذا تعنى : لا اله الا الله ؟

من الناحية اللغوية الصرفة وتركيب الجملة ، العبارة منفية بلا ومستثناة بالاً ، واذا أردنا معرفة معناها كما يقول علماء اللغة وينصحون ، وكما تعلمنا في المدارس نسقط النفى ونسقط الاستثناء . فاذا فعلنا ذلك مع عبارة « لا اله الا الله » وأسقطنا لا ثم إسقطنا الا كان لدينا « اله الله » أو « اله اله » أو « الله الله » وهذا يسمى في لغة المنطق تحصيل حاصل ، اذ أنا نجعل الموضوع محمولاً ، والمحمول موضوعاً أو أن نكرر الموضوع مرتين أو المحمول مرتين . وفي كل الحالات لا تفيد العبارة شيئاً على مستوى النظر أو المعنى .

ولكن العبارة تدل على موقف عملي ، وبتعبير أدق تدل العبارة على فعلين من أفعال الشعور يقوم بها المؤمن ، فأفعال الايمان كلها أفعال شعورية . الاول فعل الفرض في قول الانسان « لا اله » ، أن يرفض الانسان كل آلهة العصر المزيفة ، وأن ينفى عنها ، ويفضحها ، ويدمغها ، ويقضى عليها باليد واللسان والقلب ، فتلك شهادته عليها . وكل عصر له آلهته ، وآلهة عصرنا هي المال ، والسلطة ، والجاه ، والجنس ، وغيرها ، وهي آلهة لأنها تمثل أقوى الدوافع فينا . فالكل يبحث عن المال ، ويجري وراءه لاهثاً ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، ولا يراعى الانسان في ذلك قانون ، ولا يراعى حرمة ، لا تهمة الا العمولات ، والسمسرة ، والمضاربة ، والتحايل على القانون ، والتهرب من الضرائب ، والسعى لدى الولاة من أجل تراخيص الاستيراد والتصدير ، والاتجار في السوق السوداء . وقد يبحث آخرون عن السلطة ، حبا في السيطرة ، ورغبة في التحكم في رقاب الناس ، فيترلفون الى الحكام سعياً وراء المناصب ، ويبررون قراراتهم اسراعاً منهم في

التأييد ، وبياركون خطواتهم ، ويشنون على أشخاصهم ، ويجعلون أنفسهم مداحين ومنشدين ، ينتظروا للامن والسلوى ، وكثيرا ما تطول قوائم الانتظار ، وقد يبحث فريق ثالث عن الشهرة ، ويتوق الى أخذ المراكز الاولى ، والى تصدر المجالس حتى تتحقق ذاتيته المنسية ، ويكثر الحديث عنه في أجهزة الاعلام ، ويضحي بالمصلحة العامة من أجل تأكيد أدوارهم المدعاة ، ويقضون على الوحدة الوطنية من أجل قيادة تبث عن دور • وقد يبحث فريق رابع عن تحقيق رغبة جنسية مكبوتة ، ويعبر عن ذلك في الاشارات المستمرة الى الجنس في أحاديثنا ، وفي نكاتنا الشعبية ، وفي ذكر شارع الهرم بملاهيهِ ولياليهِ ، وفي الاكثار من الحفلات الراقصة ، واثارة المشكلات القانونية حول القبلات العلنية أو في فرض الرقابة عليها في الاعلانات الدعائية ، أو عدها في الافلام حرصا على الرواج ، أو المبالغة في التعفف والتأنف والاشمئزاز ، والتشدد بالطهارة والاعلان عن التمسك بالدين ، وفرض الحجاب ، وعدم لمس المحارم حتى لا ينتقض الوضوء ، وعدم مجالستهم حتى لا يحضر الشيطان !

فاذا ما استطاع الانسان بفعل الرفض هذا القضاء على آلهة العصر ، ويا ليتة يعيش حتى يقضى على واحد منها فقط ، قام الشعور بالفعل الثانى « الا الله » وأثبت حقيقة ايجابية وهى أنه يوجد اله حق هو الله ، مبدأ عام شامل يتساوى الجميع أمامه ، وبالتالي لا يمكن لاحد أن يفسر الله لحسابه الخاص ، فالمبدأ العام الشامل يعم الافراد جميعا ، ولا يمكن لاحد أن يجعل الله يعمل لحسابه الخاص ، فالمبدأ الشامل لا تحيز فيه ولا هوالة لاحد على حساب آخر . فاذا ما اعتبر

أحد أن الله يعمل لحسابه الخاص فتكبر وسيطر على رقاب الناس فانه يصبح آلهة العصر وجب القضاء عليه ، وانزاله من على عرشه المزيف ، فكيف يجعل الانسان نفسه الها ؟

فعلى المسلم الذى يقول « لا اله الا الله » بدل المرة عشرات المرات كل يوم أن يرفض ثم يقبل ، يرفض آلهة العصر المزيفة ، وبلغة العصر أن يكون ثائرا رافضا للاوضاع القائمة التى يدعى فيها الافراد الالهوية باستحواذهم على السلطة وتركيزهم الاموال فى أيديهم ، ثم يقبل الانتساب الى مبدأ يتساوى الجميع أمامه أى أن يكون بانيا لمجتمع جديد لا طبقية فيه ولا سيطرة ولا تحكم فيه • فلا يوجد هدم بلا بناء ، ولا يوجد بناء بلا هدم ، ولا يوجد سلب بلا ايجاب ، ولا ايجاب بلا سلب • مهمتنا اذن فى النقد الاجتماعى وبيان عورات العصر ومآسيه ثم اعادة بناء الامة طبقا لمبادئ الحرية والعدل والمساواة •

وهذا هو معنى التوحيد الذى تشير اليه شهادة أن لا اله الا الله • يعنى التوحيد التحرر الوجدانى من كل قيود قاهرة للانسان حتى يصبح الانسان حرا فى قراراته وسلوكه وأفعاله • كما يعنى أيضا المساواة الاجتماعية ، فالكل بشر متساو أمام مبدأ واحد ، لا فرق بين أبيض وأسود ، حاكم أو محكوم ، كبير أم صغير ، قوى أم ضعيف • ويعنى ثالثا التكافل الاجتماعى اذ لو حدث وظهرت فروق بين الطبقات فان واجب الامة اعادة البناء الاجتماعى من جديد حتى يبقى المجتمع اللاتبقى هو الدليل الوحيد على أن الناس سواسية كأسنان المشط ، والثورة المستمرة على اقامة مجتمع العدل والمساواة •

يلزم في عصرنا اذن أن نقول « لا » ثم أن نقول « نعم » • نقول
« لا » لآلهة العصر فهذا معنى « لا اله » ، ثم نقول « نعم » للمبدأ
الواحد الذي يتساوى أمامه الجميع فهذا معنى « الا الله » • ومن ثم
تكون روح عصرنا الذي يبارك ويؤيد ، ويقول آمين آمين ، ليس في
الامكان أبدع مما كان ، روحا لا يرضاها الاسلام ، وليس من روح
الله • ولكن روح الاسلام والذي تتبع من روح الله هو روح الرفض
الممثل في « لا اله » ، أن يعيش الانسان في عصره رافضا أى ناقدا ،
ناصحا ، جاهرا بالحق ، داحضا للباطل ، والشهيد هو الذي يقول كلمة
الحق في وجه الحاكم الظالم •

ليتنا نوفي « لا اله الا الله » حقها بأن نعطيها مضمونها كلمة
كلمة ، وألا يكف المسلم عن أن يقول « لا » ، فما أكثر آلهة العصر ،
وقد يموت المسلم ولم يوف بعد « لا » حقها !

ثالثا : ماذا تعنى الشهادة الثانية « وأن محمدا رسول الله » ؟

ويظن الناس خطأ أن محمدا رسول الله تعنى تعظيم الانبياء وعلى رأسهم محمد وتبجيله بشخصه ، والحديث عنه ، وذكر محامده وفضائله . بل انه فى كثير من الاحيان تبطى الشهادة الثانية « وأشهد أن محمدا رسول الله » على الشهادة الاولى « أشهد أن لا اله الا الله » ويكثر الحديث عن حب محمد ، وحب آل البيت ، وشفاعة محمد على نحو لا يرضاه الاسلام ، وبطريقة مستحدثة لم يعرفها الصحابة الاوائل . وفى أحسن الاحوال يوضع « الله » و « محمد » كل منهما فى احدى الشهادتين ، « الله » فى « لا اله الا الله » و « محمد » فى « محمد رسول الله » والحديث عنهما على مستوى واحد ، كما حدث فى عقائدنا المتأخرة عندما أصبح قطبا التوحيد الله ومحمد أى الالهيات والنبوات ، بل وأضاف المتأخرون ، فى عصور تخلفنا وانهارنا ، ضمن العقائد التى يجب على كل مسلم معرفتها أسماء أولاده ذكورا واناثا وأسماء آبائه وأجداده وأسماء زوجاته . وفى أحسن الاحوال تبقى الشفاعة جزءا من العقائد الاشعرية التى ورثناها ، يبتهل الشيخ ويطلب شفاعة محمد ، ويبتهل المسلمون وراءه ويطلبون أيضا شفاعة الحبيب ، وطلب الشفاعة يأتى من قوم لا يثقون بأعمالهم ، وليس لهم قيمة من ذواتهم ، ويعتمدون على الواسطة فى تسير أمورهم . وقد قوى الصوفية هذا التيار بتركيزهم أيضا على شخص محمد ، وحديثهم عن الحقيقة المحمدية ، الخالدة ، الازلية ، الابدية التى منها خلق كل شىء ، الارض والسماء ، والانهار والبحار ، والنباتات والاشجار ، والانسان والحيوان . ونزيد على ذلك الاحتفال بالمولد النبوى ، والتركيز على شخص محمد ونفسى قوله أبى بكر « من كان يعبد محمدا فان محمد قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت » . هذا بالاضافة

الى الهبوط الطبيعى فى وعى الناس ، وحرصهم على تشخيص الحقائق وتمثيلها فى الاشخاص ، فالوحى هو الله ، والاسلام هو محمد .

وكل هذا ليس هو المقصود بالشهادة الثانية « أشهد أن محمدا رسول الله » ، فما المقصود اذن ؟ تعنى هذه الشهادة الثانية الاعلان عن نهاية تطور الوحى واكتماله فى الوحى الاسلامى ، وأن الوحى الاسلامى هو آخر مرحلة من مراحل طويلة متتالية ظهر فيها الوحى على فترات طبقا لدرجات الوعى الانسانى وتقدمه ، وطبقا للموضع الاجتماعى لكل جماعة يظهر فيها الوحى ، وطبقا للمرحلة التاريخية والموضع الحضارى الذى يمر به كل مجتمع . فعندما كانت الانسانية فى مهدها كانت فى حاجة الى وحى يلائم طبيعتها وعلى مستواها الفكرى والنفسى ، فجاء الوحى قائما على الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، وكان مقياس التدين ، وبرهان الايمان هو طاعة القانون المطلقة مثل قوانين الطعام لتربية الانسان على السيطرة على نفسه عن طريق السيطرة على البدن ومحاولة الانسان الاستقلال عن الطبيعة ، وتجاوز غرائزه الاولى ودوافعه واحتياجاته ، وقوانين السبب التى يراعى فيها الانسان التشبه بالله وتخصيص جزء من حياته له ، والكف عن العمل والبيع والشراء واشعال النار وتحريك الاشياء اعلانا بأن الانسان له صلة بالله يوما فى الاسبوع وان كان فى الايام الستة الاخرى منغمسا فى العالم ، وقانون الطهارة اعلانا حسيا على أن الانسان قد عقد مع الله عهدا وميثاقا مكتوبا بالدم على أن يكون مطيعا له خاضعا لقوانينه ومؤمنا به ولو أن البعض حاول تفسير الميثاق على أنه اختيار لشعب معين ووعد له بالارض والغنى والنصر الى ابد الأبدى . كانت مهمة الوحى فى هذه المرحلة شد انتباه الانسان الى وجود الله وقدرته المطلقة

المسيطرة على قوانين الطبيعة وعلى مسار التاريخ حتى يتحرر الانسان من سيطرة قوى الطبيعة عليه ومن سيطرة القوى السياسية على مقدراته وأن يكون الانسان هو المسيطر على الطبيعة وهو الاساس في كيان الدولة • لذلك أجرى الله المعجزات ، وتدخل في سير قوانين الطبيعة حتى يثبت بالدليل الحسى المباشر وجوده وقدرته • وهذه هي مرحلة الوحي اليهودى •

وقد نجحت التجربة مع البعض « واذا قال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم .. » ، ولكنها لم تتجح عند الاغلبية • فقد غضب موسى على بنى اسرائيل ودعا عليهم بالتيه ، وظلوا في عبادة العجل ، والجري وراء الذهب والمال والحظ ، وظل الشعور الانسانى على مستوى الطبيعة المادية ، خاضعا لها دون أن يتحرر منها ويتجاوزها •

فاذا ما شبت الانسانية عن الطوق ، وكبر الطفل ، ووصل الى مرحلة المراهقة المتأخرة ، يقل الجانب الحسى ويزداد الجانب العاطفى ، ويصبح الانسان حالما ، آملا ناسجا من خياله عالما أفضل ، ويصبح قادرا على ادراك الامور بحدسه ، واحساسه بها بوجودانه ، فيأتى الوحي مرة ثانية كى يرتقى بالانسان لا عن طريق الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد وفرض القوانين ، بل عن طريق الحب والتراحم والعطف والتقوى والطاعة والتواضع والاحسان ، يكون الانسان في هذه الفترة حالما ناظرا الى عالم آخر ليس هو هذا العالم ، وملكوت هو ملكوت السماوات ليس هو هذا الملكوت الذى نعيش فيه • ملكوت الارض ، عالم يختلط فيه الخيال بالتمنى ، والحلم بالواقع ، وما هو كائن بما ينبغى أن يكون • ويكون التدين أساسا ليس عملا من أعمال الجوارح

بل عمل من أعمال القلب ، ويغلب العفو على العقاب ، والعطاء على
الآخذ ، والروح على الجسد ، والداخل على الخارج ، والسلام على
الحرب .

وقد نجحت التجربة عند البعض « ولتجدن أقربهم مودة للذين
آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم
لا يستكبرون » . ولكنها ظلت محدودة لم تؤد الا الى ايمان الابطال
والقديسين والشهداء كرد فعل على مجتمع لا يؤمن الا بالقوة والبطش
والسيطرة . بالاضافة الى أن خلاص الفرد لا بد وأن يؤدي الى خلاص
الجماعة والى تأسيس الدولة وهو ما لم يتم بعد ، فقد كان يكفى
اكتشاف ملكوت السماوات وكما قال السيد المسيح « مملكتى ليست
في هذا العالم » .

فلما شبت الانسانية وبلغت مرحلة النضج والرجولة جاءت
المرحلة الثالثة من مراحل الوحي الكبرى ، والمرحلة الاخيرة تجمع بين
القانون والحب ، والعفو والعقاب « وان عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما
عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » . ويجمع بين الحس
والوجدان في العقل ، ولا يتطرف في جانب على حساب جانب آخر لان
« خير الامور الوسط » ، يجمع بين التجريبتين معا ، ملكوت الارض
وملكوت السماء ، فالانسان موجود بين هذين العالمين .

تعنى « أشهد أن محمدا رسول الله » اذن أن الاسلام هو آخر
مرحلة من مراحل تطور الوحي وأن ذلك يعنى بالتحديد الحقيقتين
الآتيتين :

١ — أن الانسان ليس في حاجة الى وحى جديد فقد اكتمل عقله ، وأصبح قادرا على الادراك والتمييز ، فالعقل قادر على أن يصل الى كل ما أعطاه الوحي من حقائق ، وهو قادر على فهمها وتفسيرها وتطبيقها والاستفادة منها في الحياة العملية . وان أية محاولة الآن لجعل العقل قاصرا عن الادراك ، وادعاء الالهام والمدد من السماء أو العين الباطنة التي تدرك الحقائق الربانية مباشرة لهو ادعاء باطل يهدف الى فرض الوصايا على عقول الناس ، استغلالا لها ، وتوجيها اياها الى ما تريده قوى التسلط والبطغيان . ومن ثم فلا مجال للخرافة أو السحر أو الكهانة أو العرافة أو الفأل ، فكل ذلك مضاد لعمل العقل وتدبيره واستدلاله وبرهانه . ولا مجال للجهل وللامية فذلك أيضا نفى للعقل وهدم اه ، ولا مجال أيضا لنظن أو التقليد أو التشكك والحيرة والتذبذب بين الامور ، فالعقل قادر على الوصول الى اليقين والى حسم الامور ، وباستطاعته الابداع والخلق واكتشاف الجديد .

انه ليكفى الانسان أن يتبع فطرته الصادقة ، فالاسلام دين الفطرة ، وكل شيء زائد عليها ليس منها ، وكل شيء أقل منها يكون ناقصا والفطرة أكمل منها ، وان أى محاولة لجعل فطرة الانسان ناقصة ، دنيئة ، خسيسة ، مخطئة ، تهدف في الحقيقة الى فرض الوصايا على الانسان من حاكم يأخذ برقاب الناس حتى يمنع شرورهم ويوجههم الى الخير أو من مخلص للناس من خطاياهم مادامت الخطايا في لحمهم ودمائهم . ومن ثم يفقد الانسان استقلاله العقلي، ويتبع السلطة الدينية أو السياسية ، وهذا ما لا يرضاه الاسلام .

٢ — ان الانسان قادر بارادته على تحقيق كلمة الله على الارض ، وعلى حمل الامانة التي رضي الانسان بارادته الحرة أن يحملها » انا

عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان . . . » • وليس في حاجة الى معونة خارجية في صورة معجزة أو غيرها ، فالله لم يعد يتدخل في سير قوانين الطبيعة كما كان الحال في مراحل الوحي السابقة « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون » • وان أية محاولة لفرض الوصايا على أفعال الانسان من حيث التوجيه والامر له هي في حقيقة الامر محاولة للقهر والتسلط • فافتراض عجز الانسان وعدم قدرته يعطى الحاكم الحق في فرض الرقابة عليه ، كما أنها حجة الاستعمار القديم في فرض حمايته على الشعوب لانها غير قادرة على حكم نفسها بنفسها • ان الايحاء للانسان بأنه عاجز يجعله يلجأ الى وسائل السحر والكهانة ، والحجاب والاتصال بالاولياء كي يحيل ضعفه قوة ، كما أن الايحاء للشعب بأنه غير قادر على أخذ مصيره بيده يفرض عليه الوصايا الى الابد من الاستعمار الخارجى أو من نظم القهر والسيطرة الداخلية •

ان الانسان قادر على تحقيق كلمة الله على الارض ، وهو مسؤول عن ذلك ، وقد عهدت اليه الامانة ، وتقبلها هو بمحض اختياره ، فهي مسؤوليته وحده • ولذلك تتجسّد تجربة الوحي هذه المرة في تحقيق استقلال الانسان عقلا واردة ، وفي اقامة دولة أى نظام اجتماعى يعيش فيه الناس • وقد نجح محمد رسول الله في ذلك ولم يكتف بأن يكون شهيد الحق كغيره من الانبياء والرسل السابقين • فنفس المهمة التى حاولها الانبياء السابقون ونجحوا فيها لدى أفراد قلائد دون غالبية الناس ، حاولها محمد رسول الله ونجح فيها لدى الاغلبية ، مما يدل

على أن الوحي في آخر مرحلة له قد حقق بغيته الا وهي اعلان إستقلال
الانسان ، يصبح خليفة الله على الارض ، أميناً على الرسالة ، ومحققاً
للدعوة بعد أن تحرر وجدانه من كل مظاهر القهر من قوى الطبيعة أو
النظم الاجتماعية المسيطرة .

تعنى اذن « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله »
أشهد أن الانسان حر مستقل ، له عقل وإرادة ، واننى هو ذلك
الانسان !

مقالات في اليسار الديني

(١) محمد ، الشخص أم المبدأ ؟

في هذه المناسبة الكريمة ، المولد النبوي الشريف ، يحق لنا أن نقول كلمة الحق إذ « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال » . وكلمة الحق في أواخر القرن الرابع عشر وأوائل الخامس عشر الذي يعيش فيه جيلنا هو أننا نعيش في شعورنا محمداً بن عبد الله ، رسول الله وخاتم النبيين بطريقة مخالفة للشرع نبه عليها محمد بن عبد الوهاب وحذر منها . وقد ترسبت هذه الطريقة من تراكمات تاريخية طويلة من العلوم الإسلامية القديمة التي عظمت محمد كشخص وتناسته كمبدأ ، وكرمته كرسول على حساب الرسالة . والدليل على ذلك :

١ - أصبح محمد في علم أصول الدين الذي صاغت الأشاعرة عقائده محور العقيدة مع الله . فعقائدنا خمسون ، اثنان وأربعون في الله ، وثمانية في الرسول . كلها في صفاته : الأمانة ، والفطنة ، والتبليغ ، والصدق ، ومنع اضدادها مثل الخيانة والتهور والكتمان والكذب ، وتركنا العقائد كمبادئ وأصول عامة مثل التوحيد ، والعدل ، والحسن والقبح العقليين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما أصل المعتزلة . أخذنا الشخص وتركنا المبدأ .

كتب هذا المقال لجريدة « الاهلي » عام ١٩٧٨ .

٢ — وفي التصوف أصبح محمد عقيدة مشخصة كذلك « الحقيقة المحمدية » التي تجعل محمدا قديما ، كائننا قبل الخلق ، مشاركا لله في الصفات ، منه خرج الكون ، وصدرت أشعة الشمس ، وسطع نور القمر • ومنه نزل المطر ، وسار السحاب ، وهبت الرياح • وأصبحنا نقول في محمد ما يقوله النصاري في المسيح • وبالرغم من رفض فقهاءنا القدماء هذه العقيدة إلا أنها ظلت مهيمنة حتى الآن على عقائد الصوفية المعاصرين •

٣ — وقد تنسب الشريعة الإسلامية أحيانا خطأ الى محمد فيقال الشريعة « المحمدية » وهي الشريعة الإسلامية التي بلغ بها الرسول « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » ، وانتهازها المستشرقون فرصة فسموا الإسلام كله المحمدية والمسلمين المحمديين أسوة بالمسيح والمسيحية والمسيحيين •

٤ — وضعنا اسم محمد على حوائط المساجد مع الله ، وأحيانا مع أسماء الخلفاء الراشدين مع أنه لا يجوز وضع أية لوحات على حوائط المساجد حتى ولو كانت أسماء الأنبياء والخلفاء • بل وكتبناها على عربات اليد لدى الباعة المتجولين وعلى المركبات العامة وفي المطاعم الشعبية ، وكتبناه على قطع بلاستيك نعلقها في العربات • وإذا كنا أغنياء كتبناها مع « ما شاء الله » ، والمصحف ، والقرآن على رقائق من ذهب نحلى بها الاعناق والصدور •

٥ — كما أننا قد حولنا زيارتنا لمكة وهي المقصد الأساسي للحج ، كعبة إبراهيم ، أبي الأنبياء ، والمسلم الحنيفي الأول ، وجعلناها زيارة الى قبر الرسول ، وهو غير المقصود من الحج • فالإسلام قد حرم بناء

المساجد على قبور الانبياء والاولياء » الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » ، وهو ما نبهت عليه الحركة الوهابية أيضا والتي نشأت في الحجاز لهذا السبب ، بما في ذلك قبر الرسول •

٦ — ان المدائح النبوية التي تكثر في أجهزة الاعلام : أعذا يا رسول الله ، أغثنا يا رسول الله ، يا حبيبي يا رسول الله ، يا شفيعي يا رسول الله ، سيدي يا رسول الله • الخ تجعلنا نقف على أبواب الوساطة والشفاعة التي حرمها الفقهاء ومنعها المعتزلة من قبل والتي قاومتها معظم الاتجاهات الإصلاحية الحديثة •

٧ — ان احتفالاتنا بالمولد الشريف على طريقة انطرق الصوفية : السير في المواكب ، رفع البيارق ، اطلاق البخور ، الضرب بالدخوف ، التمايل بالاجسام ، الاناشيد والسماع ، اقامة السراوقات ، مد الموائد ••• الخ قد ورثناها من عصور التخلف • فقد كانت الاحتفالات والمواكب وسيلة الحكام لاضفاء الهيبة على نفوسهم وهم يتصدرونها ، رغبة منهم في السيطرة والتحكم في رقاب العباد • بل قد تبدأ الاحتفالات بالنصر قبل معارك النصر ، والاحتفالات بالجلاء قبل اتمام الجلاء •

٨ — ان ما يحدث في الموالد من ظواهر مصاحبة ، مظاهر البغي والفسوق ، ونقل الامراض ، وتكلفة الدولة ما لا طائل لها به من حيث توفير المواد الغذائية مثل السكر بالعملة الصعبة ، والاتجار بالحلوى من أصحاب رؤوس الاموال بهدف الربح والاستغلال ووقوف الشحاذين على أبواب المساجد وطرقهم أبواب المنازل تجعل الدين الشعبي قد طغى على الدين الشرعى •

كل ذلك يرجعنا الى القرآن الكريم لنعرف ما هي الصورة الشرعية

لمحمد فيه وهل يسمح القرآن بكل هذه المظاهر للتشخيص ، تشخيص الرسالة في الرسول ، وترك الرسالة كمبدأ ؟

والحقيقة أن القرآن أشار الى الرسول على أربعة أنحاء :

١ — آيات بها مخاطبة مباشرة بكاف المخاطب أو ضمير المخاطب مثل « واثق على خلق عظيم » أو « ونرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » ... الخ . وهي لا تشير الى محمد الشخص بل الى المخاطب العام أى الى نموذج الوعي الانساني الذى يدخل الوعي الشامل فى حوار معه . الوعي الانساني يسأل والوعي الشامل يجيب . وقد يكون السؤال باللفظ أو بالحركة فكلاهما دلالة .

٢ — آيات بها ذكر للرسول مثل « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك ... » ، « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ... » وهي كلها تعنى الرسول كحامل للرسالة وليس الرسول بشخصه .

٣ — آيات يذكر فيها النبي مثل « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، « يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال ... » ، « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ... » وهي نداءات كلها توجهات عملية الغرض منها توجيه الامة وليس تكريم الرسول بشخصه .

٤ — آيات يذكر فيها محمد وهي لا تتجاوز أربعة آيات من بين آلاف الآيات التى تكون مجموع القرآن الكريم وهي :

(أ) « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسول أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم - ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » (٣ : ١٤٤) ، وتدل الآية على أن الشخص فان ، والرسالة باقية ، وأن محمدا ميت ، والاسلام قائم ،

وبالتالى لا يمكن التضحية بالمبادئ من أجل الاشخاص • فالقرآن يهاجم عبادة الاشخاص ، هذا الداء الذى ينتشر فى معظم الثورات خاصة فى البلدان النامية والذى يهدد معظم الايديولوجيات عندما يضحى معتقوها بالمبادئ من أجل الاشخاص •

(ب) « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً » (٣٣ : ٤٠) • وتعنى الآية أن الشخص لا يورث ، ولا يمكن لاحد أن يدعى انتسابه اليه بخلافة أو وصية • محمد رسول الله ، بلغ الرسالة وعلى الاجيال حملها ونشرها وتحقيقها على حد سواء • رسالته نهاية تطور الوحي واكتماله فى الرسالة العامة •

(ج) « والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وآمنوا بما نزل على محمد ، وهو الحق من ربهم ، كفر عنهم سيئاتهم ، وأصلح أعمالهم » (٤٧ : ٢) • وتشير الآية الى أن محمداً ليس هو الشخص بل المبدأ ، هو الرسالة المنزلة وليس الرسول المنزل اليه ، هو الحق المتبع وليس الحقيقة المحمدية •

(د) « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » (٤٨ : ٢٩) • وتعطى الآية درساً فى الوحدة الوطنية فى الداخل فى مواجهة الخارج • فهناك طريقان : الاول محمد والذين معه أى المؤمنون ، أهل الوطن الواحد الذين يتراحمون فيما بينهم ، لا يطغى فريق على فريق ، ولا يدعى أحد الايمان والوطنية ويكفر الباقى ويخونه • والثانى جبهة وطنية واحدة فى مواجهة الاعداء ، أشداء على الكفار دون التقرب اليهم ، والسعى لهم ، والجري وراءهم وأخذهم أولياء من دون الله ، يبتغون لديهم نصراً •

السؤال اذن : أيهما أحق أن يتبع : محمد الشخص أم المبدأ ؟

(ب) مصر بين الامان والطفيان :

ان حب مصر ليس وليد الظروف ، وليس نابعا من شمسها الدافئة ، وسمائها الزرقاء ، وأرضها الخضراء ، كما تعلمنا في المدارس . بل هو حب نابع من ايماننا بالله ومن قراعتنا لكتابه . فمصر مذكورة في القرآن الذي نتلوه آناء الليل وأطراف النهار . فلا ايمان الا بمصر ، وكل مهاجر من أرض مصر فانه يترك ايمانه وراءه . فكيف ننزع القلب والاحشاء ؟ فما هي صورة مصر في القرآن ؟

ذكرت مصر خمس مرات في القرآن الكريم بصرف النظر عن معنى « مصر » هل هي مصر الدولة التي نعيش فيها أم مصر القطر والمكان المنخفض . وقد يكون هذا التداخل بين الخاص والعام هو احدى صفات مصر .

١ — مصر بلد الاستقرار والسكن ، ومكان للعيش والحياة ، يأتيها الناس ، ويتخذونها قبة ومقرا . « وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة » (١٠ : ٨٧) . يسكنها الانبياء وذووهم ، وتعيش فيها القبائل ، وتعمرها الشعوب . صحراء تحتاج الى تعمير ، وأرض تستدعى البناء عليها من أهلها . ان تركناها بلا تعمير استعمرها غيرنا ، واستوطن فيها ، وبنى فيها البيوت ، وأقام المستوطنات ، وأنشأ فيها المزارع ، وشيد فيها المعسكرات لان أهلها لم يستقروا فيها ، ولم يبنوها ، ولم يحولوها الى كتل بشرية تحمي حدودها ، وتمنع غزوها ، وتصد العدوان عليها .

٢ — مصر بلد الامان ، فلا حياة دون أمان ، ولا استقرار دون أمن • « فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ، وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » (١٢ : ٩٩) • كان يوسف في مصر آمنا ، ودخل أبواه مصر آمنين • ولا يعنى الامن في مصر انشاء أجهزة للامن تقضى على أمن المواطنين بل أن يشعر الانسان أنه يعيش في بلد آمن ، آمن على نفسه ، آمن على أهله ، آمن على عمله ومستقبله ، آمن على قوله وفعله ، آمن على فكره ورأيه • والامن ليس فقط هو الامن الغذائي بل الامن الفكرى والامن السياسى •

٣ — مصر بلد الكرم والسخاء ، يجد فيها الغريب موطنا له ومستقرا ، مواطننا لشعبها ، ، ابنا لاسرها • « وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا » (١٢ : ٢١) • ليست مصر اذن بلد الدخلاء عليها الذين يأتون لسلب ثرواتها ، ونهب أرضها ، والاستيلاء على خيراتها ، وتهريب أموالها ، واستهلاك دخلها ، والاستحواذ على مدخراتها • لا يعنى الكرم بيع ماء النيل ، ورهن قناة السويس ، واهداء قطعة من الساحل الشمالى ، فالعطية من نتاج مصر وعرق مصر وليس من أرض مصر أو ثروات مصر •

٤ — مصر بلد الزراع والنماء ، ومصدر الخير والرخاء • لما ضاق بنو اسرائيل بشظف العيش ، وملوا الطعام الواحد سألوا موسى البقول والقثاء والفلول والعدس والبصل • فقال موسى « أهبطوا مصر فان لكم ما سألتكم » (٢ : ٦١) • فمازالت مصر بوفرتها ومحصولها مطمع من تضيق بهم الارض ، ومن تعجز لديهم مصادر المياه • فمصر هى ريفها وقراها ، وشعبها هو فلاحوها ومزارعوها •

هـ - وأخيرا ، مصر بلد الطغيان يتحكم فيها فرعون • يمتلك كل شيء فيها ، أرضها وأنهارها ، نيلها وشعبها ، ويحتقر مواطنوها « ونادى فرعون في قومه ، قال يا قوم أليس لى ملك مصر ، وهذه الأنهار تجري من تحتى أفلا تبصرون » (٤٣ : ٥١) • وكان مأساة مصر ليست فى مستقرها وأمنها وكرمها وخيرها بل فى نظامها السياسى الذى يقوم على حكم الفرد واذلال الشعب ، واحتقار المواطنين •

(ج) الشورى فى الاسلام :

لقد كثر الحديث من قبل عن الشورى فى الاسلام كلما أراد المسلمون الفخر بترائهم المجيد وبالدين الحنيف وبالشريعة الغراء ، أو كلما ضاق بهم العصر ذرعا ووجدوا فى الشورى متنفسا لمآسيهم وضيقهم • ولقد ذكر القرآن لفظ « شور » ثلاث مرات • الاولى ليجعل التشاور أساس الحياة العائلية « فان أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » (٢ : ٢٣٣) أى أساس الجماعة الصغيرة • وفى المرتين الثانية والثالثة يذكر اللفظ مشيرا الى الحياة الاجتماعية الكبيرة أى فى الحياة السياسية فى « وأمرهم شورى بينهم » (٤٢ : ٣٨) كتقرير واقع فعلى للمسلمين • فالشورى من طبائع الامور ، وفى « شاورهم فى الامر » وهو أمر الهى اذا ما سارت الامور ضد الطبيعة • وقد بين الحديث النبوى فضائل الشورى • فقال عليه الصلاة

وقد بين الحديث النبوى فضائل الشورى • فقال عليه الصلاة والسلام « اذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » • فالشورى واجبة عند السؤال ، والتخلّى عنها أو الصمت والكتمان لا يجوز كالشهادة سواء بسواء ، وقال عليه الصلاة والسلام « المستشار مؤتمن ان شاء أشار ، وان شاء لم يشر » • فالشورى أمانة فى عنق المستشار ، عليه

كتب هذا المقال لجريدة « الاهلى » عام ١٩٧٨ • وقد أقمته على الحجج العقلية دون العقلية أو الاجتماعية وكثى فقيه قديم • وكان أبرز هذه النصوص والشواهد ذاتها جزءا من النضال ضد التسلط والطغيان • وقد اتبعت أيضا المدرسة السلفية هذه الطريقة ، توجيه النص نحو الواقع مباشرة قديما عند أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم وحديثا عند محمد بن عبد الوهاب ورشيد رضا •

أن يشير ان عرف وألا يشير ان لم يعرف • كما قال عليه الصلاة والسلام
« المستشار مؤتمن • فاذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه » •
فالشورى ليست للآخر دون الذات ، وليست للغير دون الفرد بل هي
أولا تطبيق على النفس قبل الآخرين • وقال أيضا « ما تشاور قوم
قط بينهم الا هداهم الله لافضل ما يحضرهم » ، وفي لفظ « الا عزم
الله لهم بالرشد أو الذى ينفع » • فالشورى تحضر ما هو أفضل
عند الناس ، وما هو أعقل وأنفع لهم لان الشورى أخذ لاعتبار المجموع ،
وضمن لعدم سيادة الهوى والانفعال أو تغلب المصلحة الشخصية •
ولذلك قال الرسول « ان أمتى لن تجتمع على ضلالة ، فاذا رأيتم اختلافا
فعليكم بالسواد الاعظم » • فالاختلاف فى رأى طبيعى ، واختلاف
الائمة رحمة بينهم ، واجتماع الاغلبية على رأى يجعله أقرب الى
الصواب • والرأى الصحيح هو الذى يجمع عليه أبو بكر وعمر لقول
الرسول « لو انكما تتفقان على أمر واحد ما عصيكما فى مشورة أبدا » •
فالجمع بين مثالية أبى بكر وواقعية عمر هو الرأى الصائب الذى لا
يضحى بالواقع من أجل المثال أو بالمثال من أجل الواقع •

ولم يكن الرسول مسيطرا ولا جبارا وكما وصفه القرآن « لست
عليهم بمسيطر » (٨٨ : ٢٢) ، « وما أنت عليهم بجبار » (٥٠ : ٤٥) •
كان الرسول يشير على الناس حتى لقد قال عنه أبو هريرة « ما رأيت
أحد أكثر مشورة من رسول الله » • لقد شاور الرسول أصحابه فى
الحرب وفى السلم ، فى أمور الدنيا والمعاش • راجعه أصحابه ، وتقبل
رأيهم فيما لم يأت فيه وحى • فالحرب خدعة ، والناس أعلم بشؤون
دنياههم • ولما سأل على الرسول : ماذا تفعل بعدك ان وقع لنا أمر فقال :

« أجمعوا العابدين من أتى واجعلوه بينكم شورى ، ولا تقضوا برأى واحد » .

وتبعه الخلفاء الراشدون في سنته ، ولم يحيدوا عنها . قال عمر :
« الرأى الفرد كالخييط السخيل ، والرأىان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة الآراء لا تكاد تقطع » ، فمعارضة الرأى بالرأى فضل ، وتعارض الآراء أفضل . وقال عمر أيضا : « الرجال ثلاثة : رجل ذو عقل ورأى فهو يعمل عليه ، ورجل اذا أحزنه أمر أتى ذا رأى فاستشاره ، ورجل حائر بائر لا يأتى رشدا ، ولا يطيع مرشدا » . العقل يجمع عليه الناس ، فان غاب الرأى وجبت المشورة . أما سيادة الهوى وغياب الشورى فتخبط وضياع . وقال أيضا : « صاحب الحاجة أبله لا يرشد الى الصواب فلقنوا أخاكم وسددوا صاحبكم » ، وذلك لان صاحب الحاجة يريد الحصول عليها ، ويكون مأخوذا بها مما يدفعه الى عدم تقدير الامور . ومن ثم وجبت الشورى والنصح . وقال عمر : « من دعا الى امارة نفسه أو غيره من غير مشورة من المسلمين فلا يحل لكم أن لا تفعلوه » . وقال أيضا « لا خلافة الا عن مشورة » . وقال على : « الاستشارة عين الهداية . وقد خاطر من استغنى برأيه » . والمشورة لابد أن تكون عند من هو أهل لها كما قال طلحة « لا تشاور بخيلا في صلة ، ولا جبانا في حرب ، ولا شابا في جارية » . فالمشورة لابد أن تكون عند من تجرد عن المصلحة والهوى . فلا يستشار حاكم في حكم ، أو تاجر في سلعة . وقيل أيضا « لا تشر على مستبد ولا على وغد ولا على لحوح ولا على معجب ولا على متلون » . فالمستبد يشير بالاستبداد ، والوغد يشير بالرزيلة ، واللحوح يشير بما يسعى جاهدا اليه ، والمعجب يشير بما يزهو به ، والمتلون يشير حسب الحاجة والظرف . وقد قيل

أيضا « خف الله في موافقة المستشار فالتماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة » . قاعطاء المشورة لابد أن يكون بناء على خوف من الله والا كانت موافقة المستشار لؤم وخيانة . وقال أبو الحسن البصرى « اعلم أن من الحزم لكل ذى لب أن لا يبرم أمرا ، ولا يمضى عزما الا بمشورة ذى رأى الناصح ، ومطالعة ذى العقل المراجع » . وقال عمر بن عبد العزيز « ان المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يضل معهما رأى ، ولا يقصد معهما حزم » . وقال لقمان الحكيم لابنه : « شاور من جرب الامور فانه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وأنت تأخذه مجانا » .

والمشورة لا تعنى طلب الرخص والسلطات الاستثنائية فقد قيل « من طلب الرخص من الاخوان عند المشورة ، ومن الاطباء عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبه فقد خدع نفسه » . المشورة تكون من أجل العزائم وليس من أجل الرخص ، ولتحقيق المبدأ العام وليس للاستثناء أو العزل . هذا في حالة المشورة الفردية كما هو الحال في سؤال المفتى من أجل الاجتهاد في الاحكام . أما المشورة الجماعية التى تتعلق بالصالح العام فانها تتطلب أموراً ثلاثة : الاول أنه لا يجوز الفصل برأى شخصي فيما يتعلق بالصالح العام . فمصلحة الجمهور تحتاج الى رأى الجمهور . والثانى أنه لا يجوز التعدى على حقوق الآخرين ، فمصلحة الآخر مقدمة على مصلحة الفرد . والثالث أنها مسؤولية عامة كالولاية العامة وليست مجرد اجتهاد شخصي بناء على رأى أو هوى ، هى جزء من المؤسسات العامة فى الدولة .

وعند أبى الاعلى المودودى تتطلب آيات الشورى فى القرآن الكريم عند تطبيقها فى الولاية العامة عدة أمور :

١ — الحرية الكاملة في التعبير عن الرأي ، وأن يتوجه المستشارون الى ولي الامر اذا ما بدر منه خطأ أو تقصير • فان رأوا الخطأ لا يصلح ويستقيم عزلوا قادتهم وأولى أمرهم واستبدلوا غيرهم لان تصرف أمور الناس مع سد أفواههم وتكبيهم وتركهم دون علم بها انما هو كفر صريح • وقد فصل الفقهاء قديما وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بداية بالنصيحة حتى العزل ثم الخروج •

٢ — مسؤولية تصرف أمور المجتمع على كاهل من يتم اختياره برضا الناس لا ذلك الناتج عن الارهاب والتخويف أو المشتري بالطمع والحرص أو المتحقق بالتزوير والخداع والدجل • فالامامة كما يقول الفقهاء عقد وبيعة واختيار • ولا تجوز الامامة بالشوكة أي بالاستيلاء على السلطة بالقوة حتى ولو استتب الامن •

٣ — اختيار من يصلحون على ثقة الشعب للتشاور مع القائد ، ويخرج عن هؤلاء من يفوزون بتمثيل الشعب عن طريق الضغط والاكراه والنفوذ وشراء الثقة والاصوات بالمال والرشاوى أو بالتزوير والخديعة والمكر والتحايل •

٤ — أن يشيروا بما يمليه عليهم علمهم وايمانهم وضميرهم ، وأن ينالوا حرية الرأي كاملة تامة والا فسوف يشيرون بما يخالف ضميرهم وايمانهم وعامهم خوفا أو طمعا أو تحيزا أو مراعاة لمصلحة جماعة ما فيصبح الامر خيانة وعذرا وتبريرا لسلطة الحكام وقراراتهم •

٥ — التسليم بما يجمع عليه أهل الشورى أو غالبيتهم • اما إن يستمع ولي الامر الى آراء جميع أهل الشورى ثم يختار ما يراه هو

نفسه بحرية تامة فان الشورى في هذه الحالة تنفقد معناها وقيمتها .
الشورى اذن ملزمة للحاكم والا كانت مجرد زخرفا من القول .

والخلافة في الاسلام ليست بملك ولا سلطة وانما هي رعاية عامة
للأمة لاقامتها على الشرع الحنيف ، وردع القوى عن الضعيف في
الداخل ، وصيانة الاسلام ودفع المعتدى من الخارج . وهي لا تتعقد
الا بإرادة الأمة ، والسلطان الذي يؤتاه صاحب الخلافة هو من الأمة
لا سلطان له عليها الا منها . ولما سأل عمر : أملك أنا أم خليفة ؟ قال
له سلمان : ان أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر
ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة . وقال له آخر : الخليفة
لا يأخذ الا حقا ولا يضعه الا في حق . والملك يعسف الناس فيأخذ
من هذا ويعطى هذا .

والخليفة لا يتولى الا بمشورة المسلمين . وفي هذا خطاب أبي بكر
المشهور « انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ،
وان أسأت فقومونى . أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، وان عصيت فلا
طاعة لى عليكم » . وقال عمر « انى لم أزعجكم الا أن تشتركوا في
أمانتى فيما حملت من أموركم فانى واحد كأحدكم ، وأنتم اليوم
تقرون بالحق . خالفنى من خالفنى ، ووافقنى من وافقنى ، ولست
أريد أن تتبعوا الذى هواى » .

والرقابة على الخليفة واجب على المسلمين ، وتذكيره بالشرع
وتقويمه بعد النصيحة واجب على العلماء . وفى ذلك يقول أبو بكر
« اذا رأيتمونى استقممت فاتبعونى ، وان رأيتمونى زغت فقومونى » .

وكذلك قال عمر « من رأى في اعوجاجا فليقومه » • فقال له أحد « لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » • فقال « الحمد لله الذي جعل في هذه الامة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه » • ولقد تعرض عثمان لاشد أنواع النقد وأقذعها ولم يحاول أن يسكت أحدا بقوته وسطوته ونفوذه بل كان يرد دائما على ما يوجه اليه من اعتراضات على مسمع من الناس ومرأى • كذلك قابل على تجريحات الخوارج له في عهده بصدر رحب • وحدث أن قبض على متهم فأحضروه اليه وكانوا يكيلون له السباب علنا حتى أقسم أحدهم أمام الناس لاقتلن عليا • ومع ذلك أطلق سراحهم وقال لرجالهم ان يردوا عليهم بما شاءوا من القول لكنه لم يتخذ ضدهم اجراء عمليا لانه المعارضة بالقول واللسان ليست جرما يستحق أن يقبض عليهم به •

لم يكن التاريخ اذن في مراحله الاولى الا تحققا للمبادئ العامة للشورى • فالمثال ليس خارج التاريخ بل واقع فيه • وفرق بين هذه الشورى القديمة وبين مجلس الشورى حديثا • اختلفت المسميات وان اتفقت الاسماء !

(١) اعتمدنا في ذلك على دراسة لابي الاعلى المودودي اظنها « الشورى في الاسلام » ووجدت في المسودتين الاولى الاشارة الى صفحات ٣٥ — ٣٦ ، ص ٩٣ — ٩٤ ، ص ٢١٨ — ٢١٩ •

(د) الجهاد

تحليل لفظى من القرآن

ورد لفظ الجهاد فى القرآن حوالى أربعين مرة ، بمشتقاته وصيغه المختلفة : « جاهد ، جاهداك ، جاهدوا ، تجاهدون ، يجاهد ، يجاهدوا ، يجاهدون ، جاهد ، جاهدهم ، جاهدوا ، جهد ، جهدهم ، جهادا ، جهادة ، مجاهدون ، مجاهدين » . وتدور كل هذه الصور حول معنى واحد هو بذل الوسع والمجهود وتحمل المشقة فى ذلك ، فالجهْد مشقة ، والجهْد طاقة ، الجهد وسع الطاقة ، والجهد بلوغ غاية .

وتحليل لفظ « الجهاد » فى القرآن يبين لنا المعانى الآتية :

١ — الجهاد فعل أَوْحَد :

الجهاد فعل أَوْحَد لا يمكن مقارنته بأى فعل آخر يساويه حتى ولو كان فعلا شرعيا ، فالجهاد أول الأفعال الشرعية وجامعها كلها . ومهما قيل فى أفعال التكليف من حلال وحرام وواجب ومندوب ومكروه فإن الجهاد أم هذه الأفعال أى هو الواجب وجوبا محضا ، ان لم يكن هو

كتب هذا المقال عام ١٩٦٧ عندما اتى لى مندوب « منبر الاسلام » طالبا مساهماتى الفكرية وعارضا مبلغا من المال يعادل فى المقال الواحد مرتبى ثلاث مرات . ولما كتبت له مقالتي الثلاث الاولى وعاد يرتعش كتبت له هذا المقال الرابع والآخر ، فطلب صراحة الكتابة فى موضوعات الصبر ، والتوكل ، والورع ، والتقوى ، والرضا ، والخوف ففهمت . انظر « قضايا معاصرة » الجزء الاول ، فى فكرنا المعاصر ص ١٦٥ — ١٧٦ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ .

التكليف نفسه ، اذن لا يوضع الجهاد مع فعل آخر حتى ولو كان مندوبا
أو واجبا لان الجهاد يند عن تصنيف التكليف والخيار بين أفعاله :
« أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيل الله » (التوبة : ١٩) • وهو الدافع الانساني
الذى هو أقوى من كل دافع آخر ، بل هو الدافع الذى يمحى أمامه
كل دافع آخر ويذوب فيه : « قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فقرّبصوا ••• » (التوبة : ٢٤) • فلا يكفرن عن الجهاد الا الجهاد ولا
مكان للقائعين الراضين بين المجاهدين •

٢ — الجهاد امتحان واختبار :

جهد بالرجل أى امتحنه واختبره ، فالجهاد امتحان واختبار ،
وهو الكفيل باظهار المؤمن من المنافق ، الصادق من المرائى • فالله
يمتحن العبد فى ايمانه بدرجة استعدادده للتضحية الفعلية ، ولا كسب
ولا نصر الا بعد هذا الاختبار : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (آل عمران : ١٤٢) •
الجهاد اذن تمحيص للايمان واختبار لرسوخه ولن يترك الانسان لقوله
وما يتشدد به دون تمحيص واختبار : « أحسبتم أن تتركوا ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم » (التوبة : ١٦) • فليس كل من ادعى الجهاد
مجاهدا ، وليس كل من دعى الى الجهاد مجاهدا ، فقد يكون كلاهما أول
الناكسين • انما الواقف فى الخطب ، الثابت فى البلاء هو المجاهد حقا :
« ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم »
(محمد : ٣١) •

٣ — الجهاد حرية الايمان :

الجهاد هو رأس الايمان وحرية تتطلق منه تلقائيا دون اذن أو سماح والا فهو النفاق والرياء • فالؤمن مجاهد بالطبع لان ايمانه يأبى عليه القعود والتخاذل والتحجج وتلمس الاعذار : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا » (التوبة : ٤٤) • فالايمن تقدم والنفاق تراجع ، والجهاد سبق والرياء تقاعد : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا » (التوبة : ٨١) • والمؤمن لا ينهزم ولا يستسلم بل يجاهد • فالجهاد والانهازية ضدان ، والمجاهد والقاعد طرفا نقيضان : « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » (النساء : ٩٥) ، « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » (النساء : ٩٥) • والجهاد حق على المؤمنين عامتهم وخاصتهم ، شراذمهم ووجهائهم • فالؤمن الذى لا يربطه بهذا العالم الا لقمة خبزه وسترة جسده هو السباق للجهاد ، أما وجيه القوم المتناقل بالاحمال وبما كثر وجمع وملك وتمالك فهو آخر المجاهدين : « واذا نزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم » (التوبة : ٨٦) • لذلك ، استنفر القرآن الناس للجهاد : « أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » (التوبة : ٤١) حتى يستطيع كل مؤمن أن يبرز ايمانه ويوضحه بالفعل • والاستنفار حالة حرب واستعداد له وتهيئة سبله • ولذلك أيضا يربط القرآن الايمان بالجهاد ، كلما ذكر الايمان ذكر الجهاد : « تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله » (الصف : ١١) • فالجهاد هو الذى ينبثق من الايمان الراسخ لا من ايمان مزعزع مشكوك فيه ، فالمجاهد الواثق من قضيته أثبت وأصلب في القتال : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا

وجاهدوا بأموالهم » (الحجرات : ١٥) • والايمان قد يحتم الهجرة وترك الابل والوطن لفتح ميادين أخرى له فى مكان آخر ، وهذا جهاد كذلك ، فالمؤمن يجاهد فى كل مكان ، وقد جعلت له الارض ميدانا : « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » (الانفال : ٧٢) • كذلك ، « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم » (الانفال : ٧٥) •

٤ — الجهاد بذل وفداء :

لا يوجد جهاد من عدم ، إنما الجهاد هو جهاد بشىء ، بالمال وبالنفيس ، فالمجاهد هو الذى يعطى ولا يأخذ ، وهو الذى يهب ولا يسأل ، وهو الذى يضحي بما معه ، لا من يتطلع الى غيره ، فالجهاد بذل لا مكسب ، وتضحية لا احتراف ، ومن يعمل لعمل الله دون جزاء من الناس • المجاهد هو الذى يهب ماله ونفسه لا الشحيح بورقه وبحياته : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله » (الانفال : ٢٠) • ولا يطلبن من أحد فوق طاقته وكذلك لا يقبل من مؤمن أقل من طاقته • فالجهاد حسب الوسع والطاقة ، فجهاد الفكر حسن النصيحة ، وجهاد العامل اتقان عمله ، وجهاد المعلم صدق قوله ، وجهاد القائد حسن استشهاده ، وجهاد الحاكم عدل حكمه ، فالجهاد نية وموقف وعمل : « والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم » (التوبة : ٧٩) •

٥ - الجهاد تأكيد للشخصية :

الجهاد جهاد للنفس أولا ، وهو تحقيق للشخصية الانسانية وتأكيد لارادتها وفعلها ، وهو السبيل للحفاظ على هذه الحياة التي وهبها الله لها : « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين » (العنكبوت : ٦) . الجهاد اذن فيه مصلحة العباد وتهيئة سبلهم وليس ضياع أو موت أو عدم . ويتم الجهاد بحرية كاملة وعن علم ، فلا يجبرن أحد على التضحية والا ذهب متاثلا يجر أقدامه أو قاتل مزعزا لا بدري من أمره شيئا ، يتم الجهاد اذن عن رؤيا واضحة لقضايا الجهاد وهي القضايا المصيرية التي تجتازها الامة الاسلامية . الجهاد جهاد عن وعي ، ومن جاهد غير واع كان مخاطرا بالهزيمة : « ان جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما » (لقمان : ١٥) . وأجهد نفسه تعنى أبرز موقفه وأوضح فكره . والجهاد لا يدعو الى الخوف أو التخوف : « ويجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » (المائدة : ٥٤) ، بل ان الجهاد مدعاة للثبات ولرباط الجأش والغلظة على الكافرين : « يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم » (التوبة : ٧٣) . فلا توانى فى الجهاد ولا انتظر ، ولا تهاون ولا مصالحة ، الجهاد هو الجهاد الكبير ، الجهاد العام الشامل الذى ينهض فيه المسلمون للدفاع عن أوطانهم ومقدساتهم : « فلا تطع الكافرين وجاهدوهم جهادا كبيرا » (الفرقان : ٥٢) .

٦ - الجهاد حق الله :

كما أن الجهاد هو حق الانسان ، هو حق الله أيضا ، لا ابتغاء ثناء أو مديح أو مكسب أو مغنم ، بل لاعلاء كلمة الله ولتأكيد شرعه : « وجاهدوا فى الله حق جهاده » (الحج : ٧٨) . فكما أن الزكاة حق

المال ، والصلاة حق الشهادة ، فالجهاد حق الله ، ومن لا يجاهد فانه يسقط حق الله من حسابه ، وأى حق ! : « ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلى وابتغاء مرضاتى » (المتحنة : ٦٠) • ويتم ذلك بأخذ الوسائل والسبل لذلك ، فلا جهاد بدون خطة وعتاد مادام هناك المجاهدون في سبيل الله : « اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله » (المائدة : ٣٥) • فبمقدار ما يتهيا العدو للقاء بمقدار ما نستعد للقاءه بوسائله وسبله • بعد ذلك يفتح الله على المؤمنين وينصرهم نصرا مؤزرا • فالجهاد هو سبيل الهداية ، وطريق الحق : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (العنكبوت : ٦٩) ، وسبيل الجهاد هو الطريق الى بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين •

(هـ) الصبر

لقد بدأت قيم جديدة تغزو نفوسنا ، ونربى عليها شعوبنا •
والحقيقة أنا في غنى عنها لأنها كامنة في النفوس • تعمل فينا ، وتؤثر
في سلوكنا ، ولا نستطيع إياها دفعا • ومن أمثال ذلك « الصبر » • فقد
ورثناه عن الصوفية وغنياته ، وضرينا به الامثلة ، واستشهد به الآباء
والاجداد ، وعلقنا على حائطنا « الصبر مفتاح الفرج » •

صحيح أن القرآن الكريم يذكر فضيلة الصبر (١٠٣ مرة) ولكننا
نسئ تأويله ، ونجعله يسير على وتيرة واحدة لاعطاء معنى واحدا هو
الاستكانة والقبول والرضى وعدم الثورة أو الغضب أو الرفض • الصبر
في القرآن ليس قبولا للضيم ، وتحملا للمهانة والاذى ، وجرحا للكرامة
الوطنية بل هو صبر وعزيمة ، « فاصبر كما صبر أولوا العزم من
الرسل » (٤٦ : ٣٥) • ولا بد أن يسبقه جهاد ، « ثم جاهدوا وصابروا »
(١٦ : ١١٠) • ويتلوه الرباط ، « أصبروا ، وصابروا ، ورابطوا »
(٣ : ٢٠٠) • فالصبر ليس ضعفا أو استكانة ، « وما ضعفوا وما
استكانوا ، والله يحب الصابرين » (٣ : ١٤٦) • والصبر لا يكون
الا في الحرب والقتال « والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس »
(٢ : ١٧٧) • ويكون نتيجة للعمل والجهاد ، « ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (٣ : ١٤٢) ، والصبر هو أن تغلب

كتب هذا المقال أيضا لجريدة « الاهالى » في ١٩٧٨ في نفس الظروف
التي كان يروج في مصر وقتها لكل القيم السلبية على انها قيم الايمان من
اجل تركيز مفاهيم الطاعة وترسيخ سلوك الاستسلام لدى الجماهير •
وهذه صياغة ثانية من المسودة الاولى كتبت في خريف ١٩٨٧ •

الفئة القليلة الفئة الكثيرة ، « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » (٨ : ٦٥) ، « فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين » (٨١ : ٦٦) • وليس صبر الكثير على القليل ، والاغلبية على الاقلية •

وفي نفس الوقت ، يبين القرآن أيضا أن أمام الحقائق الدامغة فالصبر لا فائدة منه ، ولا يرجى منه شيء ، « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » (١٤ : ٢١) • وعذاب الجحيم لن يفيد الصبر منه شيئا ، « اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم » (٥٢ : ١٦) • كما أن الصبر يجوز مع الذين يرجى منهم شيء ، « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » (١٨ : ٢٨) ، وليس على الاعداء الذين يتربصون بالمسلمين • الصبر اذن موقف مؤقت ، حركة سلبية ، اختمار لوقت الفورة والغضب ، وتغير الموازين ، وانقلاب القوى •

كما يبين القرآن أن الصبر لا يصح في كل الحالات ، فالصبر على الباطل باطل ، « وان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها » (٢٥ : ٤٢) • كذلك لا يمكن الصبر على جهل وعدم معرفة بالامور ، « وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا » (١٨ : ٦٨) • بل ان لفظ الصبر والضجر منه هو فاتحة العلم ، وبداية المعرفة ، وطريق الفهم ، « سأنبؤك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا » (١٨ : ٧٨) • والانبياء أنفسهم يضيقون بالصبر ذرعا ، « انك لن تستطيع معي صبرا » (١٨ : ٦٧) • والشعب الذي يتضرر من الصبر يحصل على ما يريد ، « واذا قلت يا موسى لن نصبر على طعام واحد » (٢ : ٦١) • بعد ذلك أعطى الله بنى اسرائيل خير مصر • وأخيرا يضيق القرآن ذرعا بالصبر لان الصبر شيفة الكافرين في تحملهم عذاب النار ، « فما أصبرهم على النار » (٢ : ١٧٥) •

(و) الحب

اننا ندعو الى الحب بيننا ، ونريد اقامة مجتمعنا على الحب ،
ونتصور الحب على أنه تخل عن الحقوق ، وترك للامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، فنحب السارق والسهمسار ، ونعشق الحارس والجلاد .
تصورنا الحب على طريقة الانفتاح ، سداح مداح ، بلا شروط وبلا
مقابل . ويتضح ذلك في أغانينا بالاستمرار في الحب بالرغم من الهجران،
فتقبل الضيم والهوان باسم الحب . ويغذى الصوفية ذلك في النفوس ،
فنستشهد بأقوالهم . صحيح أن القرآن تحدث عن الحب ، وجعل
الحب فعلا من أفعال الله ولكننا كعادتنا نأخذ من القرآن ما نريد ونترك
ما لا نريد ، ونؤمن ببعض الكتاب ، ونكفر بالبعض الآخر .

لقد ذكر القرآن أن الله يحب (ست عشرة مرة) . فالله يحب
التوابين ، والمتطهرين ، والمتقين ، والمحسنين ، والصابرين ، والمتوكلين ،
والمقسطين ، والذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص .
ولكنه ذكر أيضا أن الله لا يحب (ثلاثا وعشرين مرة) أي أن الله لا يحب
أكثر مما يحب . فالله لا يحب للكفر والاثم ، « والله لا يحب كل كفار
أثيم » (٢ : ٢٧٦) . ولا يحب الخيانة والاثم ، « ان الله لا يحب
من كان خوانا أثيما » (٤ : ١٠٧) . والخيانة اثم وكفر ، « ان الله

كتب هذا المقال أيضا لجريدة « الاهالي » عام ١٩٧٨ في الوقت الذي
كان يروج فيه حاكم مصر في ذلك الوقت لقيم الحب والايمن واخلاق القرية
والطاعة لرب الاسرة وكبير العائلة . وكان الغرض منه اثبات العكس أي
شرعية الإلحاح بالانسان بل وان يكره مثل الله تملها . وكان تحت العنوان
آية « ان الله لا يحب كل مختال فخور » . وهذه صياغة ثلثية من المسودة
الاولى كتبت في خريف ١٩٨٧ .

لا يجب كل خوان كفور » (٢٢ : ٣٨) • والله لا يجب الخائنين ،
« ان الله لا يجب الخائنين » (٨ : ٥٨) • والله لا يجب الفرحين
بأنفسهم ، « ان الله لا يجب الفرحين » (٢٨ : ٧٦) • كما أنه لا يجب
المختالين الفخّورين بأنفسهم زينة ولباسا ، أناقة ومظهرا ، صورة
واعلاما ، « والله لا يجب كل مختال فخور » (٤ : ٣٦) • والله لا يجب
الجهر بالسوء ، والهجوم على الآخرين ، والنيل من ايمانهم ومن
وطنيتهم ، « لا يجب الله الجهر بالسوء » (٤ : ١٤٨) • والله لا يجب
الفساد ، « والله لا يجب الفساد » (٢ : ٢٠٥) • كما أنه لا يجب
الاسراف ، وتجديد القصور ، وتبذير الاموال ، « انه لا يجب المرففين »
(٦ : ١٤١) • والله لا يجب الظلم ، « والله لا يجب الظالمين »
(٣ : ٥٧) • كما لا يجب الاعتداء ، « ان الله لا يجب المعتدين »
(٢ : ٢٩٠) • فاذا كان الله لا يجب الكفر ، والاثم ، والخيانة ،
والعجب بالنفس ، والعجز ، والاستكبار ، والجهر بالسوء ، والفساد ،
والظلم ، والاعتداء • فكيف يجب الانسان هكذا بلا تمييز بين موضوعات
الجب ؟ الحب سهل وعدم الحب صعب ، فالايجاب أسهل على النفس
من السلب • لا يوجد حب بلا عدم • كلاهما واجهتان لعملة واحدة •

كما يذكر القرآن أن الحب قد يكون وهما وخداعا ، « عسى أن
تحبوا شيئا وهو شر لكم » (٢ : ٢٢٦) • كما أنه قد يكون لسراب
خادع ووهم باطل ، « لا أحب الآفلين » (٦ : ٧٦) ، وقد لا ينتج عنه
عمل صالح بل قد يؤدي الى العصيان ، « وعصيتم بعدما أراكم ما
تحبون » (٣ : ١٥٢) • لذلك يركز القرآن على أن الحب ليس على
الإطلاق بل هو مشروط بالطاعة وبالعامل الصالح ، « قل ان كنتم تحبون

الله فاتبعوني يحببكم الله « (٣ : ٣١) • فالحب علاقة متبادلة بين طرفين ، وليس من طرف واحد ، « ما أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » (٣ : ١١٩) • وهى علاقة بين الانسان والانسان أو بين الانسان والله ، « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » (٥ : ٤٥) • كما أن شرطه الانفاق ، « لن تتألوا البر حتى تتفقوا مما تحبون » (٣ : ١٥٢) ، « وآتى المال على حبه ذوى القربى والمساكين » (٢ : ١٧٧) ، « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » (٨ : ٧٦) •

والاكثر من ذلك فان القرآن يدين الحب الذى لا يوضع فى محله • فالحب يتحدد بموضوعه وليست بصورته • فلا يستطيع الانسان أن يحب الضلالة والعمى ، « فاستحبوا العمى على الهدى » (٤١ : ١٧) • ولا يستطيع أن يحب الكفر ، « لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان » (٩ : ٢٣) • ولا يحب العاجلة تاركا الباقية ، « ان هؤلاء يحبون العاجلة » (٧٦ : ٢٧) ، ولا يحب الدنيا ، « وذلك بأنهم استحبوا الدنيا على الآخرة » (١٦ : ١٠٧) • ولا يحب الشهوات ، « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين » (٣ : ١٤) • ولا يحب الفاحشة ، ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » (٢٤ : ١٩) • ولا يحب المال ، « وتحبون المال حبا جما » (٨٩ : ٢٠) • ولا يحب أن يحمد بما لم يفعل ، « ويحبون أن يحمد بما لم يفعلوا » (٣ : ١٨٨) • ولا يحب أن يتخذ أندادا لله ، « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله » (٢ : ١٦٥) • ولا يحب التكاسل والالتكاسل

وملكية العقار ، « ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد
في سبيله » (٩ : ٢٤) •

انما الحب المطلوب هم للاخوان الذين هاجروا من ديارهم أى
لجماعة المؤمنين الذين يجتمعون فيما بينهم على هدف ، ويكونون حزبا ،
« يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا »
(٩ : ٥٩) • الحب للسجن عندما تدعو الحاجة دفاعا عن نهرف الكلمة
وكرامة الوطن ، « قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه »
(١٢ : ٣٣) •

(ز) الكراهية

يحاول فكرنا السياسى فى هذه الايام تحليل كل ما يحدث فى واقعنا من قلق اجتماعى ورفض لسياستنا الاقتصادية بالكراهية والحقـد والضغينة وغياب المحبة والالفة ! فاذا ما تخلصنا من الكراهية تخلص واقعنا من كل مآسيه ، وتخطينا بأمان وسلام عنق الزجاجة عام ١٩٨٠ ثم انتقلنا الى عالم الرفاهية عام ٢٠٠٠ ، منزل ومرسيدس لكل مواطن ! وتؤثر فينا هذه الدعوة لما عرف عن شعبنا من كرم وحب وسلام . وعلى فرض صحة هذا التحليل يظل السؤال هو : كراهية من ، وكراهية ماذا ؟ صحيح أن القرآن يندد بالكراهية ، كراهية المجرمين والكافرين والمشركين للحق ، ولكنه أيضا يندد بكراهية الناس للجهاد بأموالهم وأنفسهم ، « وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله » (٩ : ٨) . كما ينبه القرآن على أننا قد ننخدع فنكره شيئاً وهو خير لنا ، « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » (٢ : ٢١٦) حتى لا نقع فريسة للوهم والخداع ، ونعيد الحساب باستمرار .

وينبه القرآن أيضا على شئ نغفل عنه ، ونصم آذاننا دونه وهو كراهية من ؟ وكراهية ماذا ؟ فبعض الناس تجب كراهيته عن حق . والله نفسه يكره جهاد المنافقين ، « كره الله انبعاثهم فثبطهم » (٩ : ٤٦) . وكره خروجهم للقتال لانهم يخرجون بلا حماس ولا اقتناع ،

كتب هذا المقال أيضا لجريدة « الاهالى » عام ١٩٧٨ لبيان معنى الكراهية الايجلبى ، كراهية الظلم والطغيان فى الوقت الذى امتلأت فيه اجهزة الاعلام ببناء عنى توجيه النظام فى مصر ضد الحاقدين الذين يروجون للحقد الطبيعى وليس للسلام الاجتماعى ! وهذه صياغة جديدة من المسودة الاولى كتبت فى خريف ١٩٨٧ .

يبلغون الاضرار بالمؤمنين • كما أن الله في نفس الوقت الذي حبيب الينا
الايمان كره الينا الكفر والفسوق والعصيان ، « وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان » (٤٩ : ٧) • فكراهية الكفر واجبة ، وكراهية
الفسوق فرض ، وكراهية العصيان أمر • ولكن الإهم من ذلك هو
كراهية من يأكل لحم أخيه ميتا ، « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه
ميتا فكرهتموه » (٤٩ : ١٢) • بل ان التكوين الصوتي لفعل
« فكرهتموه » يدل على شدة الكراهية • فكل من السمسار والمضارب
يأكل لحم أخيه لانه يتكسب بلا جهد • والمرتشى يأكل لحم أخيه
لانه يأخذ مالا بغير وجه حق • وقابض العمولات يأكل لحم أخيه لانه
يختلس على وجه شرعى ، ويأخذ أجرا مضاعفا ، مرة من عمله ظاهرا
ومرة أخرى يزيد عليه مئات المرات باطنا دون تناسب بين الجهد
والكسب • ان من يتهرب من الضرائب ، ومن يتاجر بأقوات الناس ،
ومن يكسب أضعاف أثمان السلع ، ومن يختلس المال العام ، كل منهم
يأكل لحم أخيه فوجبت كراهيته بأمر الله • وكل من يدعو الى لفظ
الكراهية فانه يريد للغير أن يأكلوا لحومنا فوجبت كراهيته وكراهيتهم •

وينبه القرآن أيضا على أننا نحب بعض ما نكره ، وأن الكراهية
عامل ايجابى • فقتال الاعداء مكروه للنفس ولكنه واجب ، « كتب
عليكم القتال وهو كره لكم » (٢ : ٢١٦) • والام تحمل وليدها وتضعه
كرها ، « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ، ووضعته
كرها » (٤٦ : ١٥) ، ولكنه محبب الى النفس • والمؤمن قد يكره
أيضا عن حق ، « وان فريقا من المؤمنين لكارهون » (٨ : ٥) •

الكراهية اذن ليست شرا على الاطلاق • بل قد تكون خيرا مثل

كراهية الظلم والنفاق والطغيان ، وكراهية القعود والتخلف عن القتال ،
وكراهية الاستغلال والاحتكار والاكتناز . وإذا كان الله يحب ويكره
فلماذا يحب الانسان على الاطلاق ، وتحرم عليه الكراهية (١) ؟

(١) كانت هناك محاولات أخرى لاستئناف هذه التحليلات للقيم السائدة
التي تروجها أجهزة الاعلام بمعانيها السلبية من أجل إعادة بنائها ارتكازاً
على معانيها الايجابية ثم توقفت بسبب عدم حماس جريدة « الاهالى »
لاستئناف المشروع . وكانت اهم الموضوعات كالآتى مصنفة طبقاً للمبادئ
الرئيسية :

١ — السياسة : التقدم والتأخر ، التخلف والمتخلفون ، القعود
والقاعدون ، الاصلاح والافساد ، القتال ، الفوز ، العرب والعروبة ،
سيناء ، الحرب والسلام ، الاعداء .

٢ — الاقتصاد : الترف والمترفون ، الغنى والاغنياء ، الفقر والفقراء ،
التجارة ، الربح ، الثمن ، الاجر ، الجوع ، الاسراف ، الكسب ، المال ،
المقاع ، الرزق .

٣ — الارض : التراب ، الارض ، الطين ، الزرع ، العمل ، الحديد .

٤ — الاجتماع : الانسلن ، الامة ، البشر ، الدرجات وال مراتب ،
الظلم والعدل ، المسكن ، الجهل ، السفه والغفلة ، السر والعلن ،
الترشيد ، الفقه ، التفكير ، القرآن ، الواقع ، السؤال ، الحزب والبرهنة ،
القوة والضعف ، اليأس والقنوط ، الوهن ، الدين ، الاسلام ، الحاكمية ،
الاقلية والاعلبية .

٥ — الفكر : ثورة أم اصلاح ؟ الانسلن والتاريخ ، التعصب ، ثورة
الانبياء .

والمنهج المتبع كان واحداً وهو « تحليل المضمون » اعتماداً على معنى
هذه الالفاظ في القرآن الكريم وتصويبها نحو الواقع . اما في الموضوعات
الفكرية فكان الاعتماد فيها على التنظير المباشر للواقع .

ح - الصلاة والنفاق

الصلاة فعل من أفعال الانسان العادية التي يقوم بها في حياته اليومية . فهي اذن موضوع دراسة للسلوك الانساني في شتى صورته . كذلك النفاق أحد مظاهر هذا السلوك الانساني . ونجد في الآيات القرآنية نفس الوصف للصلاة والنفاق ، والايمان والنفاق مثل : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » (٤ : ٤٣) . وكأن الصلاة لا صلة لها بالسلوك ، هذه نقرة وتلك نقرة أخرى . ومثل : « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى » (٤ : ١٤٢) ، « ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى » (٩ : ٥٤) وكأن فعل الصلاة ثقيل على النفس ، يقوم به المصلى بلا حماس أو وازع ، مجرد أداء واجب أو أمر بلا اقتناع . ومثل : « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » (٨ : ٩٢) مثل معظم صلوات الناس اليوم . أما الايمان والنفاق فالشواهد عليهما كثيرة يذكرهما القرآن في وصف سلوك الانسان عندهما يؤمن بالله فقط ساعة الشدة والضرر ولا يعرفه الا في المصائب ، فاذا كشف الله الضر ترك ايمانه كأن لم يؤمن بالامس !

كتب هذا المقال في فترة الشهادة الاولى بعد هزيمة ١٩٦٧ ، فترة « قضيا معصرة » ، بالموازاة مع « التفكير الديني وازدواجية الشخصية » (الجزء الاول ، في فكرنا المعاصر ص ١١١ - ١٢٧) . وهو ايضا محاولة لوصف الدين الشعبي في مقابل الدين الشرعي ، وتحليل نفسي للصلاة كما يمارسها بعض الناس في الحياة اليومية والتي تجعل البعض الآخر رافضا لممارسة العبادات على أنها نوع من الطقوس والشعائر والاشكال الخارجية . والمقال لم يتم ، وهذه صياغة ثانية من الفقرات الاولى تمت في خريف ١٩٨٧ .

« وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره » (١٠ : ١٢) ، « ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون » (١٦ : ٥٤) ، « وإذا متس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون » (٣٠ : ٣٣) ، « وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل ، وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله » (٣٩ : ٤٩) . والشواهد على ذلك كثيرة وواضحة لكل قارئ للقرآن . والتجربة الانسانية تؤكد هذه الشواهد النقلية . والقرآن يصف بعض التجارب الدينية فعلا وإيمانا . فما هي أواصر القربى بين الصلاة والنفاق بناء على هذه التجارب ؟

يقع التشابه بين التجريبتين في انفصام القول والعمل . فالمنافق يقول غير ما يعتقد . القول عنده ليس تعبيرا عن مضمون شعوره بل إيهام المستمع بما يرضيه أى أنه يعبر عن شعور الآخر ليحوز رضاه أو ثقته أو لينال مغنما منه . هو لا يقول شيئا لان القول يصدر أساسا عن قصد ، وقصد المنافق يكمن بينه وبين نفسه دون أن يعبر عنه . والمصلى أيضا قوله منفصم عن عمله . والتمتمة التى يقوم بها يقول شيئا من غير مضمون لإيهام المستمع بالصوت . أما ما يحسه ويشعر به فهو لا يعبر عنه أبدا . وقد يطغى عليه فيشرد ذهنه . وهو فى هذا الشرود أصدق لانه يعبر تعبيرا شعوريا عما يحس به فى باطنه وعما يوده ويرجوه قاضيا على القول الذى لا يعبر عن باطنه أبدا .

والمنافق له قصد مزدوج . له قصده الذى يعبر عن جوهره وماهيته

وهو ما يخفيه ، ولا يظهره الا في حياته الخاصة وبين المنافقين • وقصد آخر يتبناه ، يحاول أن يعيشه • وهذا القصد الوهمي هو الذي يعبر عنه في قوله عندما يتحدث • والمصلى أيضا له قصد مزدوج • فالقصد الخفي الذي يعبر عن جوهره هو الصلاة بحكم العادة ، لرؤية الآخرين ولكي يراه الآخرون • هو حب الثناء ، والرغبة في الاطمئنان الاجتماعي وعدم الشذوذ عن المألوف • وهو خوف مما يظنه الناس على أنه مرذول ، وقد يكون خوفا طبيعيا مما قد يلحق به ان تخاذل من آثار لا يرضاها على نفسه ، آثار مباشرة أو غير مباشرة • أما القصد الآخر الذي يوهم به فهو ما يسميه الايمان أو الله موضوع الايمان • ففعله يصدر عن قصد وعن اعتقاد عادة وخوفا ثم يوهم بهذا القصد المركب المتبنى •

وللنفاق شعور مزدوج يظهر في سلوكه العام قولاً أو عملاً أو شعوراً • فهو يقول غير ما يعتقد ، ويعتقد غير ما يقول • وإذا حللنا شعور المصلى لوجدناه أيضا شعوراً مزدوجاً • فالمصلى يحيا على مستويين ، مستوى عام ومستوى خاص • فهو شعور عادي غير موجه على المستوى العام ، يفعل دون أن يكون هناك أساس نظري لفعله الا أساس العادة • ثم يقطع من هذا الشعور جزءا آخر يوجهه على أساس غامض يظنه أفضل وأسمى من باقى الشعور • ويصدر عنه فعل أيضا بحكم العادة • ويظنه فعلا اراديا مبنيا على قصد حاضر يعيشه صاحبه في اللحظة • والذي يحدد ظهور أحد المستويين أو الآخر هو رؤية الناس له ومدى تحقيق مصلحة له اذا ما كان موضوعا لهذه الرؤية •

ويعيش المنافق في عالين ، عالم الظاهر وعالم الباطن ، العالم المرئى والعالم اللامرئى ، عالم الشهادة وعالم الغيب ، عالم العلن وعالم السر . يكون موجودا في أحدهما ويظهر عكس ذلك للناس . وكذلك يعيش المصلى في عالين : الداخلى والخارج ، الروح والبدن ، الدين والدنيا ، الله والعالم . يوجد في أحدهما ويظهر للناس أنه يعيش في الآخر .

والسؤال الآن : اذا كانت الصلاة هي تدبر لما يقال كلمة كلمة أى اتفاق القول مع الشعور فكيف يمكن تحقيق هذه الوحدة في كل عمل وفي كل لحظة حتى يكون الانسان مصليا صادقا ، يقوم بالصلاة من حيث هي مضمون لا من حيث هي صورة ، ويعيش في عالم واحد لا في عالين ، وعلى مستوى واحد لا على مستويين ، يوحد بين قوله وعمله ، بين داخله وخارجه ، بين دينه ودنياه ؟ كيف يعيش الانسان صريحا ، صادقا مع النفس وفي العالم حتى ولو اتهمه الآخرون الذين يجمعون بين الصلاة والنفاق ؟

ط - أحكام السوق

عرض كثير من الفقهاء قديما لاحكام السوق • ووضعوا فيها ليس فقط ما يتعلق بالبيع والشراء والتسعير والغش بل أيضا أحكام الذهاب الى السوق والسير فيه والذهاب الى الحمام ونظافة الطرقات وأوضاع محلات اللهو وآداب الطريق • ومع ذلك فالموضوعان الغالبان هما التسعير والغش • وباقي الموضوعات مقتطفات هنا وهناك •

تبدأ أحكام السوق بتحريم الاحتكار • وقد قال الرسول : « الجالب مرزوق ، والمحكر ملعون » وقال أيضا : « لا يحتكر الا خاطيء » • فالاحتكار منع للتداول ، ومصادرة على نشاط الآخرين ، وتحويل الملكية الى استئثار وتملك وليس مجرد استثمار وتصرف • فاذا وقع احتكار فالتسعير واجب • ويحد لاهل السوق حد لا يتجاوزونه مع قياس الناس بالواجب • وترك السوق بلا تسعير يجعله عرضة للاحتكار وغلاء الاسعار والربح الفاحش • والسلطان هو الذى يسعر وليس الله والا كان الله يسعر من أجل السلطان وكان السلطان يسعر ويدعى أنه تسعير الله • وقال أبو حنيفة أنه لا ينبغي للسلطان أن يسعر على الناس الا اذا تعلق به حق ضرر العامة • فاذا رفع الى

كتب هذا المقال لجريدة « الاهالى » عام ١٩٧٨ وكانت الغلية منه اعلاة عرض الفقه القديم بناء على الاوضاع الاقتصادية للعصر • وهذه صياغة ثانية من المسودة القديمة كتبت في خريف ١٩٨٧ (انظر أيضا : يحيى بن عمر : احكام السوق ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، نشر فرحات الدشراوى ، الشركة التونسية للتوزيع • وهناك نشرة أخرى للدكتور محمود على مكي ، مجلة المعهد المصرى ، مدريد ١٩٥٦) •

القاضي أمر المحتكر ببيع ما فضل عن قوته وقوت أهله على اعتبار السعر في ذلك • فنهاء عن الاحتكار • فإن رفع التاجر فيه إليه ثانيا حبسه وعزره على مقتضى رأيه زجرا له أو دفعا للضرر عن الناس • فإن كان أرباب الطعام يتعدون ويتجاوزون القيمة تعديا فاحشا وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين إلا بالتسعير حينئذ يكون بمشورة أهل الرأي والبصيرة ، وإذا تعدى أحد بعد ما فعل ذلك أجبره القاضي • فإذا كانت حاجة الناس لا تقضى إلا بالتسعير العادل سعر عليهم تسعير عدل • ولا بد من العلم بالسعر قبل البيع والشراء • فقد نهى النبي عند البيع والشراء الذي جنسه حلال حتى يعلم البائع بالسعر وهو ثمن المثل ، ويعلم المشتري بالسلعة • ومن المنكرات تلقى السلع قبل أن تجيء إلى السوق لما فيه من تغيير البائع فانه لا يعرف السعر فيشتري منه المشتري بدون القيمة • ولذلك اثبت النبي الخيار • كما لا يجوز البيع والشراء بثمن للمماكس وبثمن آخر لغير المماكس (الفصل في الاسعار) فليس لأهل السوق أن يبيعوا للمماكس بسعر والمستقريل الذي لا يماكس أو هو جاهل بالسعر بأكثر من ذلك السعر لقول الرسول « غبن المستقريل ربا » • كما نهى الرسول عن بيع حاضر لباد لقوله « دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » أي لا يكون له سمسارا لما في السمسرة من ضرر المشتريين فإن المقيم إذا توكل للقادم في بيع سلعة يحتاج الناس إليها ، والقادم لا يعرف السعر ضر ذلك المشتري •

فإذا ما تبين أن في السلعة غشا فسخ البيع لقول الرسول « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا وكتما محقت بيعهما » • فالغش محرم في البيع والشراء

لقول الرسول « من غشنا فليس منا » ، وقوله أيضا « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » • وينتهي المحتسب عن المنكرات مثل تطفيف المكيال والميزان والغش في الصناعات والبياعات والديانات : « ويل للمطففين الذين اذا كانوا على الناس يستوفون ، أو كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم » (٨٣ : ١ - ٥) • وأيضا « أوفوا الكيل ، ولا تكونوا من الخسرين » (٢٦ : ١٨١) ، « وأوفوا الكيل اذا كلمتم وزنوا بالقسطاس المستقيم » (١٧ : ٣٥) ، « ولا تنقصوا المكيال والميزان » (١١ : ٨٤) ، « فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم » (٧ : ٨٥) ، « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط » (٦ : ١٥٢) •

والغش على أنواع • يدخل في البيوع بكتمان العيوب وتدليس السلع مثل أن يكون ظاهر المبيع خيرا من باطنه كما قال الرسول « أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس » • ويدخل في الصناعات مثل الذين يصنعون المطعومات من الخبز والطبخ والعدس والشواء وغير ذلك أو يصنعون الملابس كالخياطين وغيرهم أو يصنعون غير ذلك من الصناعات فيجب نهيمهم عن الغش والخيانة والكتمان • ومن هؤلاء الكيماوية الذين يغشون النقود والجواهر والعطر وغير ذلك فيصنعون ذهباً أو فضة أو عنبراً أو مسكاً أو جواهر أو زعفراناً أو ماء ورد أو غير ذلك يضاهون به خلق الله • وتتدخل في المحرمات العقود المحرمة مثل عقود الربا والميسر مثل بيع الفراء وكحل الحيلة والملاسة والمنابذة وربا النفسية وربا الفضل وسائر أنواع التدليس • وتتدخل في ذلك المعاملات الربوية سواء كانت ثنائية أو ثلاثية اذا كان المقصود

بها جميعا أخذ دراهم بدراهم أكثر منها الى أجل • فالثنائية ما يكون بين اثنين مثل أن يجمع الى القرض بيعا أو اجارة أو مساقاة أو مزارعة طبقا لقول الرسول « لا يحل سلف أو بيع ولا شرطان في بيع ولا ربح ما لم يضمن ، ولا بيع ما ليس عندك » مثل أن يبيعه سلعة الى أجل ثم يعيدها اليه ، « من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما أو الربا » • والثلاثية مثل أن يدخل بينهما محلا للربا يشتري السلعة منه آكل الربا ثم يبيعها المعطى لربا الى أجل ثم يعيدها الى صاحبها ينقص دراهم يستفيدها المحال • هذه المعاملات منها ما هو حرام باجماع المسلمين مثل التي يجرى فيها شرط لذلك أو التي يباع فيها البيع قبل القبض الشرعى أو بغير الشروط الشرعية أو يغلب فيها الدين على المعسر فان المعسر يجب أنظاره • ولا يجوز الزيادة بمعاملة ولا غيرها باجماع المسلمين •

وهكذا ذكر الفقهاء القدماء نماذج من الغش والتدليس في الاطعمة القيمة مثل الخبث قبل الغريلة ، وخلط الدهون بالزيت ، وبيع الفواكه قبل أن تطيب ، وخلط الخبز بالحجارة ، والقمح الطيب مع القمح الخبيث ، وخلط اللحم السمين باللحم الهزيل ، وخلط اللحم مع الفؤادات والبطون ، وخلط اللبن بالماء ، والعسل الطيب بالعسل الرديء ، كل ذلك أمثلة قديمة لها ما يقابلها في عصرنا الحديث من الغش في الاطعمة وتوريد الاطعمة الفاسدة التي تجاوزت تاريخ صلاحيتها ، أو استيراد الاطعمة التي لفظتها المجتمعات الاوربية أو التي تصدرها للحيوانات لانها غير صالحة للاستهلاك الأدمى ، واستيراد الاطعمة التي بها مخاطر الاشعاعات النووية أو الملوثة بالامراض مادما شعوبا جائعة تأكل كل شيء لسد الرمق وعدم الموت جوعا •

واذا كان القدماء أيضا قد تكلموا في السوق كظاهرة اجتماعية ،
طريق اللباس فيه ، والسير في طرقاته بالكعب العالي مع رنة الخلخال ،
ورش طوقه وكتس الطين ، واهراق الماء أمام الدور فان السوق حاليا
مكان لتهريب الاموال ، والسوق السوداء ، وتجارة الرقيق الابيض ،
وأطنان الاوساخ ، والمجارى الطافحة ، وشق الجيوب ، وعقد الصفقات
المريبة ، والاطعمة المملوءة بالابوئة من الباعة المتجولين ، والصبية
الضائعين ، والشرطة المرتشية التى تفرض الاتاوات على فقراء البائعة
لتركهم يحتلون الارصفة ، ولحارس مواقف السيارات ، ولباعة
المخدرات ، ولباعة المسابح والبخور والاذكار والاوراد والمصاحف ،
واقامى الادباء ، ولاركان الشذوذ الجنسى ، وربما أيضا للمبدعين
في المستقبل وللزعماء ، والحركات الوطنية والمقاومة الشعبية .

فهل يمكن صياغة أحكام السوق كما ورثناها من القدماء طبقا
لظروف العصر الذى نعيش فيه ؟ هل نكتفى بالصلوات واقامة الشعائر
فى المساجد والزوايا داعين الله النجاة وراغبين فى الآخرة وساعين الى
الجنة وسط الاسواق أم ننظف الاسواق ونجعلها قابلة لاحكام الشرع ؟
وهل الدين فى شعائر الزوايا أم فى شرائع الاسواق ؟

معارك اليمين واليسار في الفكر الديني

(أ) . عندما يزايد اليمين في الوطنية ... والدين !!

ردا على ما نشر بصفحة (الرأي للشعب) بجريدة الاخبار بتاريخ ١٩٧٦/٤/٢٥ بعنوان : (عندما يرفع تنظيم اليسار المصحف والانجيل) بقلم الاستاذ أحمد موسى سالم نقول : (يا أيها الذين آمنوا ان جاعكم فاسق نبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .

وكيف لم يذكر اليسار كلمة الله وقد بدأ مشروع برنامج التجمع الوطني التقدمي الوحدوي كله بالآية الكريمة « باسم الله الرحمن الرحيم » ؟ وهل كل من ذكر كلمة الله قد نال الايمان أو أخذ بها صكا للجنة ؟

ألا يعلم الاخ الكريم أن النطق بالشهادتين وان جعل صاحبها مسلما فانه لا يكفي أن يجعله مؤمنا أو مجسنا لان ذلك لا بد له من التصديق بالقلب والعمل بأوامر الله ؟ « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » ؟

وكثير ممن يذكرون اسم الله اليوم يتاجرون به ويأخذونه

شعارا للمزايدة وستارا للابقاء على الاوضاع القائمة أو لتبرير السلطة أو لخدمة الامير أو طلبا لشهرة أو بحثا عن منصب . ولقد « كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا » . ألا يعلم الاخ الكريم ان الحديث عن الله في علم أصول الدين كله على وجه التقريب ؟ وهل تذكر الشريعة الاسلامية كلمة الله أم تكفى بلفظ « الشارع » ؟

وقد حرم فقهاء المسلمين ومتكلموهم وعلى رأسهم أبو حنيفة والشافعي وابن حنبل الحديث في الله ، كما حرم ابن حزم وصفه بذات أو بصفة ، ولا يفعل ذلك الا مدع مزايده لا يرعى للفظ حرمة ولا للاسم قدسية .

وهل كان اليسار أبدا موضع شبهة وقد كانت الاديان كلها بلا استثناء دعوات يسارية من أجل تغيير الوضع القائم الى وضع أفضل أقرب الى التقوى الباطنية والعدالة الاجتماعية وأرعى لروح الاخوة والمساواة والتراحم ؟

وكيف أكرر ما علمناه دوما وما لا يحتاج الى اثبات من اشتراكية الاسلام ؟ فرسالات السماء كلها دعوات تقديمة ، ولا يوجد نبي الا وله هذه الدعوة للتغيير والاصلاح الاجتماعى فى بنى قومه .

واليسار تجمع لكل القوى الوطنية والتقدمية بما فيها اليسار الماركسى ، واليسار الدينى ، واليسار الليبرالى ، واليسار الوطنى ، واليسار التلقائى ، ويسار المثقفين . واليسار الدينى يكاد يكون هو القاسم المشترك بين جميع قوى اليسار بما فيها اليسار الماركسى ،

فالدين عند ماركس كما يمكن استغلاله بواسطة الطبقات الغنية من أجل استغلال الطبقات الفقيرة فإنه يمكن أيضا مساعدة الطبقات الفقيرة على التحرر الاجتماعي كما عرض ذلك انجلز في « المسيحية البدائية » وكما عرض لذلك في « حرب الفلاحين في ألمانيا في القرن السادس عشر » بقيادة الراهب البروتستانتي توماس مونزر الذي قاد الفلاحين ضد امراء الاقطاع باسم الله . وهل كان عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعمر بن عبد العزيز ، وأبو ذر الغفاري ، وجمال الدين الافغانى ، الا من دعاة اليسار ؟ ليس اليسار اذن مناخا ماركسيا بل الماركسية هي مناخ يسارى ، فاليسار أعم وأشمل ، والماركسية احدى قواه .

واذا كانت الماركسية تحليلا علميا للواقع فإنها نهاية المطاف ، وإذا كان الاسلام تحليلا علميا للواقع فهو أيضا نهاية المطاف ، فالنظرة العلمية للواقع هي الاقدر على اصهار قوى اليسار فيها ، والنظرة الاشمل والاكمل هي أكثر النظرات علمية ، فالمحك ليس هو الشعار بل مقدار صدق الفكر في الواقع بالتحليل والتغيير . والباب مفتوح لكل المذاهب والافكار .

وكيف لا تعنى هذه الكلمات أى معنى : الرسائل ، النظرة العقلانية ، الاستتارة ، الطاقة الخلاقة ، الاجتهاد ، الشورى ، الديمقراطية ، المنهج العلمى ، حرية الاعتقاد ، تحرير الضمير الانسانى، التكافل الاجتماعى ؟ فأى معنى اذن تشير اليه الكلمات ؟ أليس مثل هذه الكلمات ، ما أصبح فيما بعد علم أصول الدين أو علم التوحيد ؟ ألا يهتز لها وجدان الناس عند سماعها ؟ ألا تعبر عن مطالب عصرنا واحتياجاته ؟ وهل يعيب الفكر استعماله أكثر الكلمات شيوعا بين

الناس ؟ ومنذ متى كان الفكر ادعاء وتعالما واتيانا بغريب الالفاظ ؟ اذا أتى اليسار بالسهل قليل لا معنى له وشائع واذا أتى بالصعب قليل ادعاء وتعالما وجدل ! كيف تموت هذه الكلمات كلها أو لا تعطى التراثا محددًا ؟ أليست الشورى والديمقراطية ضد كل مظاهر التسلط والطغيان ، وهو ما عانينا منه كثيرا ؟ أليس الاختصار للعقل ضد كل مظاهر الخرافة في فكرنا القومي وحياتنا العامة وسلوكنا اليومي ؟ أليس المنهج العلمي في البحث والتفكير ضد أساليب الايهام والخداع وطرق الشعوذة والسحر والكهانة التي مازالت تسيطر على قطاعات عديدة من جماهيرنا ؟ أليست حرية الاعتقاد تحريرا للضمير الإنساني ضد كل مظاهر الارهاب الفكرى والقسر العقائدى والتعصب الطبائفى الذى تتساقط من جرائه المئات كل يوم ؟ أليست الوحدة الوطنية ضد مظاهر التفرقة وذعابة الفتن وفتاوى اهدار الدماء وخرق الدور وقتل الابرياء ؟ أليس استلزام الشريعة الإسلامية كمصدر أساسى للتشريع ضد استعارة القوانين وقصورها عن الدفاع عن مصالح الناس ، وضد الفهم الضيق للشريعة وقصرها على قانون العقوبات ؟ أليس التكافل الاجتماعى بين أبناء الأمة الواحدة ضد الاستغلال والتفاوت الطبقي بين الاغنياء والفقراء وهو ما نادى به رسالات السماء ومازلنا نسعى الى تحقيقه ؟ كل ذلك ليس له معنى ، وكلمات تموت « بتناسب كالظل ، وتسمى كالسراب » وكان الانسيان ان لم يناد بقطع يد المارق ورجم الزانى وتحريم الخمر لا يكون لكلماته أى معنى ، ولا يكون مسلما ! .

وكيف لم يؤخذ هذا الفهم للدين والتراث ركيزة لبرنامج اليسار ؟ أليست الديمقراطية نابعة من الشورى ؟ أليست التنمية هى السبيل

للعادلة الاجتماعية ؟ أليس القطاع العام منعا للاحتكار والاستغلال
وتحقيقا للملكية العامة لوسائل الانتاج كما دعا الرسول ؟

أليس التعاون تحقيقا لاوامر الله ؟ أليس التعليم تنفيذا لاوامر
الدين ؟ أليس تحرير الارض جهادا مقدسا ، وواجبا على كل مسلم
ومسلمة ؟ أليس توحيد الامة العربية خطوة من أجل توحيد الامة
الاسلامية ؟ أليست سياسة عدم الانحياز « لا شرقية ولا غربية » ؟
أليست شعوب آسيا وأفريقيا التي جسدها مؤتمر باندونج هي
الشعوب الاسلامية باصطلاحات السياسة الدولية ؟ في أى شيء يتراجع
ليسار اذن عن الالتزام العملى بالدين ؟ ألا يفسر الدين من أجل
صالح الاغلبية ، وهي جماهيرنا الفقيرة ؟ وما العيب أن يكون الايمان
طاقة لصالح السلوك السوى ؟ أليست المصلحة أساس الشرع ؟
أليس رعاية الصلاح والاصلاح أصلا من أصول الدين ؟

وما العيب في أن تكون العقلانية هي السلطان أو الامام ؟ ألم
يدع القرآن الى العقل ؟ ولماذا يكون معناها عند ديكارت أو سبينوزا
ولا يكون معناها في القرآن الكريم « ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون »
أو يكون معناها في تراثنا الاعتزالي ، النظر والبحث والتفكير ؟ وما
العيب في أن نحتكم للعقل في أمور الدين ؟ ألم يتفق علماء أصول
الدين المسلمون على أن الحجج النقلية كلها حتى ولو تضافرت ظنية
وأنها لا تكون يقينا الا بالحجة العقلية ؟ ألم يتفق علماء أصول الدين
من المعتزلة على أن العقل هو أساس النقل ؟ ألم يقل فقهاء المسلمين
وعلى رأسهم ابن تيمية السلفى بموافقة صحيح المنقول لصريح
المعقول ، وأن القدح في العقل قدح في النقل ؟

ان عقلانية ديكارت لا تحتاج الى مدد من السماء وأن ديكارت لم يستعمل هذه الالفاظ الا حرجا من رجال الدين المسيحي . أما في الاسلام فلا حرج من أن يكون العقل هو مقياس الحق والباطل . أما عقلانية سبينوزا فهي عقلانية المعتزلة والطبائعيين وعلى رأسهم معمر وثمامة والنظام والجاحظ ، العقل الذي يتفق مع قوانين الطبيعة . أما العقلانية الماركسية فهي أيضا عقلانية علماء أصول الدين التي فيها يكون العقل مرتبطا بالحس والتجربة ، وهي عقلانية علماء المسلمين وأهل التجريب منهم . وكيف لم تعكس التجربة وجود الله ؟ ألم يقل الفلاسفة بإمكانية الحدس والاتصال المباشر بالحقائق ؟ ألم يتحدث العلماء عن مستقبل الانسان وعن أن الرغبة في عالم أفضل هي أهم ما يميز الانسان بتجاوزه وتعاليه ومفارقته ؟ ان العقلانية ليست مفهوما ماركسيا بل ان الماركسية هي أحد المفاهيم العقلانية ، فالعقلانية هي أساس الوحي ، ودعامة تراثنا ، وهي ما نرجو أن نرسي عليه حياتنا .

وما العيب في أن يكون تراثنا الديني جهدا بشريا عبقريا صنعه أعلام تاريخنا في اطار التعاليم الكلية والغمامة للدين الحنيف ، ان التراث شيء والوحي شيء آخر . الوحي من عند الله أما التراث فهو من صنع علماء المسلمين واجتهاداتهم ، فالزيادة على نسبة الوحي الى الله اهدار لقيمة الوحي الاسلامي الذي هو من عند الله وفي نفس الوقت تلبية لمطالب الناس . وما العيب في أن يكون التراث صورة من صور « عبقرية أمتنا أسهمت بها في اضافة صفحات مشرقة الى التراث الانساني الموحد العظيم » ؟ أليس تراثنا جزءا من تراث طويل هو التراث السامي القديم ، أقدم صور التراث وأشملها ؟ أليس الوحي

الاسلامى آخر مراحل الوحي منذ آدم عليه السلام حتى محمد عليه
الصلاة والسلام ؟

وهل كل من يدافع عن الامة العربية لغة وثقافة وتراثا
وحضارة وتاريخا وعبقرية يكون بعثيا ؟ ألم يفخر نبينا بأنه عربى وبأن
لسانه عربى ؟ ألم ينزل الوحي بلسان عربى مبين ؟ وهل لو كانت مصر
فى علاقة طيبة مع البعث أكان يصبح كل شعور عربى تهمة بعثية ؟ ان
استعلاء السلطة على اليسار أمر مكشوف من السلطة ومن الجماهير
معا ، ولا ينقلب الا على خدام السلطة وجلاديهها • والذى يمن على
اليسار بالحرية هو متملق للسلطة وفى نفس الوقت يستعدى السلطة
عليه ، وبالتالى فهو لا يؤمن بالحرية ويستكثرها على الناس ويشمئز
من تمتع الناس بها •

« ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا
واثما مبينا » •

(ب) لسنا ملحدين ... ولا منافقين :

ردا على السؤال الذى وجهه الى اليسار الاخ أحمد موسى سالم :
« ان كنتم مؤمنين فتأين هو البرهان ؟ وان كنتم ملحدين فلماذا النفاق ؟ »
الذى نشر بجريدة الاخبار فى صفحة « الرأى للشعب » بتاريخ
١٩٧٦/٦/٧ أقول : لم يكن ردى قذيفة عشوائية موجهة الى شخص
بعينه بل كان لوضع حد لحملة تشويه اليسار ، واتهامه ظلما بالالحاد
والمادية والعمالة .

ولا يتوتر اليسار أبدا بل أنه يقابل هذه الحملة بالحسنى ، ويدفع
بالتى هى أحسن . وام يبدأ اليسار أحدا بالعدوان ، ويكتفى بالرد
غلا يتوتر العقليون ، واليسار أصحاب اتجاه عقلانى ، لا يفعلون .

ولا يلبس اليسار جبة الورع لان التقوى لا تحتاج الى لباس ،
ولا يسبل عينيه بل يفتحهما على ما يدور تحت قدميه ، ولا يضم المصحف
الى صدره بل يحوله الى برنامج يقدمه للناس ، ولا يمنى عمال مصر
وفلاحها بل يزيدهم وعيا ، ويطالب بحقوقهم ، لا كانوا هم الاغلبية ،
أصحاب المصلحة الحقيقية . فاليسار لا يحتاج الى أقنعة لانه لا ينافق ،
ولا يدعى ايمانا أكثر مما لديه ، ولا يزايد على ايمان الآخرين ، « وكل
انسان الزمناه طائره فى عنقه » .

والآية الكريمة « بسم الله الرحمن الرحيم » فاتحة الكتاب ،

الاخبار ١٩٧٦/٧/٥ وقد صدرته بعنوان « جواب الى اليمين » .

مذكورة في أول مشروع برنامج اليسار ، ولكنها سقطت خطأ من الطبعة
التي بين يدي الاخ الكريم . كما أنها تحتوى على خطأ آخر في آخرها
بإضافة توقيع مقرر التنظيم ، فلاحظ العذر فيما بين يديه .

وأين هي كتب اليسار ومقالاته التي تهاجم حقائق الاسلام
والدين ، ومبدأ القومية العربية التي أسسها الدين والتي يدافع عنها
الاخ اليوم بعد أن أنكرها بالأمس ؟ إذا كان المقصود هو « الفن
القصصى في القرآن الكريم » فإنه تطوير لنظرية « التخيل » التي
قال بها الجرجاني وعلماء البلاغة قديما والتي تهدف الى التركيز على
البعد الأدبى والنفسى للقصص القرآنى ، وأن الغاية منه ليست اعطاء
أخبار من مضى بل أخذ العبرة والموعظة من أجل توجيه السلوك ، وهي
نظرية معمول بها ليس فقط في تراثنا القديم بل في الفكر الدينى العام
وفي مناهج تفسير النصوص . وإذا كان القصد هو اعطاء الاسس
الاقتصادية للقومية العربية فكلنا اذن ملحدون ، شعوباً وقادة ، عندما
نبنى المصلحة المشتركة التي هي دعامة الوحدة العربية بالإضافة الى
دعائم الدين واللغة والتاريخ والحضارة . فاذا ركز الخطباء على
العوامل الوجدانية فما العيب في أن يركز العلماء على العوامل
الاقتصادية ويستعملون لغة الارقام ؟ وفي النهاية ، كل ذلك اجتهاد
ورأى لا يحل لأحد تكفير قائله « ومن قال لأخيه أنت كافر ، فقد
باء بها » .

ولا تخش على الدين شيئاً ، « ان هذا الدين متين فأوغل فيه
مرفق » ، فلن يستطيع أحد هدمه أو النيل منه .

وإذا كان الماركسيون في الغرب قد طبقوا مقاييس العقل والتجربة
فألحدوا فلانهم قد تصوروا الله مشخصاً ، ورأوا تسلط كنائسهم ،

وظنية عقائدهم ، ومراسيم شعائرههم • والحمد لله لسنا كذلك لاننا نطبق نفس المقياس : العقل والتجربة ونؤمن • فالله منزّه ، ليس كمثله شيء ، وكتابنا صحيح ، وليس لدينا رجال دين ، وايماننا قائم على التصديق ، وعبادتنا تنهى عن الفحشاء والمنكر •

ليس اليسار غارقا في تيه الايديولوجيات الغربية ، بل يربط حاضره بماضيه ، ويفسر تراثنا وديننا طبقا لحاجات عصرنا : التنمية من أجل القضاء على التخلف ، والاستقلال الوطنى من أجل القضاء على الاحتلال ، والعدالة الاجتماعية من أجل القضاء على الاستغلال • فتأسى بالرسول ، ونهتدى بسيرة عمر بن الخطاب ، وبفقه عبد الله بن مسعود ، وندعو دعوة أبى ذر ، ونصلح كالأفغانى •

فنحن لسنا ملحدين ولا منافقين بل نحن مؤمنون ، واليك يا أخى البرهان •• يكاد يجمع اليسار بكل اتجاهاته على مبادئ خمسة ، هي الحد الأدنى من الاتفاق فيما بينهم يرضاها الاسلام ، وتعتبر عن مصلحة المسلمين وهى :

١ - عدم التسليم بالأمر الواقع ، والدعوة الى تغييره الى واقع أفضل وما أظن أحدا منا يرضى بالأوضاع القائمة أو لا يرجو تغييرها الى أوضاع أفضل • وقد أتى جميع الأنبياء لذلك فقد كان لكل نبي دعوة اصلاحية في قومه ، يدعوهم الى التغيير •

٢ - الحكم للأغلبية ولصالحها ، فاذا كانت الأغلبية في مصر هم العمال والفلاحين ، فالحكم لهم ويتم تخطيط الاقتصاد القومى لصالحهم • وهل في هذا خروج على أوامر الدين أو ترك لشريعة

الاسلام ؟ ألم يقيم الشرع على الحفاظ على مصلحة المسلمين ؟ ألم يرفض القرآن تركيز رأس المال كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ؟ ألم يدع الرسول : « اللهم أحيى مسكينا ، وأميتى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين ؟ » وهل مجلس الشعب بنصفه من العمال والفلاحين مجلس ماركسى ؟ وماذا نقول اذا كان من حق الأغلبية ثلاثة أرباع المجلس بما أنهم يكونون ثلاثة أرباع الشعب ؟

٣ — الملكية العامة لوسائل الانتاج وذلك منعا للاستغلال والاحتكار . ألم يقل الرسول : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلا والنار » ؟ أليس تأميم المرافق العامة ، ومصادرة المال المستغل من حق امام المسلمين ؟ وهل قطاعنا العام خروج على مبادئ الاسلام ؟ ألم يؤكد الاسلام الملكية العامة وجعلها صفة لله « ولله ملك السموات والأرض » دون الانسان ؟

٤ — اذابة الفوارق بين الطبقات ، وذلك طبقا لقول الرسول . « أيما أهل عرصة (بقعة واسعة من الأرض) أصبح فيهم امرؤ جائعا برئت منهم ذمة الله » . ألم يقسم الانصار والمهاجرون أموالهم فيما بينهم ؟ ألم يقل القرآن « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ليس فقط الزكاة ولكن أكثر من الزكاة كما شرح الرسول « نعم ، فى المال حق غير الزكاة » ؟ ألم يعد عمر برد فضول الأغنياء الى الفقراء اذا ما انقضى الحول ؟

٥ — العمل وحده مصدر القيمة ، وذلك رفض لكل صور النبل

الاجتماعى ، والشرف الوراثى ، وكل مظاهر الربا • فالمال لا يولد المال ، ولكن العمل هو الذى يولد المال • ألم يقل الرسول : « أعطو العامل أجره قبل أن يجف عرقه » ؟ ألم ينه الرسول عن المؤاجرة ، وأمر بالمرعاة أى أن يمتلك الرجل الأرض ويقعد فى بيته ويترك العامل الاجير يعمل له ثم يقاسمه الانتاج دون مشاركة منه فى الجهد ؟ وهل منا من يرضى بنظام الأجور فى مصر الذى ما زال يعطى المديرين أكثر مما يعطى العمال بفروق صارخة ؟

أما فيما وراء ذلك من أطر نظرية فمتروك لكل انسان بينه وبين ربه ، فهلا شققنا على قلوب الناس ؟ والله يتولى السرائر •

أيها الأخ الكريم ، مضمون ايماننا مضمون اجتماعى كما هو الحال فى الشريعة الاسلامية وفى حركاتنا الاصلاحية الحديثة وعلى رأسها الافتغانى • وها هو برهاننا • فاذا كنت ترى أننا بعد ذلك ملحدون أو منافقون فليسامحك الله ، « خذ العفو : وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » •

(ج) تشويه الماركسية من العقلية اليمينية في الصحافة المصرية :

ان أسوأ موقف لفكر هو تشويه الحقائق وسوء تأويل المذاهب عن قصد أو عن غير قصد ومثال ذلك ما تتناقله أجهزة الاعلام عن الماركسية بغية إبعاد الشعب عن الاشتراكية . وهو نقص في الأمانة الفكرية ، وخوف من التغير الاجتماعي الذي يؤدي الى ضياع المصالح الخاصة وفقدان السلطة ومن أجل كشف هذه المواقف يمكن توضيح الحقائق الآتية :

١ — هل الماركسية في مصر هي حصان بطروادة أو هي كشف الفداء أو هي المشجب الذي يعاق اليمين عليها كل مآسى الناس ، وهي الأخطبوط الذي يتم تحذير الناس منه ، ابقاء على الأوضاع القائمة ، ورفضاً لوعي الناس وتفكيرهم في أوضاعهم الاجتماعية باسم الدين وباسم الوطنية وتحذيراً من الالحاد والعمالة ؟

٢ — الماركسية ليست هوضة للشباب مثل المذاهب الفلسفية أو الفتية : وجودية ، بنائية ، انطباعية ، تكعيبية ... الخ بل هي نظرة علمية للواقع . المذاهب أيديولوجيا والماركسية علم .

٣ — الأمل الذي تعد به الفلسفات الماركسية تعد به كل

كتب هذا المقال أيضا وقت هجوم الاخ احمد موسى سالم على صفحات « الاخبار » على الماركسية واتهام حزب « التجمع » بأنه ماركسي ابن الانتخبلت لمجلس الشعب عام ١٩٧٦ ، ولم يستأنف الحوار . فالمقصود هو التشويش من الخصوم وليس التصحيح . وهذه صياغة ثانية من المسودة الاولى ، كتبت في خريف ١٩٨٧ .

الطوباويات بما في ذلك الأديان • فهذا تعبير عن وضع الانسان وانفتاحه على المستقبل ، وليس خداعا أو ايها • ويمكن دراسة الأمل دراسة علمية كما هو الحال في ماركسيات القرن العشرين عند بلوخ في « مبدأ الأمل » وعند جابريل مارسيل في « محاولة في ميتافيزيقا الأمل » •

٤ — موسكو لا شأن لها بالماركسية ، وهناك تطبيقات ماركسية عديدة لا شأن لها بموسكو مثل التطبيقات الماركسية في الصين ويوغوسلافيا وفيتنام وكوبا • بل نشأت الخلافات في المعسكر الاشتراكي كما نشأت الخلافات من قبل في المعسكر الاسلامي ، وتم رفض فكرة المحاور ، فنشأت ماركسيات تدافع عن الاستقلال الوطني والتسيير الذاتي ، والاعتماد على النفس •

٥ — الخراب والبؤس في البلاد الاشتراكية في الخمسينات من أثار الحرب العالمية الثانية ولا خير أن تستمر بعض آثاره الى الآن في ألمانيا الشرقية وفي بعض بلدان أوروبا الشرقية وفي الاتحاد السوفيتي نفسه ، وقد كان نفس البؤس في ألمانيا لولا رأس المال الأمريكي في إعادة البناء • هذا بالإضافة الى أن حجة الواقع ليست حجة على الفكر والا كان كل الفقر في بلاد الاسلام حجة على أن الاسلام دين الفقر ، وكان الاحتلال لبلاد الاسلام حجة على أن الاسلام دين الاحتلال ، وكان التخلف في المجتمعات الاسلامية دليلا على أن الاسلام دين التخلف •

٦ — مما لا شك فيه أن هناك تجاوزات في كل نظام سياسي مثل مظالم ستالين والتي لا تفترق عن « ووترجيت » و « وايران جيت » في النظام الأمريكي واغتيال كينيدي وهارتن لوثر كنج • لذلك خرجت

ماركسيات القرن العشرين ترى أن الماركسية هدف والديموقراطية وسيلة • ولقد ضحى رئيس جمهورية شيلي « اليندى » بحياته دفاعا عن الديمقراطية باسم الماركسية • والامر كذلك فى فيتنام أثناء حرب التحرير وفى كوبا ويوغسلافيا وغيرها من البلدان الاشتراكية •

٧ — أن « تحشيد » الجماهير لا يعبر عن حقد أو ضغينة بل مجرد تعبئة للناس كسند لحقوقهم اذا ما عصت قوى الظلم والطغيان ، وعجزت القيادات الثورية عن مواجهتها • فالنظام السياسى يتجسد فى الجماهير التى تنعكس عليها كل التناقضات الاجتماعية والتى يمكن حلها بتفجير هذه التناقضات كما حدث بين المؤمنين والكفار وبين المسلمين والروم ، وبين المسلمين والفريس ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت السموات والأرض » (٢ : ٢٥١) •

ويمكن أيضا حلها فى اطار « السلام الاجتماعى » عن طريق قوة الاغلبية فى مواجهة الاقلية المتراجعة • فكل النموذجين موجودان تاريخيا ، « انا فتحنا لك فتحا مبينا » (٤٨ : ١) •

٨ — مراحل التاريخ الخمسة هى جزء من الأيديولوجيا وليست من العلم ، وهى أضعف ما فى الماركسية ومرتبطة بمحاولات مشابهة فى فلسفة التاريخ فى القرن التاسع عشر عند هيجل وكومت • وهى من أفكار ماركس الشاب أى ماركس الفيلسوف وليس ماركس العالم •

٩ — ان القول بأن القضاء على الأديان من مخطط ماركس انما هو اقتباس نصف قول مشهور له « الدين أفيون الشعب ، وصرخة المضطهدين » واستعمالها مثل « ولا تقربوا الصلاة » • فالدين قد يكون عاملا للتسكين والتخدير وقد يكون أيضا دافعا للثورة والتحرير •

فالدين يقوم بالوظيفتين معا • وهو ينطبق على تاريخ الدين في الغرب ووظيفة الدين كما قامت به السلطة الدينية الممثلة في الكنيسة ووظيفة الدين التي قام بها المصلحون مثل لوثر ، والمفكرون الأحرار مثل فولتير ، والقادة الاجتماعيون مثل توماس مونتز في حرب الفلاحين في ألمانيا في القرن السادس عشر ، وكما يفعل الراهبان الكاثوليك في أمريكا اللاتينية الآن فيما يعرف باسم « لاهوت التحرر » • ان الكنائس والمساجد لا تهدم بل تبقى ويحافظ عليها وترمم كجزء من التراث الوطني والتاريخ الثقافي للشعوب • والصلاة لله في كل مكان « وأينما تولوا فثم وجه الله » (٢ : ١١٥) ، « جعلت لى الارض مسجدا طهورا » • أما هدم المساجد والكنائس ، واحراق الأناجيل والمصاحف واعتقال رجال الدين والغاء التربية الدينية لصالح التربية القومية ، وتدريس الألحاد غانها كلها أحكام تقوم على تصور خاطيء لادين وللماركسية على حد سواء الغرض منها تنفير الناس • فالدين ايس مساجد أو كنائس أو أناجيل ومصاحف أو رجال دين أو برامج دينية تعليمية • الدين هو الحياة والمجتمع والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية • فبناء المدارس والمصانع والمستشفيات من الدين ، ونشر الكتب والتأليف الابداعى من الدين • ولا يوجد رجال دين بل مواطنون لهم مواقف اجتماعية في صالح الأغلبية وليسوا مبشرين للاقطاع والسلطان • والتربية الدينية هي التربية القومية فالدين تلوضن ، وما يظن أنه الألحاد هو في الغرب بديل عن الاسطورة ، وعلم في مواجهة الخرافة • ان مثل هذه الشائعات القصد منها الترويج للعداء الى النظم الاشتراكية اعتمادا على الفهم الشعائرى من الناس للدين •

وبالاضافة الى هذا التشويش والخلط تتهم الماركسية في أجهزة

الاعلام وبأقلام اليمين حتى يمكن محاصرة الاشتراكية والاستمرار في التحول في التوجه الوطني لمصر من اشتراكية الستينيات الى انفتاح السبعينات فيقال أن ماركس له أخطاء ست :

١ - الاعتماد على بعض المراحل التاريخية دون البعض ، وهذا بطبيعة الدراسة التي كانت متلحة في القرن الماضي لتاريخ المجتمعات الصناعية في ألمانيا وانجلترا وفرنسا . لم يدرس ماركس أسسها الا لماما فيما عرف عنه باسم « نمط الانتاج الآسيوى » والذي تم الرد عليه من الماركسيين أنفسهم قبل الرأسماليين . ولكن يمكن أخذ نماذج أخرى من تاريخ سائر المجتمعات شرقا وغربا . فقد جاء الاسلام كدين للمضطهدين . انتسب اليه العبيد والفقراء والمساكين ، وعاداه أشراف مكة وأغنيائها . جاء الاسلام لتغيير قيم المجتمع والانتاج . لم يأت كظاهرة فوقية بدليل أسباب النزول والتطور مع الزمان بدليل الناسخ والمنسوخ ، ولم يأمر ويشرع بحرف النظر عن القدرة والأهلية . الاسلام بحث في الواقع ، مثل أنماط الانتاج ، وعلاقات الانتاج ، ووسائل الانتاج . وقد سمي الأصوليون القدماء ذاك البحث في العلل ، والعلل المادية المؤثرة والملائمة والمناسبة .

٢ - التناقض بين الدعوة الى التضحية والجرحان من الحافظ الدينى والمبدأ الروحى . وهذا التصور الخاطيء للماركسية انما يقوم في الحقيقة على تصور خاطيء للدين وللروح ، والخلط بين الروحانية الفارغة أو الروحانية العرجاء وبين الروحانية الفعالة أو الروحانية المؤثرة . كما أنه يقوم على تصور خاطيء للماركسية واعتبارها مادية في حين أنها تعلو من شأن تضحية الفرد في سبيل الجماعة وتقديس العمل ، وتدافع عن الأوطان ، وتحرم الاستغلال والاحتكار ، وهى كلها

قيم اسلامية • فالماركسية ليست أكثر مادية من مادية الرأسمالية ،
على الأقل المادية الماركسية بحث في العلل المادية كما فعل الاصوليون
القدماء • ولكنها روحية من حيث قيم التضحية والعدالة والمساواة •
وهل كان جيفارا وهوشي منه وماو تسي تونج ماديين ؟ أما المادية
الرأسمالية فهي مقنعة ومغطاة تحت زيف من النفاق الدينى والمثالى
وادعاء الروحانية • وهل مقياس التدين هو الايمان بالغيبات مثل أمور
المعاد وهى التى تركها الأصوليون القدماء ظنية نظرا لاعتمادها على
السمع وحده أم الايمان باليقينيات مثل الذات والصفات وحرية الارادة
واستقلال العقل وهى الامور اليقينية التى يمكن البرهنة على صحتها
ويقينها بالعقل ؟ أليس العمل على تحرير الأرض جزء من الايمان بالله
قاله هو « اله السموات والأرض » ، « رب السموات والأرض » ،
« وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله » ؟ لماذا يكون ذلك صلحا
انتهازيا بين الاسلام والماركسية ولا يكون موقف الخصم صلحا نفعيا
بين الاسلام والرأسمالية ؟

٣ — التفسير المادى للتاريخ وبعامل واحد هو العامل
الاقتصادى • وهذا ان كان صحيحا فانه ينطبق على ماركسية القرن
التاسع عشر • أما فى ماركسيات القرن العشرين والتى تجد أيضا
مصادرها فى كتابات ماركس وفى تأويلات لينين وماو هناك جدل بين
البنيتين الفوقية والتحتية ، وأثر متبادل بينهما وأن العوامل النفسية
والاجتماعية والثقافية والحضارية لا تقل فاعلية وأهمية عن العوامل
الاقتصادية • وهذه أيضا مساهمات الماركسيات المتعددة فى آسيا
وأفريقيا وأمريكا اللاتينية •

٤ — دكتاتورية البروليتاريا • وهذه فكرة شائعة روجتها أجهزة

الاعلام الغربية أيضا • صحيح أنه حدثت مناقشات حولها لدى أقطاب الماركسية في القرن الماضي ولكنها ظلت قضية خلافية • انما الشائع أيضا والذي يستند الى مساهمات ماركسيات القرن العشرين هو تحالف قوى الشعب ، تجمع القوى الوطنية والتقدمية ، وهو ليس حكرا على الماركسية بل موجود في كل المجتمعات المضطهدة بما في ذلك الشيعة • فالمظلوم سيكون له المستقبل بتحرره من الظلم وانتصاره على الظالم • ليست البروليتاريا طبقة قاهرة • وكيف تكون قاهرة ، ومتى تكون وهي أغلبية الشعب العامل ؟ لم تعد طبقة البروليتاريا من العمال وحدهم كما كان الحال في القرن الماضي بل ضمت أيضا الفلاحين (ماو) والطلبة (ماركوزة) بل والجيش (الثورات الوطنية في العالم الثالث) • فالأطر النظرية للماركسية كثيرة ومتعددة بل وتصل الاختلافات بينها الى حد التضارب والتناقض ومع ذلك تظل الماركسية كدليل للعمل الثوري • تتغير الاطر النظرية حسب الثقافات والعصور ومراحل التاريخ في حين يبقى العمل الثوري كبرنامج وطني موحد يقوم على الاستقلال الوطني •

٥ — حتمية القوانين • والحقيقة أن هذا تصور القرن التاسع عشر للقانون العلمي والقانون التاريخي ، وفي ماركسيات القرن العشرين هناك الماركسية البرجسونية عند جارودي ، وامكانية القفز على المراحل ، وعدم رفض تصورات الطفرة والكمون والمفاهيم الحيوية • وان تطعيم الرأسمالية بالاشتراكية والاشتراكية ببعض مظاهر النشاط الاقتصادي الحر لا يعنى الغاء التناقض بين النظامين بل اقرار الحق ومحاولة ايجاد نظام متكامل ومتوازن • وان محاولات الرأسمالية للانتعاش ليس تفتيتا للرأسمالية بل تركيز لها وتقوية لبنيتها كما هو حادث في الشركات المتعددة الجنسيات • وان أزمات الرأسمالية ليست

ذات طابع عرضي بل تدخل في صميم النظام الرأسمالي • وإن ارتفاع
أجور العمال في المجتمع الرأسمالي وتحول العمال الى طبقة متوسطة
وخروجهم عن مفهوم الطبقة الكادحة لا يعنى عدم وجود تفاوت ضخم
في الدخول بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال • وإن محاولات
الحوار من النظم الاشتراكية مع النظم الرأسمالية لا تعنى أى تنازل
عقائدى عن الاشتراكية بل رعاية لمصالح البشر وحرصا على السلام
العالمى •

٦ — هبوط الانتاج بعد اجراءات التأمين • والحقيقة أن التأمين
في حد ذاته ليس مسؤولا عن هبوط الانتاج بل المسؤول عن ذلك سوء
الادارة ، والبيروقراطية وعدم وعى العمال بدور القطاع العام وأسباب
أخرى كثيرة معروفة لدى علماء الادارة العامة • وهى كلها ظواهر
عارضة لا تمس جوهر التأمين من حيث كونه وسيلة لسيطرة الشعب
على وسائل الانتاج ، وتدخل الدولة لحماية الطبقات الكادحة ومحدودى
الدخل وصغار الموظفين • ان الدولة القوية التى تقوم على التخطيط
وعلى التوجيه الاقتصادى لقادرة على الصمود أمام مخاطر الأحلاف
الاجنبية بالاعتماد على موارد الدولة والسيطرة عليها • ان
التأمين أحد مظاهر السيادة الوطنية حتى فى أعتى البلاد
الرأسمالية • وهو وسيلة للنضال الوطنى كما حدث فى تأمين قناة
السويس فى مصر ١٩٥٦ وفى تأمين البترول بعد الثروات العربية •
والتأمين لا يعنى سيطرة الدولة على الفكر والفن والثقافة وتوجيهها
نحو رأى الواحد فذلك نقل للمعنى الحقيقى للفظ التأمين الى معنى
مجازى بلا قرائن ولا أدلة ولكن للتشهير وتشويه السمعة • الإبداع
التقافى شرطه الحرية فى حين أن الانتاج الاقتصادى شرطه توجيه

الدولة • وهل كان أدب جوركى وتشيكوف سجنًا ؟ ليس التأميم سدا
لأبواب الرزق بل هو عدالة في الأجور وتحقيق لمسؤولية الدولة في
توظيف الخريجين وحماية للعمالة الوطنية • ولماذا لا يسقط عرش رأس
المال أو يحد من رغبات الأفراد في الاستغلال ، وتسيير الأمور ذاتيا
بفعل الجماعة ؟ ان سوء التطبيق لنظرية ما لا يعنى بالضرورة خلا
في النظرية ذاتها بل في كيفية تطبيقها • ولو صح ذلك لكانت حياة
المسلمين وما يحدث فيها من مآسى حجة ضد الاسلام وليس له !

وختاما يمكن توضيح عدة حقائق :

١ — ان من أخطر الأمور في شؤون الثقافة هو غزو ثقافة مهيمنة
لأخرى وبالتالي تفكير الثقافة المغزوة بقوالب الثقافة الغازية • والمثل
على ذلك تفكير اليمين وتصور للماركسية والتعبير عن ذلك في أجهزة
الاعلام • فكل ما يتعلق بالدين ، والكنيسة وتاريخ الصراع بين الدين
والعلم ، بين الدين والمجتمع الى آخر ما هو معروف من تاريخ الغرب
لا شأن للاسلام به • واذا قيل أن الدين أقيون الشعب في الغرب أو
أنه خدعة أو أنه سيزول لا محالة (جويو) أو أنه وهم (فرويد) فان
ذلك يشير الى حالة خاصة في تطور الدين في الغرب وليس الى كل
الحالات • بل ان كل الاتجاهات المعارضة للدين في الغرب هي في
الحقيقة مع الدين بمفهوم الاسلام أى مع العقل ، والعلم ، وحرية
الانسان ، وعدالة التوزيع ، والمساواة في الأمور وتقدم التاريخ •

٢ — ان مفاهيم مثل المادية والروحانية أيضا مثل مفهوم الدين
قد تأتى من الثقافة الغالبة وتسيطر على الأذهان في الثقافة المغلوبة •
فالروح في الثقافة الغالبة ضد المادة ، عرجاء ، صورية ، تستخدم

كستار وغطاء لاختفاء المادة وبالتالي تؤدي الى النفاق • وسرعان ما يتم رفضها الى المفهوم المضاد وهو المادة الحسية المباشرة الصريحة المعادية للروح والرافضة لها • أما في الثقافة المغلوبة فقد لا توجد هذه الثنائية بين الروح والمادة بل توجد روح فعالة في المادة وفي التاريخ ، ومادة نشطة خالقة ومبدعة كما ظهر عند الصوفية في التوحيد بين الحق والخلق ، وعند المتكلمين أصحاب الطبائع في التوحيد بين المادة والروح في نظريات الكمون والطفرة واستحالة تعري الجواهر عن الأعراض بدون جوهر ، وعند الفلاسفة في نظرية قدم العالم ، وعند الفقهاء في البحث عن العلل المادية • فالمادية ليست ملحدة لأنها أساس تراثنا القديم • وهي تصور موجود في كل تراث وليس فقط في التراث الغربي • ومن ثم تصبح كل ثنائيات الفكر الغربي واشكالياته مثل : أيهما أسبق الروح أم المادة ؟ هل الروح خالق المادة أم المادة خالقة الروح ؟ تخص الفكر الغربي وحده دون غيره • الثنائية تضع سؤال العلاقة في حين أن التوحيد يضع سؤال الفعل •

٣ — ليست القضية هي تطوير الماركسية وتطعيمها بحيث تكون أكثر اتفاقا مع روح العصر ، أو تسلي جديد للماركسية بحيث يسهل ترويجها لدى الشعوب النامية بل الأمر هو اقامة نهضة جذرية بتفسير الدين في احدي وظيفتيه تفسيراً جذرياً لما كانت الثورة احدى متطلبات العصر • وبالرغم من كون ذلك أيضاً أحد جوانب ماركسيات القرن العشرين الا أنه بالنسبة لنا غير دال • ليس المقصود هو التوفيق بين الاسلام والماركسية بل فهم الاسلام بما يتفق وحاجة العصر الأولى في التحرر والثورة • ليس المقصود هو اصفاء مسحة روحانية على الماركسية بل ابراز الجوانب الاجتماعية التي يتطلبها العصر في الاسلام الذي ورثناه والذي غلبت عليه الشعائر والعبادات دون المقاصد

والمعاملات ، وهل يصعب على الانسان أن يكون مسلما ثائرا ، مؤمنا متحررا ، سلفيا مصلحا ؟ انها ليست انتقائية والا أعطينا الغرب أكثر مما يستحق ، وأعطينا أنفسنا أقل مما نستحق . فالثورة والعدالة الاجتماعية ليست حكرا على ماركس ولا الدفاع عن الأوضاع القائمة والتخلف سمة دائمة في المسلمين .

٤ — والأغرب من ذلك كله هو الاسلام على الطريقة الرأسمالية ، وتفسير الكون كله من خلال التصور الرأسمالى للعالم ! فاليابان نهضت بعد هزيمتها بفضل الرأسمالية وماثرها ، وكذلك ألمانيا وكأن رأس المال الغربى وما أداه من تبعية مطلقة من الدولتين للمعسكر الغربى لا وجود له ! والاسلام هو دفاع عن الأوضاع القائمة وليس حركة تغير ، وكأن الاسلام يعود من جديد على أكتاف أشراف مكة وساداتها وليس تحريرا للعبيد ومساواة للفقراء ! والنشاط والحركة من الصفوة أى الأقلية النشطة وكأن الاسلام لم يأت لجماهير المسلمين ، ولعامة الناس ، وكأن الرسول لم يقل « اللهم أحيى مسكينا ، وأميتى مسكينا ، وأحشرنى فى زمرة المساكين ! » والاسلام أتى ليؤكد الملكية الخاصة وحرية التجارة وكأن الاستخلاف ليس له ذكر ، وحق الامام فى التأميم والمصادرة لا وجود له ! ان الهجوم على الماركسية من اليمين فى أجهزة الاعلام يكشف عن النوايا : التشويه المقصود للاشتراكية والاظهار غير المقصود للعقلية الرأسمالية . والجماهير واعية فى كلتا الحالتين(١) .

(١) انظر فى هذا الجزء مقالنا « الدين والرأسمالية » .

(د) تشويه الحقائق ، واتهام الزور ، فإين المصلحة ؟

تحية للأخ الكريم أنه أزدانا علما بحديثه عن القنطور اليونانى
« لاطلعت على شمس يوم لم أزد فيه علما » . ولماذا القنطور اليونانى
وأبو الهول فى مصر رابضا بجوارنا ، يعطينا برأسه حكمة الانسان
وبجسده قوة الاسد ؟ يبدو أن الاغتراب الحضارى أصبح هو الوجه
لكثير من دعائنا ، وأن معرفة الذات عن طريق الآخر أصبح هو الطريق
المقبوع .

ومع ذلك يمكن توضيح عدة أمور ، فالعلم القليل الواضح خير
من العلم الغزير المبهم .

١ — هل الخطر فى مصر هم الشيوعيون المصريون كى يستحقوا
كل هذه الحملة الشعواء اليومية وعددهم لا يتجاوز أكثر من قاعة ؟
ولماذا الهجوم على شخص بعينه ؟ ان اليسار اتجاه سياسى موضوعى
له وجوده كتيار اجتماعى لا شأن له بزيد أو عمر من الناس . اليسار
المصرى ليس ابتكارا من أحد بل هو وضع سياسى تحتته الأوضاع
الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى مصر .

٢ — واذا كان الرأس مؤمنا ، والحمد لله الذى سجل اليسار

كتب هذا المقال عام ١٩٧٦ وقت السجل مع الاخ احمد موسى سالم
على صفحات جريدة « الاخبار » وهو يهاجم الشيوعيين الملحدين . ولم
اشأ استئناف السجل لانه تحول الى دائرة مغلقة ، خطان متوازيان غير
مقاطعين ، خطابان بلا حوار . وهذه صياغة ثقية من المسودة الاولى
كتبت فى خريف ١٩٨٧ .

نقطة ، ويا ليت رؤوسنا جميعا مؤمنة ، فالرأس هو المدير للجسد ، وهو المسير له ، وهو المتحكم فيه . والجسد لا يكون مؤمنا أو ملحدا . الجسد موجود عند المؤمن والملحد على السواء . وكل فعل من أفعال الجوارح هو من تدبير العقل وتنفيذ الجسد . فالرأس هو المسؤول .

٣ — ولماذا يتخفى اليسار ؟ وعلى أى شىء يتستر ؟ ولماذا يكون لليسار نوايا بخلاف ما يعلن عنه وهو التنظيم الشرعى فى البلاد ؟ ولو أتى محمولا على الأعناق يمثل الأغلبية لما كان فى ذلك خروج على الشرعية . ان ما فى قلب اليسار على لسانه . وان اتهام اليسار بالازدواجية ، والتخفى ، والتستر ، والسجادة الحمراء ، وطلاقة الاخفاء هو فى الحقيقة اسقاط من العقلية اليمينية التى تقوم على الحرص على الوضع القائم وادعاء المثالية ، والعقلية الرأسمالية التى تقوم على دافع المصلحة كدافع وباعث والتشديق بالدين كغطاء وستار . ولماذا التفتيش فى الضمائر ؟ ألا يتولى الله السرائر ؟ وهل شققنا على قلوب الناس ؟ ألم يقل الرسول « من قال لأخيه أنت كافر فقد باء بها » أو كما قال ؟ وهل من الاسلام أن يعلن مسلم شهادته ، ويثبت اسلامه ، ويدفعه الناس الى الالحاد ، ويتهمونهم بالكفر ؟

٤ — وهذا هو بيت القصيد . ان الاسلام والماركسية متفقان فى الأهداف ، وهو تحقيق العدالة الاجتماعية ، واقامة المجتمع اللاتبقى ، وأن يكون العمل وحده مصدر القيمة ، وأن يكون الحكم للأغلبية لصالحها ، والملكية العامة لوسائل الانتاج . وقد تختلف الوسائل فى تحقيق ذلك بالله أم بالدولة ، بالسلم أم بالعنف ، بالقرآن أم بالسلطان . كما قد تختلف وسائل التحليل اما بتحليل النفس البشرية اعتمادا على

المبادئ والأخلاق واما بتحليل الواقع الاقتصادي اعتمادا على الكم والاحصاء . وقد تختلف الدوافع والبواعث اما ايماننا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر واما ايماننا بالمبادئ الانسانية العامة مثل العدالة الاجتماعية التى لا يختلف عليها اثنان . وقد تختلف الأسس النظرية ، وتتراوح بين مثالية وواقعية ، بين عقلية وحسية . والاختلاف وارد في كل بناء ذهنى انسانى سواء في العلم أو في الفلسفة أو في الدين . واختلاف الأطر النظرية بين الاشاعرة والمعتزلة بالنسبة لتصوير الله ، وحرية الأفعال ، والمسؤولية عن الخير والشر ، والعقل ، والنبوة ، والمعاد ، والايمان والعمل ، والامامة لم تمنعهم أن يكونوا مؤمنين موحدين بالله ومثبتين لوجود الله وخلق العالم وخلود النفس . ليس هناك اذن توفيق بين رأس مؤمن وجسد ملحد بل هناك اتفاق في الأهداف والغايات ، ولختلاف في الوسائل والمناهج والدوافع ، والأطر النظرية ، وهو ما يحدث في كل مذهب ونحلة وملة ودين . والاكفرنا فرقتنا الكلامية جميعا . فاذا كانت الماركسية متفقة مع الإسلام في الغايات فقد كفى الله المؤمنين شر القتال . واذا كانا مختلفين في الوسائل والمناهج والدوافع والأطر النظرية فالواقع هو المحك . ومن يثبت على أرض المعركة يكون له الغلبة . لا يحتاج الرأس المسلم الى جسد غريب ، فالاسلام أيديولوجية تفرض نظامها ، وعقيدة تملئ شريعته ، والنظام الاجتماعى والاسلامى مستقى من التصور النظرى الاسلامى . ودعوتنا الى اقامة المبادئ الخمسة : تغيير الوضع القائم الى وضع أفضل ، الملكية العامة لوسائل الانتاج ، اقامة المجتمع اللاتبقى ، العمل وحده مصدر القيمة ، الحكم للأغلبية والتنمية لصالحها انما تلتقى عرضا مع الماركسية . فهناك اخوة في السلاح ، وزمالة في النضال . الرأس

اسلامى والجسد اسلامى • وقد شرع الاسلام للالتقاء مع أهل الكتاب وأهل الذمة وفيهم المجوس • فنحن لا نشارك الغير بل الغير هو الذى بشاركنا • فأهلا بالغير ان شاركنا فى الأهداف وحتى لو اختلف معنا فى الوسائل • ولا ضير فى الاختلاف فى الأطر النظرية فذاك موجود فى فرقنا الاسلامية وبين فلاسفتنا وصوفيتنا وفقهائنا ما دام هناك اتفاق فى الأهداف • وليس اليسار فى حاجة الى الأفكار المهيمنة فمطالب اليسار تعبر فى وضوح وبساطة عن الواقع المصرى • اليسار لا يعبت بل يقيم ثقافة وطنية ، ولا يتعثر لأنه يؤصل فكره ويعيد الاختيار بين البدائل فى تراثنا القديم ، ولا يتستر بل يعلنها صراحة على الملأ • نحن نفهم الاسلام بما يتفق مع حاجات العصر ، ومن ثم فنحن فقهاء •

• — لا حياء فى العلم كما لا حياء فى الدين • العلم لا يكون ماركسيا أو رأسماليا • النظرة العلمية واحدة ولكن مناهج تحليل الواقع وأبنية العلم ونظرياته ومداخله مختلفة • والاختلاف شئ طبيعى ما دام الهدف واحدا وهو السيطرة على قوانين الطبيعة لتسييرها لمصالح الانسان • العلم لا يكون مؤمنا أو ملحدا بل مقياس الصدق فى العلم هو تطابقه مع الواقع • والنظم الاجتماعية لا تكون مؤمنة أو ملحدة بل هى أيضا نظم تلائم أو لا تلائم الطبيعة البشرية وتحقق أو لا تحقق مصالح الناس • وهناك تفسيرات عدة للأسس النظرية ، وتطبيقات عدة للأنظمة الاجتماعية ولا يوجد تفسير واحد هو المؤمن وباقى التفسيرات ملحدة أو تطبيق واحد هو المؤمن وباقى التطبيقات هى الملحدة • تلك هى بقايا الحديث الضعيف للفرقة الناجية ، أن كل فرق الامة فى النار والناجية منها واحدة •

٦ — واحقاقا للحق وليس دفاعا عن الماركسية ، ان صورة الماركسية في مصر هي الصورة التي روج لها الفكر الرأسمالي بيننا والتي هي اثر من اثار الاستعمار الثقافي في فكرنا المعاصر ، صورة مذهبية معينة وهي مادية القرن التاسع عشر . وقد تطورت الماركسية منذ ذلك الوقت في فلسفتها وأطرها النظرية فيما يعرف باسم ماركسيات القرن العشرين التي تبقى على الأهداف وتختلف في الوسائل والأطر النظرية . هناك ماركسية مثالية عند ماركس الشاب ، وماركسية ليبرالية عند سدنى هوك ، وماركسية انسانية عند آدم شاف ، وماركسية بنائية عند التوسر ، وماركسية برجسونية عند جارودي ، وماركسية عملية عند غرامشي ، وماركسية فرويدية عند ماركوزه ، وماركسية فينومينولوجية عند لوفيفر ، وماركسية وجودية عند سارتر وميرلوبونتي ، وماركسية هيكلية عند كوجيف . فلماذا نصر نحن على ماركسية دارون وسبنسر ، وماركسية القرن التاسع عشر التي تخطئها ماركسيات القرن العشرين . الا اذا كان المقصود تشويه الماركسية عن عمد أو نكون ضحية الفكر الرأسمالي والاستعمار الثقافي أو جهلا بالماركسية ، والجهل ليس أصلا من أصول الدين ؟ حتى ولو كانت المادية أساسا نظريا وحيدا للماركسية كما كان الحال في القرن التاسع عشر فقد كان هذا الاختيار أيضا موجودا في تراثنا القديم عند أصحاب الطبائع ، النظام ، والجاحظ ، ومعر ، وثمانمة ، وهشام بن الحكم ، وهشام بن سالم الجواليقي من المتكلمين وعند ابن رشد من الفلاسفة وعند أصحاب وحدة الوجود من الصوفية وعند دعاة المنطق الحسى من الفقهاء . وكلهم موحدون مؤمنون بالله . وان وجود بعض الجوانب الليبرالية في النظم الاشتراكية ، وبعض الجوانب الاشتراكية في النظم الغربية ليس مرفوضا من ماركسية

القرن العشرين بل هو تأكيد لها ، وتأسيس لماركسية طبقتا لأهم معطيات القرن العشرين ألا وهو التحرر ، تحرر الانسان في النظم الاشتراكية وحق الجماعة وتحقيقها بالوسائل السلمية في النظم الليبرالية .

٧ — ان اليسار لا يحتكر الثقافة بل يدعو الناس الى حد أدنى من الاتفاق ، يجعل الأرض لن يفلحها ، والمصنع لن يعمل فيه ، والجامعة لن يتعلم فيها ، والمتجر لن يشقى فيه ، يدعو للحوار ولا يتهم بل هو باستمرار موضع الاتهام ولا حيلة له الا الدفاع عن نفسه . لم يفرض اليسار على مصر شيئاً بل انه اختيار أساسى يفرضه الواقع المصرى . ان هذه الحملة الشعواء ضد اليسار انما تهدف الى المستحيل وهو الوقوف أمام الاتجاه الشعبى العام نحو اليسار وتشوينه أمام الناس ، والناس ليست فى غفلة من أمرها . وكيف ييغى اليسار التشهير بالاسلام بأن نظرياته غير قادرة على تحقيق التقدم وهو يثبت أن الاسلام هو التقدم فى أسسه النظرية ومساواة الخلق جميعاً أمام مبدأ واحد شامل ، وفى تطبيقاته العملية يجعل العمل وحده مصدر القيمة ويؤسس المجتمع اللاطبقى ؟ الى متى ستظل هذه الحملة على اليسار بأنه ملحد ؟ وهل تتحقق مصلحة الناس بذلك ؟ هل هذا هو اشكال مصر التى ما زالت ترزخ تحت وطئة الغزاة ، وما زال شعبها يناضل فى سبيل لقمة العيش ، والمقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية مهددة أمام أعيننا بالفناء ؟ كفى تعمية عما يحدث ، وكفى تغطية لما يدور ، وكفى ابعادا للانظار عن مشاكلنا الحقيقية وتحدياتنا المصرية .

الام الخلف بينكو الاما . وهذى الضجة الكبرى علاما

وفيم يكيّد بعضكمو لبعض . وتبدون العداوة والخصاما

وأين الفوز لمصر استقرت على حال ولا السودان داما

(هـ) المارك الأخلاقية والصراع الاجتماعي :

يبدو أنها معركة طويلة بدأت حلقاتها منذ مايو ١٩٧١ ثم رد الفعل عليها في يناير ١٩٧٧ • وليست آخر حلقاتها أكتوبر ١٩٨١ • فبأنرغم مما يبدو على حادثة المنصة من أنها جريمة قتل يعاقب عليها القانون وهي اغتيال الرئيس الا أن مؤامرة الصمت حول دوافعها وأسبابها ونتائجها على الأمدين القصير والطويل جريمة أعظم • فإذا كانت الجريمة الأولى جريمة أفراد فان الثانية جريمة نظام حكم بأكمله •

ولا يحتاج الانسان الى قراءة أو ذكاء كي يدرك أن الحركة الدائرة حاليا باسم الدين والأخلاق دفاعا عن « حرمة الموتى » إنما تخفى في حقيقتها الصراع الاجتماعي الخفى بين الفئة الحاكمة التي بيدها المال والسلطة وبين جماهير الشعب المدافعة عن ثورة يوليو وانجازاتها الاجتماعية • ولما كان من وسائل التعمية اخفاء هذا الصراع والبأسه ثوب الدين والأخلاق وهما المكونان الرئيسيان لروح الأمة وثقافة الشعب تحاول الفئة الحاكمة اليوم الاختفاء وراءهما دفاعا عن نفسها وحماية لمكتسباتها • فبعد أن تهاوى رأس النظام يستमित الآن المستفيدون في الدفاع عن حساباتهم في الخارج وثرواتهم في الداخل

كتب هذا المقال عام ١٩٨٢ بعد بداية نشر « خريف الغضب » للكاتب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل في صحف الخليج وفي جريدة « الاهالى » في مصر ثم صدور قرار بوقف نشر الحلقات وبداية الهجوم على الكتاب من الناحية الاخلاقية بدافع حرمة الموتى واخفاء الدافع الحقيقي وهو الاستسلام السياسى بعد النصر العسكرى في أكتوبر ١٩٧٣ • وقد أرسل لجريدة « الاهالى » في ذلك الوقت ، وهذه صياغة ثانية من المسودة الاولى كتبت في خريف ١٩٨٧ •

ومراكزهم القيادية • الدفاع هذه المرة ليس عن نظام مجرد بل عن الجلد والرقبة خشية أن تهتر المناصب كما وقعت العروش من قبل وخشية يناير آخر يكونون هم أول ضحاياهم • ولقد كان الرئيس المقتول يهددهم من قبل : تأخذون بدلين سفر ، بدلا من مؤسساتكم الصحفية وبدلا آخر من رئاسة الجمهورية ويمكن أن أجعله بدلا واحدا • وهو تهديد بسحب الرشوة ! كانت السياسة المتبعة هي اعطاء كل رئيس مؤسسة صحفية أو اعلامية أكثر مما يستحق والباسه ثوبا أطول منه ، واعطائه مركزا لم يكن يحلم به حتى يظل عبدا له ، مستميتا في الدفاع عنه ، بائعا نفسه ، مزيفا ضميره • وقد يصل عند البعض الى حد خيانة البلاد ، والرضا بالضميم والهوان •

ليت أجهزة الاعلام قد دافعت بنفس الحماس والهوس المحموم الذي تهاجم به كتابا الآن عن شرف مصر وسيادتها على أرضها عندما كان يعلن في العريش وعلى أرض مصر من رئيس وزراء اسرائيل عن فتح الحدود بين مصر واسرائيل وبجواره رئيس وزراء مصر السابق صاحب الحق في هذا الاعلان ، وعندما طالب موسى ديان بالسكنى في ميدان التحرير ، وزيارة الأزهر والحسين ، والتسوق في خان الخليلي ، وركوب ترام الاسكندرية ذي الطابقين ومكوته في الدور الأعلى رافضا السكنى في أطراف القاهرة بعيدا عن قلب مصر وليس متكئا على رؤوس الاشهاد • يا ليتها طالبت بالتريث قليلا في الاعتراف ورئيس وزراء اسرائيل يعلن أنه ليس في حاجة الى اعتراف أحد • يا ليتها دافعت عن حق شباب مصر ومثقفينا في رفع علم فلسطين في معرض الكتاب ١٩٨١ واسرائيل تشارك في المعرض تحت حماية الشرطة ! يا ليتها قد طالبت بالتريث في التطبيع وفي تجارة البيض والموز والملابس

وفي اصلاح الأراضي الزراعية والمشاريع المشتركة • ليتها دافعت عن رأي وليس عن مصلحة أو كذبت الوقائع الواردة في الكتاب أو نظرت سياسة أو رشدت طريقا حتى تكون على الأقل جديرة بالحوار وبالنقاش • والى متى تستمر الأمور على هذا النحو ؟ الجماهير ما زالت منتظرة والأرواح ما زالت في الأعناق •

ألم يكن لعبد الناصر حرمة تدافع أجهزة الاعلام عنها ؟ ألم يكن لزعماء مصر السابقين كلهم حرمة وهم الذين كان لهم شرف الدفاع عن الاستقلال الوطني وتأسيس الاقتصاد الوطني ؟ وماذا عن حرمة الأحياء ، واتهام الخصوم السياسيين بالكفر والالحاد وبالعمالة والخيانة ؟

ان المنهج النفسى منهج معترف به فى علم النفس وفى تحليل الشخصيات التاريخية • وقد تم اغتيال جيفارا بالمنهج النفسى بعد تحليل شخصيته وسيجاره ورؤية وهجها بالأشعة تحت الحمراء وسط الأدغال • كما حلت شخصية نيكسون بالمنهج النفسى • وقد حاول علماء الاستعمار من قبل رسم صورة نفسية لعادات عبد الناصر لاغتياله والتخلص منه • ومن المسلم به علميا أن الدوافع النفسية تكمن وراء السلوك البشرى •

وقد صدر قرار وقف الحلقات بعد الحلقات الأولى التى تحاول استعمال المنهج النفسى لتفسير الشخصية وسلوكها فيما بعد • لم يكن الدافع هو الأخلاق وحرمة البوتى بل ايقاف نشر الحلقات القالية التى تكشف عن التفريط فى حقوق الوطن ، وعدم ترجمة النصر العسكرى

الى كسب سياسى ، وكيف أدار العسكريون المعركة حتى النصر ، وكيف أساء السياسيون ادارة المعركة حتى الاستسلام . لم يكن الهدف الحلقات الاولى بل الحلقات الاخيرة ، ولم يكن الدافع الاخلاق بل السياسة ، ولم يكن الحرص على حرمة الاموات بل على كراسى الاحياء .

ولا يختلف فى ذلك النظام فى مصر عن باقى الأنظمة العربية . فالتواطؤ مشترك والمصلحة واحدة على الرغم من استسلام نظام ومقاومة ظاهرية لباقى النظم . فالدعوة الى الصلح مع العدو الصهيونى كانت رائجة من قبل ، والوصاية الأمريكية على الأنظمة العربية كانت عرفا شائعا . انما بدأت المزاييدة عندما قدم أحد الولاة الاتباع خدمات أكثر من المتوقع عند الأسياد ولدى باقى العبيد على السواء . أصبح السبق فى الخيانة والعمالة شرف يناله الحكام . واذا كان مصير الشقيقة الكبرى التصدى فى الحروب فان مصيرها أيضا تلقى الضربات عند الاستسلام بدلا من باقى الأشقاء .

ما زالت أجهزة الاعلام تخلق معارك وهمية تعمية للجماهير عن مشاكلها الحقيقية ، وثرواتها المنهوبة ، وغنائها الفاسدة ، وأموالها المهربة منذ الهجوم على « الفتوحات المكية » لابن عربى فى مجلس الشعب وجعله معركة مطية الى « خريف الغضب » . وهل القضية حديث مع الله أو الى الله أو من الله تشغل بها رأى العام وتسيل فيها الأقلام ؟ أما القول بأن مصر واسرائيل هما البلدان الوحيدان المتحضران وسط شعوب همجية فلا يحرك أحدا ، ولا يغضب كاتبها ، ولا يغلق صحيفة ، ولا يثير معركة ! وكأن حرف الجر قبل لفظ أخطر على البلاد من جرنا كلها تحت أقدام الصهيونية والاستعمار .

ليت أجهزة الاعلام تفكر في مستقبل مصر وفيما نتج عن خروجها
كمركز ثقل في العالم العربي من تشتت وتشردم وضياع ، وهل حرب
أكتوبر هي آخر الحروب أم بداية عصر الامبراطورية الاسرائيلية ؟
وماذا عن غزو لبنان ؟ وماذا يخبأ لسوريا والاردن والعراق والجزائر
والسودان ؟

ليت أجهزة الاعلام تكف عن التخوين والتكفير والاتهام • فالركب
غارق ، والكل هالك • ليتها تفكر في وحدة وطنية من القوى الوطنية
الرئيسية في البلاد ، الاخوان والوفديون والناصريون والماركسيون ،
والاتفاق على برنامج عمل وطنى موحد يعيد الى الأمة استقلالها
الوطنى ، وحريتها ، وتخطيها ، وهويتها ، وتقدمها ، وجماهيرها •
ليتها تفكر في القضية ، وترعى مشروعها القومى الذى بدونه تتحلل
مصر ، وجندها غير أجناء الأرض ، وشعبها مرابط الى يوم القيامة •

(و) افتراءات ضد اليسار :

يغلف اليسار هذه الأيام خاصة في مصر ، وكما كان الحال في الغرب في القرن الماضي ، بظلال تجعل الناس غير قادرين على رؤية بريقه ، وهي ظلال باهتة سرعان ما تتبدد . وافتراءات كاذبة سرعان ما تتجلى . وأهمها :

أولا : يقال عن اليسار أنه ملحد ، ضد الدين لا يؤمن بالله ، ويطعن في الأنبياء . ويزيف القرآن والحديث أو على أكثر تقدير يستغل ذلك لمصلحته الخاصة ، خوفا من الناس ، وتملقا لمشاعرهم ، ونفاقا لهم . وهو قول باطل مردود فالدعوة اليسارية جوهر الدين ، وأساس رسالات الأنبياء ، ولا يوجد نبي منذ آدم حتى محمد عليهما السلام إلا وأنذر الأغنياء بالويل والثبور كما فعل عيسى وطالب بحق الفقراء كما فعل النبي عاموس ، وتوعد الطغاة والمستكبرين كما فعل موسى ، وطالب بحق الشعب في الرقابة والمشاركة في الحكم ، وطالب بتطبيق الحدود على الضعفاء والأقوياء ، وجعل العمل الصالح مقياس للناس جميعا لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى كما فعل محمد . ان كل من يشهر هذا السلاح ضد اليسار فليعلم انه سلاح غير بتار . انما السلاح البتار في غير موضعه وضد مصلحة الشعب هو من يستغل الأيمان بالله وكتبه ورسالته واليوم الآخر من أجل التعمية والتغطية والتستر على الأوضاع القائمة التي تضيق فيها حقوق الفقراء والتي

تسلب حقوق الشعب من أجل الأبقاء على مصالح الأقلية وامتيازاتها والدعوات الدينية اليسارية شائعة في كل عصر ، وعامة في كل دين .

ثانيا : يقال عن اليسار انه مادي وأنه ينكر الروحانية ، وأنه يفسر الظواهر الانسانية تفسيراً اقتصادياً خالصاً ، وأن الانسان بدن لا نفس ، وأن الواقع مادة لا فكر ، وأن الحياة دنيا لا آخرة ، وأن يهلكنا إلا الدهر . . وهذا افتراء محض . فاليسار نظرة علمية للواقع . والواقع فيه فكر ، والانسان جسد وروح ، والعالم عالمان ، عالم الشهادة وعالم الغيب ، عالم الواقع والحس وعالم الأمل والرجاء . وإذا كان اليسار أساساً دعوة فكرية ، ويحذر الجماهير بالفكر ويدعو الناس الى التفكير واعمال العقل كما يفعل الأنبياء فكيف يقتصر على الواقع وينكر الفكر . وإذا كان اليسار أساساً دعوة الى العدالة الاجتماعية والى الدفاع عن حقوق الشعوب ، وحرصاً على كرامة الانسان فكيف يكون مادية ينكر الروحانية ؟ وكيف يتسنى للانسان أن يدرك هذه المبادئ وهو بدن فقط بلا روح اللهم الا اذا كانت روحانية عرجاء بلا مضمون ، يتستر وراءها البعض ويتشدقون تغطية للمادية وتقنيا لها .

ثالثا : يقال عن اليسار انه فكر مستورد غير نابع من تراثنا وأرضنا ووطننا وتراثنا وعاداتنا وتقاليدها ، فاليسار والعمالة الفكرية شيء واحد . وهذا أيضا افتراء وبهتان وقول زور ، فاليسار هو التنظير السياسى للثقافة الوطنية . والثقافة الوطنية هي التنظير المباشر لواقع الناس . فاليسار يبدأ من الواقع ولا يبدأ من الفكر . وفكره تنظير للواقع وليس فكرا منقولاً . فإذا حدث اتفاق عرضا بين فكر اليسار والفكر

الانسانى ازداد فكر اليسار ثقلا ، وأضاف الى التجربة الانسانية
رصيدا وطنيا • وهل انغلق تراثنا القديم على ذاته أم أضاف الفكر
الانسانى ، اليونانى ، والهندي ، والفارسى ، والرومانى رصيда آخر
نعتز به ونفخر به حتى الآن • واذا كان عدو اليسار الأول هو الاستعمار
الثقافى فكيف له أن يستورد فكرا يكون أحد مظاهر هذا الاستعمار ؟
ألم يكن اليسار هو الراعى للثقافة الجماهيرية والجامعة الشعبية ؟
ولماذا لا يكون الفكر الرأسمالى مستوردا أيضا خاصة وانه لم ينشأ
من ترابنا وأرضنا أيضا وان واقعنا لا يختاره ولا يفرضه ؟ ان شبهة
الاستيراد هذه لأكثر دلالة على عقلية الاستيراد والبضائع المستوردة
التي أصبحت احدى قوالبنا الفكرية وحدى موجهات سلوكنا المعاصر •

رابعا : ويقال عن اليسار بالاضافة الى الأفكار المستوردة القرارات
المستوردة وكأن العمالة الفكرية تتحول الى عمالة سياسية • فاليسار
تابع لموسكو أو بكين أو لغيرهما من العواصم اليسارية وكأن اليسار
لا يكون وطنيا بالمرّة • وهذا افتراء وتجن على أبرز أشكال نضالنا
الوطنى • فاليسار أساسا حركة وطنية ولا تصدر قراراته الا بناء على
المصلحة الوطنية • وقد قامت كل حركات التحرر الوطنى على دعوات
يسارية ، وكان اليسار هو الموحد لكل اتجاهات التحرر الوطنى • واذا
كانت دعوات اليسار الوطنى قد سادت داخل معسكر اليسار ذاته
(الصين ، فيتنام ، يوغوسلافيا ، رومانيا • الخ) فكيف يكون اليسار
خارج معسكر اليسار تابعا لاحدى أنظمتيه ؟ لقد أصبح لليسار الوطنى
اليوم (ايطاليا ، وفرنسا) الصدارة على اليسار الأسمى فى حين أن
الاستعمار العالى يوحد صفوفه ويقوم على محور أساسى ، وبسلطة
مركزية توجه أذنان الاستعمار وتحرك تابعيه • والرأسمالية العالمية

المتمثلة في الشركات المتعددة الأجناس هي التي توجه الرأسمالية الوطنية وتبتلعها وكل ذلك لا يكون عمالة أو تبعية لأحد !

خامسا : ويقال عن اليسار انه دعوة الى التغيير بالعنف والى اراقة الدماء وانه دعوة الى الحقد والضعيفة ، واستغلال فقر الفقراء ، واللعب على أوجاع الناس • وهذا أيضا اثم وبهتان • فاليسار دعوة الأغلبية ، والأغلبية لا تحتاج الى العنف لانها تستطيع أن تحقق مطالبها بالوسائل الديمقراطية ، وطالما ضحى اليسار بالبرنامج السياسى من أجل الحفاظ على الوسائل الديمقراطية (المندى فى شيلى) • ووسائل الضغط مثل حق الاضراب وحق التعبير تكفل لليسار تحقيق أهدافه بالوسائل السلمية • ويفرق اليسار بين العنف الطفولى والعنف الثورى • فالأول ليس من اليسار بل من الطفولة اليسارية التي يدينها اليسار والثانى هو العنف الذى يفرض على اليسار ، عندما يهاجم كبار الملاك أرض الفلاحين فى الريف ، وعندما تطلق أجهزة الأنظمة الاقطاعية والرأسمالية النار على جماهير الشعب ، وعندما يقول الله : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير • الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز » (٣٩ : ٤٠) هنا يظهر العنف الثورى كرد فعل على العنف الاجرامى فى حق الشعب • ويكون العنف الثورى أشبه بالجهاد المقدس • والعجيب ان الذين يثيرون هذه الشبهة لا يدينون العنف الاجرامى البادى بالعدوان بل يدعون له !

فما جزاء من يفترى على اليسار كذبا ؟

(ز) بريق اليسار :

حتى يكون اختيارنا السياسى قائما على أساس ، وحتى لا نرفض
اليوم ما اخترناه بالأمس ، وحتى لا يتم اختيارنا للهوى أو
للمزاج أو للضغط الخارجية ، أقول أن اختيار اليسار يحدث طبقا
لمقاييس موضوعية تجعل لليسار بريقا يستهوى الناس ، ويسترعى
الانظار . فهو بريق ذو مضمون مثل بريق الجواهر ، وليس بريقا خادعا
مثل بريق السراب ويتمثل هذا البريق فى الآتى :

١ — يقوم اليسار على فكرة ، وليس على سلطة ، وهو اتجاه
فكرى قبل أن يكون اتجاها سياسيا حتى أصبح اليسار نموذج العقائدية
أو الأيديولوجية . واليسار صاحب فكر ، وناشر دعوة ، يقرأ ويدعو
الناس للقراءة ، كما يدعو القرآن . لذلك كان المفكرون يساريون بالطبع
لأنهم أهل الفكر ، والفكر يسارى بطبعه لأن اليسار فكرة . ويشمل
الفكر كل مشتقاته من أدب وفن . وأصبح اليسار هو الوحيد القادر
على اجراء الحوار مع الاتجاهات السياسية الأخرى لأن الفكر شرط
الحوار .

٢ — يتميز اليسار بالصدق لا النفاق ، وذلك لأن الفكر بمجرد
تمثله يتحول الى تصديق داخلى ، كما هو الحال فى الايمان عندما يصدق
المؤمن بما يؤمن به . فما يوجد فى قلب اليسارى يوجد على لسانه ،
وما يشعر به يفكر فيه ، وما يفكر فيه بقوله ، ومن ثم فلا أثر لانقسام

الشخصية التي تحدث في الاتجاهات السياسية الاخرى عندما يجد الانسان نفسه موضوعا في اتجاه تحت ضغط السلطة أو تحت تأثير الخوف ، لذلك كان أصحاب اليسار باستمرار أصحاب الصوت العالي وأول من يتلقون الضربات •

٣ — يعى اليسار الالتزام بمبدأ والتضحية في سبيله ، فاليسار صاحب قضية ، وحامل رسالة مثل الأنبياء والصديقين والشهداء • وطالما قاوم اليسار وسائل الاغراء والضغط وعوامل الترغيب والترهيب من أجل النخلى عن المبدأ أو تغييره ، وطالما استشهد اليسار من أجل الثبات على المبدأ ، وتحمل صنوف العذاب والهوان على ما نسمع في قضايا هذه الأيام • لذلك كان اليسار أقرب الى روح الشباب روح النضحية والفداء ، وكانوا زينة شباب أهل الجنة •

٤ — يرتبط اليسار بالواقع ، ومقياسه ، مكره تصديق الواقع له ، ومن هنا جاءت تسميته بأنه الأيديولوجية العلمية لارتباطها بالواقع • وأصبحت الواقعية في الفن والأدب وسيلته في التعبير ، وهو في هذا شبيه بالوحي الذي يقوم على هذه الواقعية بتدرجه في النزول طبقا لدرجات الوعي الانساني ، وتزوله منجما طبقا لمقتضيات الواقع • ومن هنا جاءت تسميته باليسار الوطني نظرا لارتباطه بالارض وبالتراب • وهو الوحيد الذي يملك تحليل الواقع تحليلا احصائيا عارضا مكوناته الأساسية ، ومن ثم كان قادرا على ابراز مشكلات الواقع وتقديم الحلول لها •

٥ — يتجه اليسار باستمرار نحو المعارضة ، وعدم التسليم

بالأمر الواقع ، ورفض النظم القائمة ، لذلك كان اليسار أقرب الى
الجديد والتطلع نحو المستقبل في مقابل الاتجاهات السياسية الاخرى
التي تريد الرجوع الى الوراء ، متطلعة نحو الماضي أو التي تريد
الابقاء على الوضع القائم ، متكالبة على مكاسب الجاضر ، لذلك كان
اليسار ضد كل النزعات التبريرية للوضع القائم ، وضد كل الاتجاهات
النسكين والتثبيت . وقد كانت رسالات الانبياء كلها بلا استثناء دعوات
لتغيير الوضع القائم ، وكان الوحي رافضا للرضى بالحياة الدنيا ،
وحاثا الناس على النهوض وعدم الاثقال .

٦ - يعبر اليسار عن نزعة غيرية في الانسان ، فالتفكير في الآخر
سابق على التفكير في الذات ، ومصلحة الجماهير سابقة على مصلحة
الافراد ، والأغلبية صاحبة حق على الأقلية . لذلك عرف عن اليسار
بأنه دعوة جماهيرية ترعى مصالح الناس ، وتدافع عن حقوقهم ، مهمة
اليسار أشبه بمهمة فقهاء المسلمين في الدفاع عن المصالح العامة
والرقابة على سير الأمور ، وأن يكون حاكم المسلمين آخر من يأكل
وآخر من يلبس ، وآخر من يسكن .

٧ - يعتمد اليسار على روح الجماعة ، فالعمل الجماعي أبقي
من العمل الفردي وأكثر حماية لصاحبه . ليس من شيمة اليسار عبادة
الأشخاص ، وادعاء البطولات ، وتوهم النزعات بل الاجتماع معا ،
والعمل المشترك . لذلك فان الحزب هو عصب الجماعة . ويتفق ذلك
مع ما هو معروف في طبيعتنا من روح الترابط والتراحم ، وما هو
مشهور في شخصيتنا القومية من عروة وثقى تظهر فوق الحصر ، وعلى
المصطبة ، وفي الأرواح والأعياد والموالد .

٨ — ينحو اليسار دائماً نحو العالمية ، فهو نزعة انسانية خالصة تدافع عن الانسان من حيث هو انسان • لذلك كان اليسار هو التطور الطبيعى للبيرالية ، والوريث الشرعى للعقلانية والتتوير • ولا تقوم العالمية على أى أساس عنصري ، عرقى أو حضارى بل على المبادئ العامة الشاملة مثل حق تقرير المصير ، وحرية الشعوب والعدالة الاجتماعية ، والسلام •

هذا هو البريق الذى يمحو ما دونه من ظلال •

(ح) الشعارات الدينية ومضامينها السياسية :

انه لاشك ما يحزن الانسان أن يرى الاخوة الأعداء يتصارعون ، وأن تتساقط الرقاب بسبب سوء الفهم وأن تتبدد الجهود بسبب صورية التفسير ، وأن تتبعثر قوى الأمة وتتشتت طاقاتها بلا داع بل نتيجة بقايا الاستعمار الثقافي في بلادنا ، وتحقيقا لسياسة « فرق تسد » .

فان كثيرا ما يحدث في لقاءاتنا الجماهيرية هذه الأيام ، وحياتنا السياسية وقد دب فيها النشاط النسبي ، أن ينقسم الجمهور الى ثلاثة أقسام : الاول يصيح « الله أكبر ولله الحمد » ، « الله أكبر والعزة لله » ، « القرآن دستورنا » . ويهتف القسم الآخر « الله أكبر والعزة لمصر » ، « اشتراكية ، اشتراكية » ، « تحيا مصر » ، « ناصر ، ناصر » . أما القسم الثالث وهو الاغلب فانه يكون محصورا بين القسمين الأولين ، يترقب وينتظر ، والحيرة بادية عليه . وجدانه مع الأول . وواقعه مع الثانى ولكنه ينتظر لأيهما الغلبة !

والسؤال هو الآتى : هل هناك تعارض بين الشعارات الدينية الأولى وبين المضامين الاجتماعية أو السياسية الثانية ؟

والحقيقة أن التعارض الناشئ ينتج من خطأ شائع يقع فيه الفريق الأول وهو التفسير الصوري الفارغ من أى مضمون . فشعار « الله أكبر والعزة لله » لا يعنى الا « الله أكبر والعزة لمصر » . وهل

يكره الله أن تتحرر سيناء ؟ وهل ترفض عظمة الله أن تحيا مصر ؟ ان
الشعار الدينى لا يمكن أن يكون فارغا بلا مضمون ، ولا يمكن أن يكون
له إلا مضمون من واقع من يرفع هذا الشعار . فالمصرى الذى يرفع
شعار — الله أكبر — وهو محتل متخلف لا يمكن أن يعنى شعاره
الا تحرير الأرض والقضاء على التخلف بكل صورته ، فاذا صاح أحد
« الله أكبر » واذا هتف آخر — العزة لمصر — فالأول يقول بالصورة
الفارغة بلا مضمون ، والثانى يقول بالمضمون الواقعى بلا صورة .
والحقيقة انه لا توجد حقيقة بلا صورة أو مضمون ، ولكن نظرا لاننا
نعيش فى عصر تغلب عليه الصور والأشكال فان اظهر المضمون يكون
أوقع وأكثر التزاما بالواقع . واذا عرفنا أن الاسلام دين جوهر وليس
دين شكل أى أنه يعتنى بالمضمون أكثر من اعتناؤه بالصورة كان هتاف
— العزة لمصر — أقرب الى روح الاسلام أى أقرب الى الواقع
والمضمون . ولا تعنى مصر هنا أية نكرة قومية يرفضها الاسلام ولكن
تعنى الدفاع عن الأرض ، والقضاء على التخلف ، وهما مطلبان
اسلاميان .

وكذلك اذا صاح أحد بشعار — القرآن دستورنا — ، « قرآنية » ،
قرآنية ، لا شرقية ولا غربية » ، واذا هتف آخر « اشتراكية » ،
اشتراكية » ، « تحيا الوحدة العربية » ، ويكاد يحدث التشابك بالأيادى
بين هؤلاء وهؤلاء ، وكل فريق ينظر الى الآخر على أنه عدو له ، يتهم
الأول الثانى بأنه خائن للدين ، ويتهم الثانى الأول بأنه خائن لمصر !
والحقيقة أن شعار الفريق الأول شعار صورى لا مضمون له كمن
يقول : اثنان واثنان يساوى أربعة أى أنه تحصيل حاصل . فمن منا
لا يرضى بالقرآن دستورا ؟ ومن منا يرضى بأن ينحاز شرقا أو غربا ؟

انما المهم كيف نملأ هذا الشعار بمضمون • ما هو البرنامج السياسى والاقتصادى الذى يكفله هذا الدستور ؟ ولصالح من يتم الحكم والتخطيط للاقتصاد القومى ؟ ولصالح من تتم التنمية ؟ أن واقعا مثل الواقع المصرى بدخله المحدود — متوسط دخل الفرد حوالى مائة جنيه سنويا — لا يمكن أن يتحمل الا نظاما اشتراكيا ، وهذا هو معنى ما نردده باستمرار : حتمية الحل الاشتراكى ، ومن ثم كانت الاشتراكية هى المضمون الوحيد لشعار « قرآنية ، قرآنية » أى القرآن بتفسير اشتراكى ، لما كانت الاشتراكية مطلبا للعصر وفرضا من الواقع • وكانت الوحدة العربية التى نجد فيها استقلالنا وكياننا ، وكان ارتباطنا بالشعوب المتحررة حديثا ، وبالحركات الوطنية التى ما زالت تناضل ، وبالعالم الثالث ، وبكتلة عدم الانحياز هو المضمون الواقعى لشعار « لا شرقية ولا غربية » •

ان الحوار الجاد بين هذين الفريقين ، الأول الذى يرفع الشعارات الدينية ، والثانى الذى يبرز المضامين السياسية هو نقطة البداية فى العمل السياسى الجذرى • لقد كان ماضى مصر مرهونا بهذا الحوار ، وكانت القوتان الرئيسيتان قبل الثورة وبعدها بسنتين وربما حتى الآن هما الاخوان المسلمون والشيوعون وكنا نسمع عن التقاتل بين الاخوة الأعداء • ان مستقبل مصر أيضا ما زال مرهونا بهذا الحوار حتى تأخذ الشعارات الدينية مضامينها السياسية من واقع حرية الناس • فالناس مؤمنة تحركها الشعارات الدينية ومحتلة متخلفة ، وحياتها ووجودها فى الاستقلال الوطنى والتنمية لصالح الطبقات الكادحة • مستقبل العمل السياسى الجذرى فى مصر مرهون بتفسير الدين تفسيراً تقدمياً

يعبر عن مطالب العصر ويلبى احتياجاته • فالدين هو الصورة التي تعطى القوالب النظرية ، والتقدم هو المضمون الذي يفرضه الواقع •

وفي الوقت الذي يحدث ذلك لا تصبح أغلبية الجماهير ، وهي الفريق الثالث ، في لقاءاتنا السياسية محصورة بين الصياح بالشعارات الدينية والهتاف بالمضامين السياسية ، بل تجد فكرا سياسيا ينطلق من دينها ، وتستلهم تراثها ، ويلبى مطالب واقعها ويحقق حاجات عصرها ، هذه الأغلبية التي كانت قبل الثورة متمثلة في الوفد بقيادة مرجوة هي الطليعة الوفدية ، والتي أصبحت فيما بعد جماهير ثورة ٢٣ يوليو بقيادة فعلية للضباط الأحرار والتي نطلق على قلبها النابض الآن اسم قوى الناصرية أو على مجموعها القوى التقدمية الوطنية هي التي ستجد في النهاية فكرها السياسى ، ودورها التاريخى اذا ما التقى الاخوة الأعداء وفسرنا الشعارات الدينية بمضامينها السياسية •

(ط) كلمة حق يراد بها باطل !

كثر الحديث في مجتمعاتنا هذه الايام عن تطبيق الشريعة الاسلامية، ومن منا لا يريد ذلك ؟ فعلى الاقل سنجد مخرجاً من مآسينا ورعاية لحقوقنا . ولكن بصرف النظر عن الاسباب النفسية والاجتماعية لظهور هذه الدعوة من تعويض لهزيمة سابقة ، أو ادعاء يعد بنصر لاحق ، أو مزايمة في الدين ، أو طلب لشهرة ، أو ستار لعجز ، أو تعمية لواقع ، أو دفاعاً عن مكاسب شخصية ، أو تثبيت لوضع قائم فان هذه الدعوة شرعية في الاساس ، ولكن ينقصها الاسلوب العلمى في التحقيق، وهو الاسلوب الاسلامى ، وكأنها كلمة حق يراد بها باطل . الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية اذن لا تجوز الا بمنهج اسلامى نصفه على النحو الآنى :

١ — لم يبدأ الوحي بشريعة ولكنه بدأ بعقيدة ، ولم تبدأ حياة المسلم بنظام ولكنها بدأت بتصور ، فالشريعة الاسلامية صادرة عن عقيدة ، والنظام الاسلامى ناتج عن تصور . فلنحاول أولاً عرض العقائد الاسلامية وتفسيرها طبقاً لحاجات العصر ، وملئها بمضمون من واقع المسلمين . ولنحاول أولاً عرض التصور الاسلامى ، وتحديد معالمه . فاذا تمت صياغة الفكر النظرى أولاً حاولنا صياغة الشريعة العملية ثانياً . ألم تأت السور المدنية وهى التى حوت الشريعة بعد السور المكية وهى التى حوت التصور ؟ وكيف نأتى نحن ثم نضع الحصان قبل العربة !

٢ — تحويل هذا التصور من مستوى النظر الى مستوى الاعتقاد عن طريق ايمان بعض الافراد والتصديق به ، وهم الذين سيكونون فيما بعد طليعة للنظام . وقد ربي الرسول بضعة أفراد ، هم صحابته على مدى ثلاثة وعشرين عاماً ، وهم الذين عاونوه في تطبيق النظام الاسلامى الذى حدث في عشر سنوات ، وفي تأسيس الدولة الاسلامية بعد وفاته ، فتربية الافراد أشق وأصعب ، ويطول اعدادها عن تطبيق النظام . فأين هم صحابتنا ، وطليعة أمتنا ؟

٣ — لم تنشأ الدولة الاسلامية الا بعد الهجرة ، في مجتمع المدينة ، وبدستور المدينة ، وبتحالف المدينة أى أن الجماهير كانت في أغليبتها مسلمة ترنو الى نظام جديد ، ينبع من العقيدة الجديدة أو متعاطفة مع الحركة الجديدة مثل أهل الكتاب ، ومن ثم كان من السهل اقامة الدولة الاسلامية لأول مرة في التاريخ على يد الرسول في المدينة . ولكن أين جماهيرنا اليوم التى تستقبل طليعتها استقبال الفاتحين أم أن ضنك العيش قد أضناها واحتلال الارض قد استنزفها وأدماها ؟

٤ — تطبيق الشريعة الاسلامية كل لا يتجزأ ، ولا يمكن استئصال جزء منه حسب هوانا وتكويننا النفسى المعقد ونجعل منه كل الشريعة . فهناك النظام السياسى ، والنظام الاقتصادى ، والنظام الاجتماعى ، والنظام الاخلاقى . لماذا لا ننادى بتطبيق النظام الاقتصادى القائم على أن المجتمع الواحد الذى فيه انسان جائع تبرا ذمة الله منه ؟ لماذا نتخرج من تطبيق النظام السياسى الاسلامى القائم على البيعة والشورى ، وعدم تولية هذا الامر من يطلبه ؟ لماذا لا نطبق النظام

الاجتماعى القائم على مشاركة الامة ورقابتها ومسئوليتها عن مجريات الامور ونفرض الوصايا على الناس ؟ لماذا لا نطبق النظام الاخلاقى القائم على التربية والفضيلة دون الاثارة والحرمان ، ننادى بالاسهل ونترك الاصعب ، ونترك الجماهير ونستعدي السلطان على الناس !

٥ — تقوم الشريعة الاسلامية على أداء الامانات أولا ثم تطبيق الحدود ورعاية الحقوق ثانيا • وأداء الامانات يأتى فى الولايات والاموال • فمن ناحية الاولوية تأتى السياسة والاقتصاد قبل القانون أى أن تحرير الارض والتنمية لهما الاولوية المطلقة على الحدود التى هى حق الله أى النظام الاسلامى يعطى حقوق الانسان أولا قبل أن يعطى حقوق الله •

٦ — واذا كان لابد من تطبيق الجزء قبل الكل خوفا من الكل واستئسادا على الجزء أليست النظافة من الايمان وبيوتنا وشوارعنا على ما هى عليه ؟ أليس السلوك الخلقى العام أيضا دون بذاءة القول من الاسلام ؟ أليس توفير الخدمات للناس ، وسهر الحاكم على مصالحهم لا طعام الجائع وكسى العار ، من الدين ؟ أليست العمولات على مشتريات الدولة نهبا لاموال المسلمين ؟ أليس الرقص الشرقى قبل الاذان أو بعد القرآن فى أجهزة الاعلام وأخبار نجوم الاغراء وتفسير القرآن على صفحتين متقابلتين فى صحافتنا خروجا على الحياء ؟ نستمتع بالدنيا ونتستر بالدين !

٧ — قبل مطالبة الامة بتطبيق حدود الله علينا اعطائها حقوقها ، وقبل مطالبة الفرد بالقيام بواجباته علينا اعاطته حقوقه • فمن حقوق

المسلم العمل لا البطالة ، والكفاية لا الحاجة ، والتربية والفضيلة لا الاثارة والجرمان ، ودرأ الشبهات لا تعريض الناس لها • يتم تطبيق قانون العقوبات أى الحدود فى حالة اقامة الشريعة الاسلامية ، فاذا انحرف سلوك الناس عن نظامها جاء دور العقوبات • فتطبيق الشريعة يأتى أولا والحفاظ عليه بالحدود يأتى ثانيا • فالعقوبات نتيجة وليست مقدمة ، نهاية وليست بداية •

٨ — والحدود الاسلامية ليست قوانين صورية بل هى أوضاع اجتماعية سماها الصوليون « أحكام الوضع » لا يطبق الحد الا اذا كان السبب والشرط موجودين والمانع غائبا حتى يصح تطبيق الحد • فالجوع والبطالة والمال بلا رقابة موانع من تطبيق حد السرقة • والاثارة والجرمان وغياب التربية موانع من قيام حد الرجم • وايقاف عمر تطبيق حد السرقة عام المجاعة أشهر من أن يذكر •

٩ — ولماذا نطبق نصف الحد أو ربه ؟ ألم يلعن الله شارب الخمر ، وساقياها ، وصانعيها • فكيف تقدم الخمر فى بلد مسلم ؟ لبس المقصود هو الشارب فقط ، بل الساقى والصانع وصاحب المتجر • أليس كل هؤلاء مسلمين ؟ ولماذا نطبق الحد على مسلم دون آخر ؟ أليس السائح العربى مسلما ؟ ولماذا لا تطبق الشريعة على الحاكم قبل المحكوم ؟ ألم يقل الرسول « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » عسى ألا نطبق الحدود فى الضعفاء ونترك الشرفاء !

(ي) الوثنية الجديدة :

يخطيء من يظن أن الوثنية هي عبادة الاصنام فحسب ، اللات والعزى وهبل وغيرها ، فهذه هي الوثنية الصريحة التي لم يعد يؤمن بها أحد . ولكن هناك وثنية أخرى مقنعة أخطر من الاولى ، لا يراها أحد ، ولكنها تستشري في النفوس ، وتهدد حياتنا وتهدم ديننا ، وتجعلنا مثل عبدة الاصنام . وتبدو مظاهر هذه الوثنية الجديدة في الآتي :

١ - التأنق في طبع المصاحف ، وتغليفها بالقطيفة الحمراء الموشاة بماء الذهب الاصفر ، ووضعها في صناديق مطعمة بالصدف كقطع أثرية أو معروضات سياحية بجوار « الشيشة » الشرقية وتمثيل نفرتيتي وأبو الهول ، وصور بائع العرقسوس والملاية اللف ، وتبادلها في المناسبات . فلا يوجد أمير أو وال أو حاكم في البلاد الا ونال منها العشرات في الاعياد الدينية والوطنية يزين بها مكتبه أو منزله أو ناديه بجوار كؤوس النصر ودروعه ونياشينه ووثائق الدم الاحمر ، وما من وال قد قرأها أو فتحها بل وضعها الكل في عرباتهم وراء الزجاج الامامي أو الخلفي تقيهم العين وتمنع عنهم الحسد وتكثر عليهم الرزق ! لقد أصبحت تجارة حقا ، رابحة عند الناس وخاسرة عند الله ، تقوم بها بعض دور النشر التي عجزت عن نشر الثقافة فتخصصت في الاتجار بالمصاحف والتأنق في عرضها .

ليست المصاحف ولا الكتب المقدسة للزينة أو هدايا نقدمها للولاة

والحكام اعلانا عن تأييد مصطنع أو مغالاة في اظهار ولاء ، بل تحتوى على فكر يتشله الناس ، ويصبح تصورهم للعالم ، وعلى منهج عملى يصلح حال الناس ، ويغير واقعهم ، فالمصاحف والكتب الدينية مقدسة بما تحتويه من برامج ثورية لمجتمعات العصر ومشكلاتها الكبرى وعلى رأسها التخلف والاحتلال ، وليست مقدسة بمادتها وطباعتها • وقد فرق القدماء بين كلام الله الازلى وهى المعانى المحفوظة فى الصدور وهى المبادئ الشاملة التى بها قوام الحياة وبين كلام الله الحادث وهو المكتوب أو المقروء أو المسموع الذى نتقن فى ابراز مفاتنه بالصوت أو بالحرف ، ونكون حينئذ « كالحمال يحمل أسفارا ! » •

٢ — طبع اسم « الله » أما على أوراق ملونة مزركشة نزين بها جدران منازلنا أو حوائط مكاتبنا بجوار صور الولاة أو فوقها أو أمامها مما يشير الى طاعتنا لله ولاولى الامر على حد سواء ، أو حفرها على قطع من البلاستيك نعلقها فى عرباتنا أو كحلى نحيط بها رقابنا ، وتتدلى على صدورنا ، ابرازا لمهارتنا فى فنون الطباعة أو لقدراتنا فى صناعة البلاستيك أو تجارة رابحة يضمن بها التجار الربح مادام رجل الشارع يدين لهم بالولاء • وفى نفس الوقت نصيح « تعالى الله عما يصفون » ، ونعظ الناس بأن الله ليس كمثله شئ ، لا تدركه الابصار • كما نضع فى كثير من مساجدنا فى ركنيها الرئيسيين على جانبي المنبر لوحين الاول « الله » والثانية « محمد » وكلاهما على نفس المستوى من الكتابة والزخرفة والتعليق وكأنها بقايا نفيسة من معلقاتنا السبع القديمة التى كانت تتشر فوق جدران الكعبة • كما نعلق على مساجد أخرى ، على أركانها الاربعة لوحات أربع أخرى « عمر » ، « أبو بكر » ، « عثمان » ، « على » ، وهم بشر فانون مع

« الله » الذى يتصدر المحراب بالنور ، وهو الخالد الابدى • وهى
يتم ذكر الله على هذا النحو الوثنى أم بالدفاع عن المبادئ التى
أعلن عنها الوحي ، وبتطبيق الشريعة التى فيها مصالح الناس ، وذكره
فى القلب ورعا وتقوى « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » •

٣ — تشييد المساجد والحفر على جدرانها الداخلية بآيات من
القرآن الكريم تتشابه فيها الحروف ، وتكثر فيها الزينات حتى
تستحيل قراءتها أو استذكارها ، وعلى جدرانها الخارجية بالنور
الاخضر وعلى أكشاك السجائر المقابلة مثل الدعاية والاعلان ! وقد
كان مسجد الرسول على الحصى وبلا جدران • كما أن الارض جعلت
لنا مسجدا طهورا « وأينما تولوا فثم وجه الله » •

ونضى المساجد ، ونغلف المآذن بالمصابيح وحولها أكوام من
النفائات ، وبداخلها دورات مياه لا تتوافر فيها شروط الطهارة ،
وحصر نضع عليها أحذيتنا وجباهنا • كما نتجمل فى صناعة سجاجيد
الصلاة ونتحلق فى صناعة المسبحات ، ونطيل الذقون ، ونلبس
البياض ، ونتمتم بالقرآن ، ونكر من الطيب ، وننشر البخور وقت
الصلاة داخل المساجد وفى البيوت ، ونعلى من صوت القارئ فى
مكبرات الصوت والناس تلهو • وتصبح أحياءنا الشعبية التى تكثر
من هذه المظاهر أحياءنا الدينية !

٤ — ونقرأ على عربات النقل : ما شاء الله ، سبحان الله ، يا
صلاة النبى ، يا نور النبى ، باسم الله مجريها ومرسيها ، فى أمان
الله ، ومع سلامة الله كل ذلك بجوار يا حلوة • يا زين ، يا جميل

يا أسمر ، وكأن كتابة هذه الشعارات الدينية تحفظ من مخاطر الطريق
وتقى العين ، وتبدر الريح ، وفي نفس الوقت ينام السائقون ليلا ،
ويتعاطون الحشيش ولا يحترمون قواعد المرور ، وتكثر الحوادث ،
ويموت الناس رغما عن الشعارات المكتوبة •

وعلى عربات الطعام المتجولة ، وفوق أكشاك الخضار والفاكهة
نجد أيضا في جميع الأركان الله ، كبدة ، محمد ، مخ ، أبو بكر ، كباب ،
عمر ، كفتة ، مما يدل على اختلاط إيمان الناس بحياتهم اليومية ، وإن
هموم الآخرة وهموم الدنيا قد تثاقلا معا على أكتاف الناس • فالى
متى سنظل عبدة الأوثان الجديدة ؟

(ك) للمخطيء أجر .. وللمصيب أجران :

لقد أصبح الاتهام بالردة أو بالكفر سلاحا مشهرا هذه الايام على كل من تفوه بكلمة أو قال برأى في الدين ، وأصبح استتفار الناس على الرجم وحرق البيوت واستعداد السلطة لاهدار الدماء جزاء كل مجتهد أخطأ أم أصاب ، ثم نبكى على ما وقعنا فيه من تقليد ، ونعاتب من أغلق باب الاجتهاد ! وكأننا لم نع بعد حرية الفكر وغير حريصين عليها ، وتريد تسليم أنفسنا للسلطان كما كنا نفعل من قبل .

١ — لقد ظهر مقال « مع القرآن من جديد » ، ترتيب جديد للصور في المصحف الشريف « في فبراير الماضي ، وكان حماة الاسلام صامتين اما لانهم لا يدرون ما يدور حولهم وهم أهل الفتيا في الديار ، واما لانهم كانوا يدرون ولم يروا في الرأي غضاظة الا بعد أن انضم كاتب المقال الى التنظيم اليساري الشرعى في البلاد ، وأصبح الهجوم عليه وعلان رده جزءا من الحملة المنظمة الشعواء على اليسار ، واتهامه بالكفر والالحاد .

٢ — كان الاجدى بأهل الفتيا قبل اصدار حكم الردة الاطلاع على المقال نفسه بدلا من الاعتماد على تعليق أحد مهاجميه . ومن تقاليد علماء أصول الدين القدماء عدم أخذ مقالات الاسلاميين وآراء الفرق عن معارضيتها ومخالفاتها تأكيدا لامانة النقل وحرصا على صدق الرواية .

٣ — لم يأت الكاتب بدعة بل أعاد اجتهادا قديما وحديثا في آن واحد ، له مؤيدوه ومعارضوه ، فهو جزء من التراث . فلماذا لم يتم اعلان كفر الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني شيخ المقاريء المصرية في اعادة ترتيبيه لسور القرآن معتمدا على دراسات حفنى ناصف ، والشيخ أحمد الاسكندري ، والشيخ مصطفى عنان ، وكان كاتب المقال وحده ، لسبب ما ، يتحمل أوزار الناس أجمعين !

٤ — لم يأت الكاتب بدعة بل أعاد ما هو معروف في علوم القرآن وفي علم أصول الفقه من نزول القرآن منجما على ثلاثة وعشرين عاما . ولا يشك أحد في أن « أسباب النزول » تعنى أن الوحي الاسلامي نداء من الواقع وليس فرضا عليه ، فالواقع أسبق من الفكر من حيث مناهج التغيير الاجتماعي وحصر المشكلات وطرق التفسير . فتحریم الخمر كانت بدايته في واقعة سكر ، والحجاب كانت بدايته في واقعة التعرف على نساء الرسول ، فلا يوجد حكم إلا وله بداية في واقعة .

٥ — ولا يشك أحد في أن وجود النسخ والمنسوخ يعنى التدرج في الاحكام من اللين الى الشدة (تحريم الخمر) أو من الشدة الى اللين (المحاسبة على أعمال الجوارح فقط دون أعمال القلوب) طبقا لقدرات الانسان ، وحسب درجة استقلاله الفكري والارادى . قاعدة التدرج هي قاعدة النسخ ، أما قاعدتا الاطلاق والتعقيد ، والتخصيص والتعميم فهما من مباحث الالفاظ في علم الاصول وليس من مباحث القرآن .

٦ — لم ينكر الكاتب الترتيب الحالي للسور ولكنه تساءل عن ضبطه على هذا النحو ان لم يكن بتوقيف ، والتساؤل ممكن ، والاجابة

ضرورية . فاذا كان الترتيب الحالى توقيفا من عند الله آمنا به ، واذا كان اجتهدا كما يقترح كاتب المقال طالبناه بالدليل . واذا كان الترتيب التاريخى للسور راجحا والترتيب الحالى مرجحا طالبناه أيضا بالدليل . والمطالبة بالدليل شئ والالتهام بالردة شئ آخر .

٧ — هناك فرق بين « قرآن العبادة » و « قرآن التشريع » ، فالاول للتلاوة ، والثانى للاحكام . وهناك من الآيات ما نسخت أحكامها ولم تنسخ تلاوتها . فالقرآن المرتب ترتيبا تاريخيا قرآن تشريع وليس قرآن عبادة ، وهو مثل المعاجم المفهرسة لالفاظ القرآن الكريم أو غيره من المناهج والدراسات على القرآن ولكنه لا يكون مصحفا بل دراسة فى أحكام التشريع . ويجوز فى قرآن العبادة قراءة المدنى قبل المكى ، والسور الطوال قبل القصار ، وسورة البقرة قبل سورة الناس ، والوسط قبل البداية أو النهاية . فكله عبادة . وقد كنا نقرأ فى المدارس جزء « عم » ثم جزء « تبارك » ثم جزء « قد سمع » . ولا يعنى ذلك قراءة القرآن من اليسار الى اليمين . ليس كل قارئ للقرآن يبنى تشريعا منه فذلك عمل الفقهاء . وقراءة عامة المسلمين هى قراءة عبادة لا قراءة تشريع . ولا ضير أن يقرأ كل مسلم القرآن قراءة تاريخية دون ما حاجة الى طبع مصحف جديد .

٨ — ولماذا قصر ترتيب الآيات فقط على التوقيف دون ترتيب السور ؟ اذا كان المقصود هو ترتيب القرآن كله حسب ميقات النزول فلا فرق فى ذلك بين الآيات والسور فكل سورة لم تنزل كلها مرة واحدة انما نزلت آياتها مفصلة أحيانا . فما الحكمة من التوقيف .

٩ — قد تكون الحكمة فى ترتيب السور على هذا النحو التأكيد

على ان كل ذلك وحى من الله ، وان التصور العام للحياة لا يتطور بتطور التشريع ومن ثم فيمكن قراءة المدنى قبل المكى • وقد تكون الحكمة فى ادخال الآيات المدنية فى السور المكية أو آيات المكية فى السور المدنية هو التأكيد بأنه لا فرق بين العقيدة والشريعة ، بين التصور والنظام • وان كليهما متداخلان ، ينبع أحدهما من الآخر فى رباط عضوى داخلى • فيمكن تفسير المكى بالمدنى ، فالتفسير يبحث عن المعنى والدلالة وليس عن الاحكام • فلا ريب أن يفسر الانسان أحد ببدر ، ومجتمع المدينة بمجتمع مكة • فالتاريخ لا يعنى بالضرورة التالى فى الزمان بل يمكن للحاضر أن يفسر الماضى •

١٠ — ان العرف مقياس من مقاييس الشرع • وقد تعارف الناس على مدى أربعة وعشرين قرنا على هذا المصحف الشريف بترتيب سورته وآياته ، وان وضع ذلك موضع التساؤل يكون خروجا على العرف • وقبول العرف شىء ورفض التقليد شىء آخر •

١١ — قد تسبب هذه الدعوة الاجتهادية فى نشأة مصاحف كثيرة • بترتيبات مختلفة مع تطور البحوث والدراسات حول القرآن ، وبالتالى تكون لدينا عدة مصاحف بعدة ترتيبات • وينشأ الخلط ، ويعمم التشويش ، مرة فى ترتيب السور ، وأخرى فى ترتيب الآيات ، وثالثة فى الزيادة والنقصان ، ورابعة فى القرآن كله وبذلك يفقد القرآن ميزته على سائر الكتب المقدسة وهى صحته التاريخية وتواتره الذى يعترف به علماء الشرق والغرب على السواء •

١٢ — ان التجديد لا يكون فى المسائل النظرية الا اذا نتج عنها

أثر عملي في حياة الناس • وقد كان الهدف هو معرفة ما أحدثه القرآن من ثورة فكرية واجتماعية ومناهج في التغيير والاصلاح • ويمكننا معرفة ذلك من خلال أسباب النزول و « الناسخ والمنسوخ » ، وعلم أصول الفقه ، والشريعة الاسلامية دون ما حاجة الى طبع مصحف جديد • ان قضية ملكية الارض في الاسلام وفي مصر لمهى أكثر جدوى ، واعطاء « الارض لمن يفلحها » لهو أكثر نفعا • واقامة المجتمع الاسلامى اللاتبقى هو في نهاية الامر مناط التجديد •

(ل) الاسلام والمعارضة :

(انه لمن دواعي العجب أن تتحول الامة التي تقيم نظامها السياسى على حقها فى المعارضة السياسية الى أمة مستكينة وظيفة أهل الحل والعقد فيها تبرير السلطة القائمة والتخوف منها والسعى وراءها والحرص على مناصبها فى حين أن « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » هو شعار الامة) .

المعارضة السياسية هى جوهر النظام السياسى الاسلامى والتي عبر عنها القرآن فى آية « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهو شعار الامة الاسلامية وسلوك أهل الحل والعقد ، وحق الرعية على الراعى ، والذي أصبح عند المعتزلة أصلا من أصول الدين ، وفى الفقه بابا من أبواب الأحكام السلطانية ونظاما للحسبة . وقد ذكر القرآن هذه الآية فى تسعة مواضع مركزا على الحقائق الآتية :

١ — انه هو السبب الوحيد الذى من أجله تصبح الامة الاسلامية خير أمة أخرجت للناس « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » (٣ : ١١٠) . فالأفضلية هنا لا ترجع الى النسب أو الحسب ، الى العصب أو العرف ، الى الغنى أو الملك ، الى الارث أو الميراث بل ترجع أساسا الى قيام الامة بالارتعابة على الدولة وممارستها لحقها فى المعارضة السياسية ، ووجوب الدفاع عن

المصالح العامة • فالتوحيد لا بد وأن يتحقق في فعل الخير للناس عن طريق النصيح وإعلان الحق ودحض الباطل • الأمة الإسلامية تفكر بصوت مرتفع يسمعه القاصي والداني الحاكم والمحكوم ، ولا تخشى في الله لومة لائم •

٢ — انه أمر الهى نصدغ به « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (٣ : ١٠٤) • وليس مجرد اختبار ناشئ عن مزاج أو هوى • هو فرض لا نافلة ، وواجب لا ندب على كل قادر ، والتخلى عنه يوقع تحت طائلة العقاب • فهو ليس شغبا أو عمالة أو حقدا أو كراهية بل طاعة لأمر الهى تقوم به القلة القادرة • فهو فرض كفاية على المسلمين • لذلك كانت المعارضة السياسية دائما تتم بالقلّة ، وهى الطليعة الواعية التى تبغى الصالح العام • ولا يضرها النقص فى الكم من حيث العدد لأنها هى التى تعبر عن الكيف •

٣ — انه شرط الايمان بالله والطريق اليه « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٣ : ١١٠) • فالايمان بالله ليس مجرد قول أو نية أو عمل فردى بل هو عمل جماعى يؤثر فى حياة الناس • الايمان اذن طريق محفوف بالمخاطر ، وثمن لا بد من دفعه وهو الاعلان عنه أمام الملأ • فالمعارضة السياسية لا تكون سرية لان الايمان واضح جلى لا يخفى على أحد • ومن ثم وجبت المجاهرة بالمعارضة كمجاهرتنا بالتوحيد أن لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق • وهو أيضا نتيجة للايمان وظهور له فى حياة الناس « يؤمنون بالله

فالايمان لا يكون ميتا بل حيا ولا يكون داخليا بل خارجيا يوجه حياة الناس .

٤ — هو ما يميز مجتمع المؤمنين عن مجتمع المنافقين « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (٩ : ٧١) . فالعلاقات الاجتماعية القائمة على الايمان هي علاقات النصح المتبادل والتوجيه المشترك . أما مجتمع النفاق فانه يقلب الحق باطلا والباطل حقا « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف » (٩ : ٦٧) . فيزين للقوم المنكر وينفروهم من المعروف . فالمعارضة السياسية بغية الصالح العام هي أساس مجتمع ايمان . أما تبرير السلطة القائمة دفاعا عن الصالح الخاص فهو أساس مجتمع النفاق .

٥ — انه لا يقل عن الصلاة ، وهي ما تميز المؤمن عن غير المؤمن « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة » (٩ : ٧١) . هي صلاة اجتماعية تهدف الى ما تهدف اليه الصلاة من النهي عن الفحشاء والمنكر والبغى ، تمنع الخوف ، وتخرج عن البصمت ، وتجهر بالقول ، وتذهب بالنفاق والادارة . فالمعارضة السياسية أشبه بصلاة المؤمنين وليست خروجاً على الطاعة لله وللرسول ولاولى الامر منا ، وأذان الصلاة ، الله أكبر ، يحوى فى داخله أكبر قدر من المعارضة لكل متكبر جبار يجعل نفسه كبيرا للقوم .

٦ — لا يكفى الانسان أن يكون تائبا عابدا سابحا راکعا ساجدا ، بل ان يكون آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر . « المؤمنون سجدون

الحامدون السابحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله » (٩ : ١٢٢) • فأفعال العباد الاولى فردية في حين أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هي العبادة الجماعية التي ترعى حدود الله وتحرص على قيامها • فالمعارضة السياسية الجماعية من خلال حزب للمعارضة يدافع عن حقوق المسلمين ويبين واجبات الحكم هو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، أي ممارسة شرعية دفاعا عن حقوق المسلمين •

٧ — انه دعوة للخير وليس شغبا أو حقدا أو فسادا أو تخريبا في الارض » يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات » (٣ : ١١٤) فهو دعوة من أجل الخير وليس من أجل الشر ، من أجل الحلال وليس من أجل الحرام ، من أجل الطيبات وليس من أجل الخبائث » يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحث لهم الطيبات » (٧ : ١٥٧) • فالمعارضة السياسية تهدف الى الصالح العام والى تعميم الخير والى المشاركة في الغنم والجرم وليس الى تعميم الفقر وسد الرزق ، والحد من النشاط وتكبير المجتمع بقوانين الردع والعقوبة •

٨ — هو شرط التمكين في الارض والبقاء فيها وتعميرها بعد الصلاة والزكاة » الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » (٢٢ : ٤١) اذ تنهار المجتمعات عندما لا تنتهي عن المنكر ولا تأمر بالمعروف فتسود الرذيلة وتذهب الفضيلة » كانوا لا يتقاهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا

يفعلون » . فالمعارضة السياسية هي وسيلة الإبقاء على نظام الدولة ،
والقضاء على المعارضة انهيار للدولة وسقوط للنظام .

٩ — انه لا بد أن ينتج عنه مكروه وأذى للذين يقومون به اذ
يقول لقمان لابنه وأعظا اياه « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه
عن المنكر واصبر على ما أصابك » (٣ : ١٧) . وهذا هو ما يجعل
المعارضة في كل نظام تتحمل كل صنوف الاذى والقهر من السلطة
القائمة . فكيف يخشى الناس المعارضة وهم يأمرُونَ بالمعروف وينهون
عن المنكر !

(م) ذهب المقصورة .. وجوع الفقراء !

طالعنا الصحف ووكالات الانباء بتركيب مقصورة من ذهب للسيدة زينب رضى الله عنها وتصفها مجلة أكتوبر كالآتى :

« المقصورة مصنوعة من رقائق الفضة ، وتكلفت ٢ مليون دولار ، ومصنوعة على الطراز الفاطمى ، ومطلية بالذهب فى أماكن متفرقة منها ، وزن الفضة بها أكثر من طن ، وهيكلها الحديدى يزن خمسة أطنان ، ترتكز على قاعدة تزن ١٠٠ كيلو جرام من الفضة ، يتكون الجزء الاسفل من الرخام الفاخر ، القبة الفضية زنتها ٣٠٠ كيلو جرام ، ويعلو القبة هلال من الذهب ! » .

والاغرب من ذلك أن يتم هذا أمام سمع وبصر علماء المسلمين فى مصر ، رئيس جامعة الازهر ، ووكيل وزارة الاوقاف ، كما يتم بموافقة وتأييد أولى الامر ، ويتم النقل بطائرة حربية مصرية والافتتاح على مرأى من ملايين المسلمين فى أجهزة اعلام . اننا نلاحظ الآتى .

١ — أن هذه الاموال الطائلة كانت كافية لاطعام آلاف من المسلمين الجياع فى الهند وبها خمسون مليوناً من المسلمين ، ويضرب

الاهلى ١٩٧٨/٢/٨ وقد حذفت الجريدة فقرتان : الاولى فى المقدمة عن عدم جواز بناء مساجد على قبور الانبياء والاولياء واشارة الى الوهابية . والثانية فى الخاتمة « فأيهما أولى بالرعاية ، الاموات فى مقصورة السيدة أم الاحياء على باب السيدة ؟ » . وبعد الحذف من المقال السابق ومن هذا المقال والتردد فى نشر باقى المقالات انقطعت عن الكسبة فى « الاهلى » ..

بهم المثل في الفقر في العالم وفي انحطاط مستوى المعيشة ، أو في مصر
بإقامة المستشفيات أو بناء المدارس أو رصف الطرق أو تشييد المساكن،
أو تجديد شبكة المياه الجوفية • وهل يقبل الله مقصورة ذهب بيتا
للاموات بجوار أكواخ طين يعيش فيها الفقراء ؟

٢ — ان الذهب والفضة محرم على المسلمين من الرجال استعمالها
في اللباس أو الزينة بنص الحديث « حرم لبس الحرير والذهب على
ذكور أمتي » وغيره من الاحاديث المتواترة • فإذا كان حراما على
الاحياء فان الاموات يكونون أولى بالحرمة ، فلا زينة للاموات • وان
اكتنازهما محرم بنص القرآن « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم • يوم يحمى عليها في
نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم
لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون » (٩ : ٣٤ — ٣٥) • فتكديس
هذه الاطنان من الذهب والفضة دون انفاقها في الصالح العام حرام
بنص القرآن • أما بالنسبة للنساء فالأولى انفاقها في تجهيز جيوش
المسلمين في حالة الحرب والاعتداء على أراضي المسلمين وهو حالنا
الآن •

٣ — ان بيوت الذهب والفضة هي بيوت الكفار لا بيوت المسلمين
فالله يعد الكفار بسقف من فضة « لجعلنا لمن يكفر بالرحمن سقفا من
فضة ومعارج عليها يظهرون » (٤٣ : ٤٤) • انما بيوت المسلمين
تلك التي تؤسس على التقوى والصلاح •

٤ — ان الذهب والفضة لن يغنيا عن العمل الصالح ، ولن يزيدا

السيدة زينب رضى الله عنها كرما وطهرا ، ولن يزيدنا نحن قريبا ولا صلاحا •

٥ — ان التتعم بالذهب والفضة لا يحدث في هذه الدنيا ، انما يعد الله به المؤمنين في الآخرة : أساور من ذهب وفضة في أذرع المؤمنين وصحاف من ذهب يأكلون منها ، وآنية من فضة يطفأ عليهم بها ، وقوارير من فضة يشربون منها ، ولكن ليس زينة للاموات أو فرحا للاحياء يسر بها الناظرون •

٦ — ان تكريم السيدة زينب رضى الله عنها لا يتأتى بتغطية قبرها بقباب بالذهب والفضة ولكن بأخذها قدوة للسلوك ، ونموذجا للفداء ، وقائدة لمقاومة الظلم والطغيان وعلامة على الشهادة في سبيل الله ، وتمسكا بالشرعية ورفضاً لكل أنواع الاغراء ودفاعاً عن حقوق الفقراء في أموال الاغنياء ، واصرارا على العودة الى النبوة والخلافة بعد أن تحولت الى ملك عضود •

٧ — ويتم ذلك بحضور علماء المسلمين وبمساعدة أولى الامر ، والدين والنصيحة ، لله وللرسول ولائمة المسلمين وعامتهم • ولم نسمع أحدا من علماء المسلمين يقوم بها وكأن حب الذهب والفضة عند المترفين والمحرومين على السواء جعل الجميع صامتا عن دين الله « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا • والله عنده حسن المآب » (١٣ : ١٤) •

(ن) هل تجوز الصلاة في الدار المغصوبة ؟

عرض علماء أصول الفقه لهذا السؤال وهم بصدد البحث عن استحالة الجمع بين الحظر والوجوب في فعل واحد من جهة واحدة لتقابل حديهما الا على رأى من يجوز التكليف بالمحال ، وهو باطل باجماع الامة . والخلاف هل يجوز انقسام النوع الواحد من الافعال الى واجب وحرام من جهتين كوجوب الفعل المعنى الواقع في الدار المغصوبة من حيث هو صلاة وتحريمه من حيث هو غضب شاغل للملك الغير .

قال الجبائي وابنه أبو هاشم والقاضي أبو بكر وأحمد ابن حنبل وأهل الظاهر والزيدية وقيل انه رواية عن مالك . وقالوا : الصلاة في الدار المغصوبة غير واجبة ولا صحيحة ولا يسقط بها الفرض ولا عندها ووافقهم على ذلك القاضي أبو بكر الا في سقوط الفرض فانه قال يسقط الفرض عندها لا بها مصير أمنهم الى أن الوجوب والتحريم انما يتعلق بفعل المكلف لا بما ليس من فعله ، والافعال الموجودة من المصلى في الدار المغصوبة أفعال اختيارية محرمة عليه وهو عاص بها مأثوم بفعلها ، وليس له من الافعال غير ما صدر عنه ، فلا يتصور أن تكون واجبة طاعة ولا مثابا عليها متقربا بها الى الله لان الحرام لا

قدمت هذه الفتوى الى جريدة « الاهلى » بعد زيارة القدس في نوفمبر ١٩٧٧ ورفضت « الاهلى » نشرها ، ولما أصررت على النشر والتصويت عليها في مجلس المستشارين لم تنل أغلبية الاصوات . وكان هذا آخر عهدى بجريدة « الاهلى » في ١٩٧٨ .

يكون واجبا ، والمعصية لا تكون طاعة ولا مثابا عليها ولا متقربا بها مع أن التقرب شرط في صحة الصلاة .

(الآمدى : الاحكام فى أصول الاحكام ج ١ ص ٥٩ ، صبيح) .
الواحد بالتعيين كصلاة زيد فى دار مغسوبة من عمرو فحركته فى الصلاة فعل واحد بعينه هو مكتسبه ومتعلق بقدرته . فالذين سلموا فى النوع الواحد نازعونا فقالوا لا تصح حتى الصلاة اذ يؤدى القول بصحتها الى أن تكون العين الواحدة من الافعال حراما واجبا وهو متناقض (المستصفى ج ١ ص ٧٧ ، الحلبي . بادشاه : تفسير التحرير ج ٢ ص ٣٧٠ — ٣٧١) .

أحاديث في اليمين واليسار في الفكر الديني

(١) من الاخوان المسلمين مع اليسار .. ومن اليسار مع الدين :

روز اليوسف ١٩٧٦ وأجرى الحديث عبد الله امام وصدره بالفقرة الآتية :

اعترض على طريقتي في اجراء الحوار عندما قلت له انه ليست عندي أسئلة محددة أوجهها اليه ، وكل ما أريده هو أن اتعرف عليه وناقشه .. وندي لذلك مفتاح واحد ، هو موضوع الدين والتقتيم . وموضوع الرأسمالية والاستغلال .. وقال الدكتور حسن حنفي أن هذا ليس منهجا سليما في الحوار فلا بد أن تكون لدى أسئلة محددة ومكتوبة بدقة ، حتى يستطيع أن يجيب عليها . والحقيقة انه كان على حق .. وكنت على حق أيضا . فليس من الممكن أن أواجه مفكرا دون أن يكون لدى ما أريد أن أحاوره فيه .. كما أنه لم يكن من الممكن أيضا أن أعد أسئلة معينة لرجل كل المعلومات التي دفعتني للتعرف عليه — ومعذرة — هي بضع مقالات في الصحف .. أغلبها فلم !

وحدثني عنه أيضا ابنتي التي تدرس الفلسفة ، فهو كما يصف نفسه في مدرج الجامعة « فقيه » .. يترك مقعده على منصة الاستاذ في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، مرة كل اسبوع للطلاب ليتحاوروا ويتحدثوا .. وينتقدوا .. معبرين عن رأيهم « فالحوار المفتوح بين كل التيارات — في رأيه — هو الذي يخدم قضية الديمقراطية والحرية في مصر ، ولقد أضر بالجامعة الخواء الفكري الذي عشناه نتيجة انعدام الديمقراطية ! » وليس من المهم أن يعتنق الشاب أى موقف فكري ، المهم أن يكون صلاقا وأميناً ، وأن يكون له مذهب وعقيدة .. وتأتى المرحلة التالية بعد ذلك ، وهي الحوار بين هذب المذاهب .. ليبقى الاصلح منها .

ومن هنا فان تجربة المنبر رائدة ، وينقصها أن يكون لكل منبر صحيفة تعبر عنه ، وأن تكون السلطة في حياد تام بينها ، وألا ينحاز رئيس الجمهورية لمنبر دون آخر ، بل يظل أبا للجميع وربما للأسرة . لقد شجعني هذا الذي سمعته عنه ، أن أطرح أفكاره للمناقشة العامة .. بكل ما فيها من جرأة وجدة .. وكل ما أتمناه هو أن يقابلها من يريد مناقشتها بوقار العلم ، لا بتهريج المعارضة العمياء التي ترفض أن يفكر الناس .

- الملكية في الاسلام لله وحده .
- ساعة علم خير من عبادة الله سبعين عاما .
- التفسير العصري للقرآن ... يعنى التفسير الاجتماعى والاقتصادى .
- التفسير الرجعى والرأسمالى للدين تختفى وراءه عوامل الاستغلال .
- لماذا كان فقراء مكة من أول المؤمنين بالاسلام وكان الاغنياء أول من حاربوه ؟
- هل يفسر الدين لصالح أقلية مستغلة أم لصالح الناس ؟
- لا يجوز احتكار تفسير الدين .

قابلت ابن باب الشعرية الدكتور حسن حنفى حسنين استاذ الفلسفة في منزله بمصر الجديدة فهو لا يغادر مكتبته الا الى الجامعة أو نادى السينما مساء الاربعاء ! وكانت بداية اللقاء غير مشجعة ، فقد صدمته طريقتى « غير العلمية » ، ولكن سرعان ما ذاب هذا الشعور ، عندما سألته عن رسالته للدكتوراه التى حصل عليها من جامعة السربون .

رسالته للدكتوراه كانت حول مناهج التفسير .. وكان آخر من حصل على تأشيرة دخول لفرنسا قبل عدوان ١٩٥٦ ، وقطع العلاقات مع فرنسا ، ورغم ان البعثة كانت مقررة على نفقة الدولة ، الا أنه دبر حيله ، ورحل على نفقته فقد أحس أن حربا يمكن أن تنشب فتؤجل

نعتته الرسمية ! وبدأ يكتب في المنهج الاسلامى ، وقرأه معظم المستشرقين ، وعديد من الفلاسفة ... فقد كانت البداية في تفكيره أن يعبد بناء علم أصول الفقه القديم ، بأبعاده التاريخية ، والفكرية ، والعملية . وقال المستشرقون أنها فاتحة عهد جديد في الدراسات الاسلامية منذ جمال الدين الافغانى ، ومحمد عبده . وهو ما ينبىء عن متاعب لابد أن يلقاها كل من أراد أن يجتهد ويفكر في أمور الدين .

● لماذا اخترت موضوعا اسلاميا لرسالتك ؟

لانى نشأت في الجامعة المصرية ، وفي حضان الاخوان المسلمين ، والفكر الدينى الاصلاحى في وقت كانت المشكلة الثقافية المطروحة في مصر هى محاولة تجديد الاسلام ، وكان السؤال المطروح هو : هل يصلح الاسلام كمنهج عام للانسان في كل عصر ، وزمان ؟ وبدأت أكتب عن المنهج الاسلامى العام ، وخاصة أن كلمة منهج موجودة في القرآن .. وفي تلك الفترة كنت متأثرا جدا بمقالات ، ودراسات سيد قطب .

ولا أعتقد أنه يوجد شاب مصرى الا وهر بجماعة الاخوان المسلمين ، فهى تمثل اختيارا أصيلا في مجتمعنا .. واذا أعيدت الآن .. طبعا أنضم اليها .. ولكن دعنى أحدد لك موقفى الفكرى بوضوح . أنا أمثل تيار اليسار الدينى . وأنا مستعد لان أعمل مع أى جماعة أو تنظيم أو حزب يفسر الدين تفسيراً تقدمياً لصالح الجماهير الاسلامية .. فأنا لا أفكر في مصر وحدها .. بل أفكر في فقراء الهند ، وبنجلاديش ، ومالى ، وتشاد ، وفي أوضاع المسلمين

بوجه عام ، حيث تركز أموالهم في يد الاغنياء • والغريب أن مشكلة الثراء تحدث في بلاد الاسلام ، وفيها ما يسمى بعائدات البترول ، ومشكلة الفقر تحدث أيضا في بلاد الاسلام ، وفيها ما يسمى بالمجاعة ، وسوء التغذية والفيضانات • ومن هنا فإذا قامت جماعة الاخوان المسلمين من جديد ، فسأكون في الجناح اليسارى فيها ؛ وإذا أنشئ تنظيم يسارى فسأكون في الجناح الدينى فيه ••

● القضية التى تشغل الدكتور حسن حنفى هى اعادة تفسير القرآن الكريم •

لان في هذا خدمة لقضية العدالة الاجتماعية ، ضد الفوارق بين الطبقات •• خدمة للتنمية ضد التخلف والاستقلال ضد الاحتلال •• ولحسن الحظ فان الاسلام يسمح بذلك ، فقد أتى للدفاع عن مصالح الجماهير ، والحفاظ على الاستقلال ، والشخصية القومية •• وأنا أحاول تكوين ثقافة وطنية ، مستخدما اعادة الموروث الحضارى عند الجماهير ، والتى آراها في التراث الدينى القديم ، والإمثال الشعبية •• والتفسير العصرى للقرآن في رأيه لا يعنى التفسير العلمى ، فالعلم يتغير ، ويخضع لقوانينه الخاصة •• ولكنه يعنى التفسير الاجتماعى ، السياسى والاقتصادى ، الذى يرى الواقع الاجتماعى مستلهما النص الدينى • فنحن في مصر مثل يجب ألا نغفل قضية الارض •• فعندنا ٦ ملايين فدان ، و ١٨ مليون فلاح ، والتوزيع العادل أن يكون لكل فلاح ثلث فدان •• فالذى يملك فدانا يأكل طعام اثنين من زملائه ، والذى يملك عشرة أفدنة يأكل طعام ثلاثين فلاحا ، والذى يملك ٥٠ فدانا يأكل طعام ١٥٠ فلاحا • فالواقع المصرى لا يسمح على الاطلاق

بملكية الارض أكثر من ثلث فدان لكل مزارع ، وبهذا الشكل تحل مشكلة ١٢ مليوناً من الاجراء الزراعيين ..

والمثل الثانى الذى أريد أن أوضحه

● قبل أن نتحدث عن هذا المثل الثانى .. دعنى أقف هنا يا دكتور .. متسائلاً عن قضيتين .. الاولى .. موقف الاسلام من الملكية ، الثانية ما قد يتسبب عن ذلك الذى تطالب به ، من تفتيت للملكية . وكان الذى طرحه الدكتور حسن حنفى مفاجأة غريبة بالنسبة لى ..

قال : الملكية فى الاسلام لله وحده « لله ملك السموات والارض » والانسان مستخلف فيما أودعه لديه كأمانة له حق الانتفاع بها ، وليس له حق الاضرار بالغير .. والاسلام يمنع المؤاجرة فى الارض ، فهو ضد أن يملك انساناً أرضاً ، ويؤجرها الى غير يعمل فيها ، ولكنه يسمح بالاشتراك فى زراعة الارض بمجهود مشترك ، ومن ثم فالاسلام أقرب الى المزارع التعاونية والجماعية . فاذا تذكرنا أن الاسلام يمنع تكديس الاموال ، وكنزها ، ويوصى باستثمارها ، يستحيل على المسلم أن يترك وراءه سوى العمل الصالح ، والذكرى الطيبة . والرسول لم يترك وراءه سوى درع مرهونة لشخص يهودى .. واذا حللنا آية الميراث نجد أن الوصية تمتد الى الوصية بالدين ، وبالتضحية وبالعواطف ، وانه يمكن كتابة وصية للمصلحة العامة ، وتوريث غير الاقرباء .. ووفاء الدين بالوصية ، وان تخصيص نصيب للرجل ضعف نصيب المرأة ، يدل على أن الغاية هى الاستثمار . أما تفتيت

الملكية الذى تتحدث عنه فهو ليس خطرا ، والداعون الى الميكنة الزراعية هم مقلدون للغرب الذى يعانى من اتساع رقعة الاراضى ، ونقص الايدى العاملة وظروف الجو التى لا تسمح بالعمل فى العراء ، وطبيعة الارض الصحراوية •

هناك الآلة ضرورة ، لانها تقوم بعمل أكثر من مائة عامل • أما فى مصر ، فالرقعة محدودة ، والايدى العاملة متوفرة ، والتربة طينية •• يستطيع كل فلاح بفأسه ، ومحراثه أن ينتج أكثر مما تنتجه الآلة •

● مؤلفات الدكتور حسن حنفى ، ودراساته بالانجليزية ، والفرنسية ، أكثر مما كتبه بالعربية ، وكلها تركز على قضية الدين والتقدم •• والثورة •• وهى من أشهر المؤلفات فى أوروبا •• وكانت البداية لمناقشة هذا الموضوع هو المثل الثانى الذى ضربه •

— ان متوسط الدخل القومى فى مصر ، وفقا لآخر الاحصائيات حوالى مائة جنيه سنويا للفرد الواحد ، فالذى يتقاضى مائة جنبها شهريا يأكل طعام ١٢ مواطنا والذى يأخذ ٥٠٠ جنيه قد أكل طعام ٦٠ مواطنا اذ أن الواقع المصرى لا يسمح بأية فوارق كبيرة فى الدخول ، أو أى تركيب طبقى ، ولا بد من وضع حد أدنى وحد أعلى للدخول •• وقد آخى الرسول بين المهاجرين والانصار ، واقتسموا أموالهم فيما بينهم •

● ولكن هناك نص صريح فى القرآن الكريم على تفضيل البعض على البعض الآخر •• ؟

— المسألة هنا ليست في النص ، ولكن في طريقة التعامل مع النص ، فنحن نذهب للقرآن بحثاً عن تلبية مطالب المجتمع • البداية هي الواقع الذي أعيشه ، وأعاني منه ، والذي أريد أن أغيره • فمأساتي هي تفاوت الناس في الرزق ، أو كما يقول الاقتصاديون ، العملات ، والقطط السمان ، والدخول الطفيلية ، وقطاع المقاولات وتجار الجملة ومملكة العجول • • أليست هذه مأساتي ومشكلتي ، اذن لابد أن أبحث في القرآن عما يحل هذه المشاكل ، ويضع حداً للجشع ، والكسب الحرام • • ومن ثم فاني أقرأ القرآن فأجد فيه « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » • وأجد في الحديث أن المجتمع الواحد الذي فيه انسان جائع تبرأ ذمة الله منه كما أجد « الناس شركاء في ثلاث : الماء ، والكلا ، والنار » والذي يختار من القرآن آيات تعكس التفاوت في الرزق ، وتعمل على زيادة الكسب غير المشروع فانه يكون ضحية للتفسير الرأسمالى للدين • المسألة اذن هي : هل يفسر الدين لصالح الجماهير أم لصالح الاقلية ، والتفسير لصالح الاغلبية هو الذى يخدم المصلحة العامة • • وكان فقهاء المسلمين دائماً في صالح الجماهير ، يعذبون ، ويسجنون ضد التفسير لصالح الاقلية أو السلطة • السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو من الذى يكشف عن الوجه التقدمى للاسلام ومهمة من هذه • • ؟ ان علينا أن نبدأ بمتطلبات الواقع ، مثلاً التنمية ، والعدالة الاجتماعية ، والاستقلال الوطنى • • وهذه مهمة يقوم بها جميع المسلمين • فليس في الاسلام رجال دين ، والجماهير الاسلامية تفرض مصلحتها على الولاة ، كما أنها أيضا مهمة فقهاء المسلمين الذين هم الرقباء على السلطة والمدافعون عن المصلحة العامة التى هى أساس الشرع •

● أن هذا يعنى — يا دكتور — أن على كل مسلم أن يجتهد ،
ولكن مجمع البحوث الإسلامية له رأى مختلف ، فقد أباح الاجتهاد
لجماعات الفقهاء من المسلمين وليس للأفراد .. أى أنه أباح الاجتهاد
الجماعى .

وقال : أن هناك شروطا فى المجتهد ، فى مقدمتها بالاضافة الى
العلم ، الوعى بمصالح المسلمين ، وقرار مجمع البحوث الإسلامية
يضعه فى موقف الاحتكار للتفسير ، ويرجعنا الى تاريخ الكنيسة فى
الغرب ، والى ما حذر منه الاسلام . فالاجتهاد — فى الاسلام — حق
لكل فرد اذا استوفى شروطه ، وعلى رأسها العلم بالكتاب والسنة ،
والوعى بمصالح المسلمين .

يمكننا أن نقول ان الاسلام عندما أتى كان أول من اعتنقه هم
فقراء مكة ، ومضطهدوها ، وضعفاؤها ، وأول من عاداه هم أشرف
مكة وأغنيائها الذين كانوا يخشون من الدين الجديد على مكاسبهم ،
وأوضاعهم وتجارتهم واستغلالهم للعبيد . فالدين ثورة فى صالح
الفقراء .. والمضطهدين .

● تحركت فى مقعدى ، أشعل سيجارة ، أتأمل انفعالات الدكتور ،
أرشف فنجان القهوة ، ولحظة سريعة مضت قبل أن أقول له : وماذا عن
القول بأن الماركسية مادية يا دكتور حسن ؟ وأنفعل الرجل لاننى أردد
خطأ شائعا ، واتهاما تركه الاستعمار الثقافى فى بلادنا بأن الماركسية
مادية ، والرأسمالية روحانية ..

وقال الرأسمالية تقوم على الاستغلال ، والسعى وراء الاستهلاك والرفاهية ، وهى أعلى درجات المادية . لقد كانت المادية فى القرن التاسع عشر نظرية تقدمية كرد فعل للنظريات المثالية الخيالية فى القرن الثامن عشر ، وهى — مع ذلك — ليست الاطار النظرى الوحيد للماركسية . فالمادية فى هذه الظروف اختيار حضارى حقيقى ، وهى أيضا أساس الرأسمالية . فلماذا نتهم الماركسية بالمادية ، ولا ننتهم بها الرأسمالية التى لا تقوم على التفسير المادى للظواهر الاجتماعية فقط ، ولكنها أيضا تقوم على ترسيخ القيم المادية فى النفوس ، مثل الجرى وراء المال ، والاستغلال ، والمنافسة ، والربح ؟ الدين فى النظام الرأسمالى نفاق .. اذ يظن الرأسمالى أنه بمجرد حضوره قداس الاحد ، وتبرعه لبناء كنيسة قد نال جزاء الآخرة ، وفى الحقيقة هذه تعمية ، وتغطية على ما يفعل فى الايام الستة الاخرى من استغلال واحتكار . دعنى أسألك أننا نثني على ثورات وأعمال جيفارا ، وكاسترو ، وهوشى منه ، وغيرهم .. هل هؤلاء ماديون أم أن ثوراتهم الاجتماعية ، هى أعلى درجات الروحانية ، ودفاعهم عن استقلال بلادهم هو أول واجب من واجبات الدين ، ألا وهو الجهاد ؟ فالانسان — طبقا للإسلام — يقيم بعمله الصالح . وماذا يعنى الدين ، هل هو مجرد العقائد أم أن الدين يعنى الشريعة التى تقوم على العدل والمساواة ؟ فالعقائد يختلف فى تفسيرها حتى المتدينون ، والماركسية لها تفسير للعقائد مثل تفسير المعتزلة ، والاشاعرة ، والشيعة . فالاساس الاول الذى قامت عليه الشريعة الاسلامية هو الحفاظ على المصلحة العامة . النظم الرأسمالية تركز على الجانب العقائدى من الدين حتى تطمس وتعمى الجانب التشريعى فيه ، من أجل المحافظة

على بنيان المجتمع الرأسمالى الذى يقوم على الاستغلال والاحتكار .
فالماركسية اذن لا ترفض العقائد ، ولكنها تفسرها ، وتفسرها مشابهة
لتفسير النظام ، والجاحظ ، ومعمار ، وثمامة ، ومن يسمون أنفسهم
بالطبايعيين . وليس الدين طقوسا وعبادة ، فقط ، ولكنه انتاج ومعاملة
أيضا . . . والعمل فى الاسلام هو مصدر القيمة . والذى يعمل بيديه ،
ويطعم الآخرين الذين يعبدون الله بالشعائر والطقوس ، هو أفضل
منهم . العبرة ليست ببناء المساجد والجوامع ، والصوامع . . . ومن
يركز على الجانب الشعائرى فى الدين ، هو ضحية للاستعمار الثقافى
الذى روج له الفكر اليميني الرجعي ، والرأسمالى للدين . فبناء
المساجد فى الاسلام حرام ، ذلك لانه « جعلت لى الارض مسجدا
وتربتها طهورا » . فنحن نستطيع أن نصلى فى الصحراء ، وبدلا من أن
نقيم مسجدا . نكلفه مليونا من الجنيهات ، فلنعد بهذا المبلغ بناء
مجارى القاهرة حتى لا تطفح ، وتلوث الناس ، ويموت المسلمون
نتيجة جراثيمها . . . أو ننفقها فى بناء مصانع فى الاحياء الشعبية من
أجل تشغيل الشحاذين والعاطلين والنائمين على الارصفة من المسلمين .
وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العراق (١) .

(١) وأنهى عبد الله امام حديثه بالعبارة الآتية :

وقال لى الدكتور حنفى وهو يودعنى . . . وكأنه يوصينى بمزيد من
العمل والعلم . . . ان ساعة علم يا أخى خير من عبادة الله سبعين سنة
ولقد أمضينا فى جلستنا هذه ساعتين . . . انهما أفضل من مائة وأربعين سنة
عبادة .

(ب) اليسار الاسلامى مشروع حضارى :

سؤال : برز أخيرا عنوان جديد فى عالم الصحافة المصرية والاسلامية عموما ونعنى به صحيفة « اليسار الاسلامى » فلماذا وقع الاختيار على هذا العنوان المثير وما هى أبعاد هذا المشروع الاعلامى ؟

د. حنفى : أنى أعتبر نفسى تلميذ سيد قطب ففى سنة ١٩٥١ دخلنا سويا الى الاخوان غير أنه لسوء الحظ ذهب هو ضحية الاخوان، فبدل أن يستمر فى التيار الذى أنتج « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » و « معركة الاسلام والرأسمالية » و « السلام العالمى والاسلام » وهو التيار الذى كان بإمكانه أن يخلص العالم الاسلامى من مآسيه ، حدث الصدام بين الاخوان والثورة ودخل سيد السجى وبقى سنتين ثم عاد مرة ثانية واستشهد سنة ١٩٦٥. دون أن يمارس الثورة ويشارك فى العمل الوطنى ولم يطور أفكاره . وكان آخر نتاجه « معالم فى الطريق » الذى أصبح « انجيل » الجماعات الاسلامية حاليا . أما أنا فقد غادرت مصر فى تلك المحنة وذهبت الى فرنسا . وعدت بعد عشر سنوات وأنا فى ذهنى استئناف المهمة التى بدأها سيد فى أواخر الاربعينات : أى بلورة الاسلام الثورى ، الاسلام الاجتماعى وأخذت على عاتقى لم الشقات وتحويل الاسلام الى مظلة يستطيع من خلالها كل وطنى أن يعبر عن آرائه . وفى هذا السياق أنشئت مجلة اليسار الاسلامى ووضعت صورة الافغانى باعتباره أبى الروحى الاول قبل سيد قطب وجعلت الآية القرآنية « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » كشعار للمجلة لاننا نحن

المستضعفين في الارض : نحن الذين لا حرية لنا ولا ثورة لنا ، نحن الذين نعانى من الاستعمار واحتلال الارض وتششت النسل .

والمجلة تعبير عن مشروع حضارى لان اليسار الاسلامى حسب اعتقادى — لا أقول حتمية تاريخية حتى لا أهضم حق الضرورية الانسانية — ولكنه ضرورة حضارية . فالمد الاسلامى الآن مد تاريخى يحاول أن يقيم دورة ثانية للإسلام نحن الآن في فجرها . وهى بهذا المعنى حتمية تاريخية الا أن التاريخ لا يسير طبقا لقانون حتمى فقط إن لم يزدوج مع ارادة وحرية وعمل وجماهير وجهد حتى تلتقى الحتمية التاريخية والقانون التاريخى مع الازادة والوعى الانسانى والاجتماعى وعندها يمكن أن نحقق ثورتنا المنشودة .

سؤال : ما هى طبيعة المشروع الذى يحمله التيار الاسلامى اليسارى الذى نتحدثون عنه ؟

د. حنفى : اليسار الاسلامى عبارة عن حركة تاريخية جماهيرية ثقافية حضارية اجتماعية سياسية وثقافتنا تتركز على ثلاثة أصول : أولا : التراث القديم — ثانيا : التراث الغربى — ثالثا : القرآن الكريم . فالموقف من التراث القديم يتحدد باعادة بنائه بحيث أجدد القوالب الذهنية للناس حتى أستطيع في الاخير أن أحمى الامة وأحمى مصالحها ابتداء من اعادة بناء قيمها ومفاهيمها وتصوراتها وهذا هو شرط الثورة الدائمة . فالثورة العربية بالرغم من صياغتها لاكبر مشروع في التحرر العربى الحديث الا أنها انتكست بعد خمسة عشر عادة وانتهت الى ردة . لماذا ؟ لان نقسية الجماهير لم تتغير وعقليتها

لم تصنع بشكل جديد ولأن قيمتها ونظمها بقيت ثابتة بالرغم من تغير الهياكل الاجتماعية • فمهمتي اذن هي أن أعيد بناء التراث من أجل بدائل تقدمية مكان المقولات السائدة •

القضية الثانية هي أن أفهم الغرب في إطاره ونظوره التاريخي وبالتالي أتمكن من أن أحصى نفسى من التغريب • فالتغريب هو اللجوء المستمر للثقافة الغربية بحثا عن حل المشاكل الذاتية اعتقادا أن الغرب يمثل دائما نقطة إحالة *Point de référence* والتحرر من التغريب لا يكون الا بالقضاء على أسطورة الثقافة العالمية التى جعل الغرب نفسه مركزا لها • عندئذ فقد أقدر على مواجهة الغير والتعامل معه •

أما بالنسبة للقرآن الكريم فالذى أعتقده أنه لا وجود لتفسير من أجل التفسير ولا نظرية من أجل النظرية • لقد جاء رجل الى عمر فقال له « يا أمير المؤمنين ماذا تعنى « فاكهة وأبا » فالفاكهة علمناها ولكن ما هذه الابا ؟ فنظر اليه عمر وقال تقريبا : « افترض يا أخى أنك فهمتها أو لم تفهمها فماذا سيغير ذلك من حال المسلمين » • وهذا يجعلنى عندما أقرأ القرآن لا أهتز الا للآيات التى تساعدنى على حل القضايا المطروحة وهى الآيات التى تدعو الى الحرية والآيات التى تدعو الى التعقل والآيات الموجهة ضد الاغنياء والتسلط الموجهة للاستعمار والسيطرة على أراضى المسلمين •

سؤال : لو سمح الدكتور نستوقفه قليلا لنعود به الى بداية الحديث • لقد تحدثت عن سيد قطب معتبرا نفسك تلميذا له والذي فريد أن نعرفه هو : هل التلميذ انحرف عن خط أستاذه أو أن الاستاذ ارتد عن أفكاره الاولى ؟

د. حنفى : سيد قطب هو من أهم الشخصيات التى أثرت ومازالت تؤثر فى الحركات الاسلامية المعاصرة . بدأ حياته ناقدًا أو شاعرا فى الثلاثينات وكان يدافع عن الادباء الشبان وساند العقائد ضد طه حسين . وكان الناس يأملون من ورائه خيرا فى تطور النقد الادبى . ومع أواخر الاربعينات اكتشف الجانب الادبى فى القرآن يعنى بدأ يكتشف الاسلام ولكن من جانبه الادبى . وكانت الاربعينات أتون الحركة الاجتماعية والسياسية فى مناهضة الاستعمار والدعوة الى استقلال مصر وطرح العدالة الاجتماعية . وهنا تحول سيد قطب من الجانب الادبى الى الجانب الاجتماعى فى القرآن فكتب آثاره الثلاثة التى ذكرتها آنفاً . وكان سيد محورا للتقدميين الاشتراكيين والقوميين والوفديين وكان مآله دخول حركة الاخوان . ولقد حرر بعد ثورة « يوليو » برنامج الاخوان وذلك عندما طلبت قيادة الثورة من كل الاتجاهات السياسية أن تقدم برامجها . وعندما صدر قرار حل الاحزاب لم تحل جماعة الاخوان لانها لم تعتبر حزبا سياسيا . وكانت الجماعة عنصر ثقة من الناس وتمثل الجميع فيها خيرا . ولكن لسوء الحظ ولحرص كل من الاخوان والثورة على السلطة حدث صدام ٤٥ بعد معارضة الاخوان لمعاهدة الجلاء التى عقدها عبد الناصر مع الانجليز والتى كانت تسمح لهم بحق العودة الى قنال السويس واستعمال مطارات مصر ... الخ . وهكذا عارض الاخوان عبد الناصر وأخذوا محمد نجيب الذى كان يدعو الى الوحدة الاسلامية . وخسر محمد نجيب وخسر الاخوان واستشهد عبد القادر عودة ورفاقه ووضع الآلاف فى السجون . وفى السجن تكون سيد قطب آخر هو الذى ظهر فى معالم فى الطريق والذى عبر فيه عن نفسية السجين بين الجدران فدعا الى

تكوين جيل قرآنى وطليلة مؤمنة قادرة على التغيير • والافتراض الذى أطرحه هو لو قدر لسيد أن يعيش خارج السجن وأن يساهم فى العمل السياسى ويرى تأميم القنال فى ٥٦ ويعايش نضال الشعب المصرى ضد العدوان الثلاثى ويرى الوحدة مع سوريا ٥٨ والبناء الاشتراكى لمصر فى ٦١ لأن ما حدث فى مصر هى أفكار سيد قطب الاولى لكان من مؤسسى اليسار الاسلامى • ومن هذه الزاوية أعتبر اليسار الاسلامى استثنافا لسيد قطب فى كتاباته الاولى •

سؤال : وكأنى بك تعذر سيد وكل الذين ساروا على دربه ؟

ذ • حنفى : أنا يا أخى أفهم جيدا لماذا مثلا يستهوى « معالم فى الطريق » الشباب المسلم لاننا فى نفس الظروف النفسية التى عاشها سيد قطب : مضطهدون ، مسجونون لا السجن فى معناه الضيق « أربع جدران » ولكنه السجن الكبير حيث لا حرية لنا فى التعبير • وحيث لا حل يبدو الا تكوين طليعة مؤمنة « جيل قرآنى فريد » وأن نعتبر أن لا اله الا الله منهاج حياة ... الخ • ولكن كيف سنحقق ذلك بالفعل ؟ هل بالصراع بين الاسلام والجاهلية « الواقع المضاد » أم عن طريق احتواء الاسلام « للجاهلية » ؟

أنا أعتقد أن هناك صراعا بين الاسلام والواقع المضاد • هذا هدف لكنه لابد أن يتم عبر مراحل • فالذى يريد تحرير فلسطين باسم البروليتاريا العالمية هل أعتبره عدوى أم صديقى المرحلى ؟ الذى يريد أن يوحد الامة باسم القومية العربية هل أعتبره عدوى أم صديق المرحلة ؟ كذلك الذى يدافع عن العدالة الاجتماعية • ومن ثم فأنا مع

سيد قطب وتلميذ له وتعلمت منه الكثير ولازلت حتى الآن عندما أقرأ « معركة الاسلام والرأسمالية » أشعر وكأننى مع أكثر من ماركسى . ومن ثم فأنا أضع يدى مع أيدي كل من يشاركوننى أهداف الحرية والعدالة الاجتماعية ومقاومة الاستعمار والصهيونية ومقاومة التخلف والقهر وسيطرة الاغنياء واستيلائهم على خيرات البلاد .

ولماذا الوقوف عند « معالم في الطريق » ؟ فكلنا مجتهدون ومهمتنا تطوير الفكر النظرى للحركة الاسلامية ولعل على شريعتى مثلا يمثل احكاما نظريا أكثر من سيد قطب بل لعله يمثل قطيعة مع سيد قطب الثانى . وبالتالى مع احترامنا لسيد قطب الاول واعترازا به وفهمنا لسيد قطب الثانى الا أننا نريد أن نخرج الحركة الاسلامية من مرحلة رد الفعل الى مرحلة الفعل ومن مرحلة نفسية السجين الى مرحلة الاتفاق الواسع والارض الرحبة والتسامح مع الناس . ولا يجب أن يغلب الثأر قلوبنا بل علينا أن نتطور ونعى الدروس ونعذر مخالفينا الذين نشأوا في غياب البديل الاسلامى الثورى .

سؤال: هناك شبهة تثار دائما تؤكد أن « اليسار الاسلامى » هو خليط بين الاسلام والماركسية ، فما هو ردكم على هذه الشبهة وكيف تحددون العلاقة بين الطرفين ؟

د . حنفى : السؤال في ذاته يدل على مدى التغريب الذى شمل مجتمعاتنا . مازلنا نظن أن الماركسية نتاج الغرب وأن الاسلام نتاج الشرق وأن أى انسان يريد أن يحافظ على هويته ويحل قضايا الرئيسية التى يعيشها في مجتمعه فما عليه الا أن يوفق بين الاسلام

والماركسية انطاقا من خلفية تجعل من الغرب مقياسا حضاريا • هذا خطأ في وضع السؤال • وقد تسألني ماذا أفعل وماذا سأرفض من الماركسية أو من غيرها ؟ فأجيبك أنني يا أخى لا أرفض ولا أقبل أنني أفعل كما فعل الفلاسفة المسلمون عندما اكتشفوا العقل في القرآن الكريم واستخرجوه من ابراهيم • فكان الفلاسفة اليونان رفاق نضال بالنسبة لهم • وكذا الشأن عندى أنطلق من الاسلام باعتباره دعوة من أجل الحق والخير والعدالة والمساواة وفي الطريق سألتقى بمن يهدفون الى نفس الغايات فأعتبرهم رفاق نضال ومن بين هؤلاء ماركس الذى نجله ونحترمه لانه ساهم في كشف عدة حقائق عامة كما استطاع نقد المثالية ودافع عن الطبقة العاملة وأقام نظرية في « رأس ماله » وبين أن العمل هو مصدر القيمة وقد أقيم له نمثالا في ميدان الاستقلال تعبيرا عن احترامى له ولكنه لن يتحول عندى الى بديل عن ابن خلدون • أننا في غياب البديل الاسلامى الثورى لجأنا الى الماركسية لحل قضية العدالة الاجتماعية والى الليبرالية لحل القمع المسلط على شعوبنا والى القومية لانهاء حالة التشرذم والى ديكرت لتأكيد العقلانية • والرد على موجة التغريب هذه تمثلت في الدعوة التى طرحتها في مجلة « اليسار الاسلامى » وفي كتابى « التراث والتجديد » والقائمة على اعادة تأسيس العلوم الاسلامية وقراءة جديدة للتراث الاسلامى وللتراث الغربى •

سؤال : اذن فانت تعتبر انهاء حالة التغريب تتم عبر الضم في اشكالية التراث والمعاصرة ، وعبر تحديد موقف علمى من الغرب باعتباره التحدى الثانى بعد التراث ؟

د. حنفى : لابد أن آخذ موقفا من الغرب • أنا لست غربيا وان درست فى الغرب ودرست فلسفته ولكنى مسلم • والغرب بالنسبة لى هو التحدى الاعظم لا فقط فى الارض والزراعة والصناعة والاقتصاد ولكن فى الغزو الثقافى والروحى يريد أن يجعلنى دائما متعلما وأن يوهمنى أنى مهما حاولت اللحاق به فمعدل انتاجه أسرع بكثير من معدل لحاقى به وبالتالى تتسع الفجوة الحضارية بينى وبين الغرب فأصاب بالصدمة الحضارية فأجرى يائسا حتى أموت • تلك هى نظرتى الينا هو الاستاذ ونحن التلامذة • أنا أريد أن أغير هذا الوضع أن أنقل الحضارة الاسلامية الحديثة من مرحلة التلمذ على الغرب الى مرحلة الانفصال والتحدى ثم الابداع والاحتواء • أصبح المسلم حاليا لا يستطيع أن يتكلم فى الحرية الا اذا كان ديكارتيا وفى العدالة الاجتماعية الا اذا كان ماركسيا • فأصبح الغرب هو المعيار والميزان • مهمة المسلمين هى الوقوف أمام الغرب وتحديه ثم الابداع المستقبلى • وهى ليست مشكلة التكنولوجيا فقط ولكنها معركة التحدى الحضارى • أن القاء نظرة على الساحة الفكرية للعالم الاسلامى تبرز انتشار العديد من التيارات الغربية لغياب وعينا الثقافى بعد أن استعمر الغرب اراضينا منتقلا من الاستعمار السياسى الى الاستعمار الاقتصادى والثقافى • ومن ثم نشأ بيننا ممثلون للحضارة الغربية ووكلاء من المذاهب الفلسفية الغربية • وحين أردنا حل مشاكلنا ولم نجد البديل الاسلامى الثورى القادر على حلها لجأنا بالضرورة الى الماركسية لحل قضية العدالة الاجتماعية والى الليبرالية لحل قضايا القمع • أما بالنسبة لى فبوعبى لتراثى القديم وبقدرتى على مواجهة الغير أقوم بمهمة ثانية وهى القضاء على أسطورة الثقافة العالمية التى يروج لها

الغرب • وبالتالي أفهم الغرب في إطاره وتطوره وأستطيع أن أحمي نفسي من التغريب ومن أجل أن أحل مشاكلي باللجوء الى الثقافة الغربية فليس كل مدافع عن الحرية بلييرالى ... إذن فالقضاء على التغريب هو في نفس الوقت حماية للمسلمين من الاستلاب الثقافي واكتشاف النظرية الابداعية من الداخل وليس من الخارج •

ان شرط عمليات الابداع هو عدم التقليد وأن ايمان المقلد في علم أصول الدين لا يجوز • ومن ثم فأنا أردت أن أحل قضية العدالة الاجتماعية نظرا لانى أعيش بين الفقراء والاغنياء وأحل قضية الحرية لانى أعيش في ظل نظم قمعية • وأنا لا أستطيع أن أكون مسلما ثوريا لو كنت مقلدا لابي ذر الغفارى لان شرط الابداع هو عدم التقليد • سؤال : أود أن ...

د • حنفى : أريد لو سمحت أن أتعرض بالمناسبة الى مقولة سمعتها كثيرا هنا في تونس وأيضا بالمغرب وهى ما تسمونه « بالقطعية الابستمولوجية » *epistémologique* وهى مقولة أصبحت تستعمل كالمفتاح السحري الذى به يستطيع المثقف العربى أن يرفع كل التباس • وأنا هنا لا أنقد ولكنى ألاحظ • فالغرب بعد عصر الاحياء في القرن الرابع عشر ميلادى أحيا الادب القديم وأقام الاصلاح الدينى في القرن الخامس عشر بربط الانسان مباشرة مع الله ثم بعد الاصلاح الدينى جاء عصر النهضة في القرن السادس عشر وكانت بداية القطعية بين الماضى والحاضر واللجوء الى العلم والطبيعة باعتبارها المصدر الوحيد للمعرفة • ومع اكتشافات القرن السابع عشر تطورت مناهج البحث ووسائل المعرفة ونظرية المعرفة في ذاتها حيث لم يصبح الوحي طريقا

اليها ولا الكتاب المقدس طريقا للعلم ولم يعد أمام الانسبان الغربى
الا الحواس والعقل وربما الوجدان فيما بعد عند الرومانسيين • فنظرية
المعرفة الغربية تأسست بعد أن فقد هناك الغطاء النظرى للوعى الاوربى
الذى قطع نفسه عن الماضى على عدة فقرات وقطع نفسه عن كل
المعارف المسبقة بعد أن اكتشف زيفها وتسلطها وتعارضها مع العلم
والطبيعة والانسان • انطلق الجهد الانسانى الخالص يعالج القضايا
الاوروبية التى أفرزها عصر التنوير والنهضة الصناعية والفكر الدروينى
والمادية الوضعية • الخ ثم أزمة القرن العشرين أزمة كل المدارس •
فى هذا السياق عندما أسمع عن القطيعة الابستمولوجية والتحديات
النظرية يملكنى احساس بالخشية أن تكونوا قد وضعتم أنفسكم فى
تطور الوعى الاوربى بينما نحن خارجون عنه لان الغطاء النظرى
للعالم بالنسبة لنا لم يسقط بعد • فأنا عندما أريد أن أعرف ما زالت
نصوص القرآن وأقوال الرسول والقدامى والغزالى وابن تيمية وابن
رشد جزءا من طريق المعرفة • يعنى مازال التراث بالنسبة لى مصدرا
من مصادر المعرفة ولم تحدث قطيعة بينى وبينه وبالتالى لا توجد لدى
نظرية للمعرفة بالمعنى الاوربى لانى لم أمر بعد بهذه المراحل • وأرجو
أن لا يحدث ذلك لانه ليس بالضرورة أن يكون نمط القطيعة مع الماضى
هو نمط لكل حضارة ولكل شعب يريد أن يتقدم • نمطى هو الآتى
وسأكون دقيقا : أنا جزء من التاريخ وأنا حامل رسالة أربعة عشر قرنا
وأنا مسؤول عن هذا التراث وكلنا مسؤولون عنه • نحن لسنا مستشرقين
لان المستشرق هو الذى ينظر الى هذا التراث كما ينظر الى التراث
الهندي أو الصينى أو الفارسى باعتباره مادة علمية أما نحن فجزء من
الموضوع نحن الذات والموضوع فى وقت واحد • فعندما أدرس

التراث أدرس أبى وجدى وروحى وجسمى وتاريخى وحاضرى ومستقبلى • وبما أنى جزء منه ومسؤول عنه لا بد أن أعرف تماما فى أى مرحلة من التاريخ أنا • لا بد أن يكون فى ذهنى احساس بالاربعة عشر قرنا فأعنى أن فى القرن الاول نشأت الحضارة الاسلامية وفى الثانى بدأت تتأصل ووصلت فى القرن الرابع الى أوجها ثم محنة الغزالي ومحنة العلوم العقلية على يديه ومحنة ابن رشد فى القرن السادس وآخر صحوة عند ابن خلدون وابن تيمية فى القرن الثامن • وفى أواخر القرن الثمانية انتهت الحضارة الاسلامية التى مازلنا معجبون بها • وفى القرون العاشر والحادى عشر والثانى عشر وهى الفترة التى استكانت فيها الحضارة الاسلامية ولم تعد قادرة على الابداع فسميت بعصر الشروح والملاحظات ثم كانت بداية عصر نهضة اسلامية جديدة مع محمد بن عبد الوهاب ، الافغانى ، محمد عبده ، رشيد رضا ، البنا ونسب قطب • اذن فنحن ورثنا هذا التيار كله ونعنى أنه لم تحصل قطيعة وانما حصل تواصل واستمرار •

سؤال : اذن ما العمل ؟ وكيف يجب أن تكون علاقتنا بهذا

التراث ؟

د • حنفى : كل ما أستطيع أن أفعله هو الآتى : أن آخذ العلوم الاسلامية كما ورثتها وهى كالاتى ثلاث شعب رئيسية :

١ — العلوم النقلية •

٢ — العلوم العقلية •

٣ — العلوم النقلية — العقلية •

العلوم النقلية وهى التى تعتمد على النقل فقط وتشمل خمس علوم : علوم القرآن ، علوم الحديث ، علوم التفسير ، علوم السيرة وعلوم الفقه . ويعتمد كل منها على النقل والرواية . أما العلوم النقلية الخالصة فهى تمثل علوم الرياضه والطبيعة والفلك والهندسة والحساب . ثم العلوم العقلية النقلية وهى الالهى التى تجمع بين العقل والنقل مثل علم أصول الدين وأصول الفقه والحكمة وعلم الكلام وعلم التصوف الالهى خاصة فى فترته الاخيرة . وربما نضع بعض العلوم الانسانية من علوم اللغة والتاريخ والجغرافيا والادب . هذه هى صورة الحضارة الاسلامية التى وثناها كما ورث الغرب اليونان والرومان والعصر الوسيط والذى حاول أن يخلد نفسه باحياء الرومان واليونان فى القرن الرابع عشر (عصر الاحياء) فلم يفلح فحاول أن يصلح الدين فى أواخر العصر الوسيط فلم ينجح فجاء عصر النهضة وقام بالقطع فنتج عصر اقامة النظريات .

أما أنا فالتحدى النظرى الذى أعيشه هو فى الحقيقة من باب الاشكال النظرى وليس الاشكال الاشكالى . فأنا عندى ثلاث منظومات من العلوم فأخذها علما علما وأعيد تأسيسها فى ضوء المتغيرات .

سؤال : لو ضربت لنا أمثلة حتى ندرك أبعاد ما تقول :

د . حنفى : لنأخذ مثلا علوم القرآن انطلاقا من كتاب « الاتقان فى علوم القرآن » للسيوطى فسنجد علم المكى وعلم المدنى وعلم الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وأول ما نزل منه وآخر ما نزل . ومسؤوليتى

أن أعيد بناء هذه العلوم لا أن أقطع معها لاننى مازلت أرى لها دلالة •
فمثلا يعيب علينا الغرب ويتهمنا بأننا شعوب تعيش مع الخلود ولا
تعرف معنى للتقدم ولا للزمان ولا للمراحل ، ولا نعرف الا السباحة في
انقضاء والالوهيات الى آخر الزمان • أما أنا فانى أجد في قضية الناسخ
والمنسوخ أساسا لقضية الزمان : فهناك قانون ثم قانون ثم أهلية
ثم قدرة وتغيير الاخف بالاثقل والاثقل بالاخف ونسخ بالقراءة ثم
نسخ الحكم من القراءة ونسخ القراءة من الحكم وبالتالي فقضية
الناسخ والمنسوخ هي وجود الوحي داخل الزمان وداخل التاريخ
ويعمل بسنن التقدم •

كما أجد في أسباب النزول أولوية الواقع على النص فالله سبحانه
وتعالى لا يتكلم جزافا بلا سبب ولا مطلب فكانت الواقعة تقع ثم
يتلوها الوحي • فالمنهج الاسلامي لا يبدأ بقال الله ، قال الرسول ،
انما يبدأ بالواقعة بطرح المشكلة وأن الواقع الاجتماعي يسبق الفكرة
(نزول القرآن منجما) • والمكى والمدنى دلالتهم تتمثل في أن الآيات المكية
تحتوى على التصور النظرى للعالم في حين أن المدنى هو القانون الذى
خرج من ذاك التصور • اذن فالتصور الاسمى يجب أن يكون نظرية
للكون وللحياة كما عبر عن ذلك سيد قطب ثم ينبثق عن ذلك التصور
قانون وتشريع • فالأولوية اذن للتصور لا للقانون •

سؤال : وماذا ستصنع مع علم أصول الدين (علم الكلام) •

• حنفى : آخذ مثلا صفات الله المشهورة : العلم ، القدرة
وعبرها ، واذا دافع علماء الكلام القدامى عن الله الموحد ونجحوا في
علم العقائد ؟

ذلك ووصلوا الى أن الله ذات لها صفات مطلقة العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام كما هو موجود في الكتب السلفية وكتب العقائد منه « الفقه الكبير » لأبي حنيفة حتى كتب العقائد التي ندرس بجامعةتنا . لكن بالنسبة لي فإن المهم هو كيفية استعمال تصورنا لله في حاجات المسلمين . العلم مثلا صفة الالهية ، لكن الالهية متفشية عندنا فكيف يعقل أن نؤمن بالله عالم ونحن جهلة ؟ فإذا أردنا أن نقول أن الله عالم كان لزاما علينا نشر العلم والقضاء على الجهل باسم الله . كذلك القدرة لله لكن المسلمين عاجزون بلا قدرة فلا بد أن يتشبه المسلمون بصفات الله . الحياة والمسلمون أموات ! البصر والسمع والكلام والمسلمون لا يسمعون ولا يسمرون ولا يتكلمون ! ومن ثم لابد أن يتحول تصورنا لله الذي ورثناه في علم العقائد الى تصور حي في قلوبنا نسمع ونتكلم ونبصر باسمه .

فعلم الكلام ليس علما مقدسا ولكنه نشأ في ظروف معينة . اذا تغيرت هذه الظروف تغير هذا العلم . فعدم احساسى السياسى وعدم ادراكى لظروف العصر هو الذى جعلنى أنقل العلم بمادته وظروفه القديمة دون أن أتفطن الى الفارق بينها وبينى وبالتالي فان هذه الصفات الالهية التى قدسها المعتزلة والاشاعرة وغيرهم اعتبرها أهدافا وغايات اجتماعية وسياسية . فوفقا لهذه الصفات أعمل على تحقيق العلم ، وأدعو الناس الى الرؤية والسمع والقدرة وبالتالي أعمل من أجل حرية الفكر والقول والعمل والتجمع أى الديمقراطية ومن هنا فان مهمتى في علم أصول الدين تتمثل في إعادة صياغة قضية علم التوحيد حتى أستطيع مواجهة الخطر الحالى . فأربط بين العقيدة والارض

وأجد في القرآن ما يحميني في مسألة نهب الارض والثروات • هذا ما أعتقد أنه أحدى الوسائل التى بإمكانى استعمالها بالنسبة لعلم أصون الدين من الداخل وبالتالي فهناك تواصل فى أداء المهام بينى وبين القدماء • هذه اذن محاولات أقوم بها لاعادة احياء التراث القديم للدخول فى مشاكل العصر لاتمكن من تقديم البديل الاسلامى الثورى المستير الذى يستطيع أن يحرس المسلمين من التيارات الرجعية أو من التيارات العلمانية الحديثة •

سؤال : ألا ترى أن منهجك التأصيلى هذا قد يدخلنا فى متاهات واشكالات القرون الماضية ونحن فى أشد الحاجة لى الارتباط بواقعنا ؟

د • حنفى : على العكس من ذلك فاعادة بناء التراث تستهدف تحريك القوالب الذهنية للناس حتى نستطيع فى الاخير أن نحى الامة وأن نحى مصالحها ابتداء من اعادة بناء قيمها ومفاهيمها وتصوراتها • هذا هو شرط الثورة الدائمة • فمهمتى أن أعيد التراث القديم لاجد بدائل تقدمية مكان البدائل السائدة • مثلاً فى علم أصول الدين سادت الاشعرية قديماً وهى التى دافعت عن التوحيد ولكن خطورتها أنها ازدوجت مع الدولة السنية وأصبحت أيديولوجية الدولة فى حين أن الاعتزال مثلاً فى علم أصول الدين يدعو الى أن العقل أساس النقل ، الى أن الله واحد ليس كمثله شىء دون أن يشخص ، والى أن الانسان له ماض ومستقبل ، والى أن العمل جزء من الايمان • وكذلك فى الفقه أعطى الاولوية للفقه العملى الذى يقوم على المصالح العامة على الفقه النظرى الافتراضى • كذلك فى الفلسفة لابد أن أظهر أهمية الفكر الاجتماعى والسياسى دون أن أرتبط بالضرورة بالتفكير الميتافيزيقى

النظري • وأنا في كل ذلك لا أقلد أحدا من القدامى ولا من الغربيين والمحدثين ولكنى أجتهد رأيي • عندي القرآن والسنة والاجماع والقياس وعندى المصالح العامة وعندى طرق الاستدلال وعندى شروط وهى أن لا أبغى هوى ولا أفتى لسلطان ولا أبغى مالا وأكون عالما بالشريعة وباللغة العربية وأدرك مصالح المسلمين وأبغى وجه الله • لذا فانه من الضروري بالنسبة للحركات الاسلامية أن تكون واعية بأهمية المصطلحات والمناهج واللغة والقضايا المصرية وأن تكون قادرة على الدخول في تحديات العصر • كذلك فان كل مسألة نظرية عارية عن أى غاية عملية يكون وضعها في أصول الفقه ضمن الاوهام • ومن ثم فأنا ألجأ كثيرا الى النواحي العملية في الاسلام وقد أبدأ بالاجتهاد مباشرة • خذ مثلا قضية العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة فأنا لا أحتاج أن أبحث مباشرة في القرآن عن نص وان لم أجد أتجه الى السنة ثم ... الخ • ففى تقديرى هناك واقع ومصالح مرسله وبالتالي أنا أقلب هذه الادلة فأبدأ بالاجتهاد وبالرؤية المباشرة وبالواقع فان لم أجد ضالتي على بالاجماع : اجماع الناس والقرآن سيكون معي • الاحساس بالناس وبالواقع والملابسات والتاريخ هى التى تجعلنى قادرا على أن أعيد بناء علم أصول الفقه حتى أعطى للناس الجرأة على الاجتهاد والتشريع •

(ج) العلمانية والفكر الانقلابى وتحديات العصر :

- العلمانية خطأ استوردته النخبة مسقطه أسبابه في أوروبا •
- الفكر الانقلابى غريب عن الاسلام •
- سبع قضايا تتحدى الامة ، والاسلام قادر على مواجهتها •

سؤال : الحركات الاسلامية الآن التي تحاول أن تخرج بالامة من واقعها الراهن فيها تيارات تعبر عن الواقع الاسلامى ، بما يعرف اليوم بـ « الصحوة الاسلامية » ، هذه التيارات تضم مساحة واسعة من مجموعات تكفر المجتمع ، وترى الثورة على هذا المجتمع ، وتيارات ترتبط بالسلف ، الى جانب آراء الذين يؤمنون بضرورة التطور من البداية . هذه الهوة الكبيرة بين المواقف ، نحب أن نسمع رأى الاستاذ حنفى فيها ؟

جواب — أشكر الاخوة في جريدة « الراى » على هذه الثقة التى أولونى اياها . ونحن نعرف أن الصحافة العربية منذ نشأتها كانت صحافة « رأى » وحتى لفظ « الراى » لفظ جيد ، والرأى أحد الالفاظ القديمة فى علم أصول الفقه .

ندوة فكرية فى جريدة « الراى » الاردنية ، ٢٩ / ٣ / ١٩٨٤ وقد صدرت الجريدة الندوة بالفقرة الآتية :

نظمت « الراى » ندوة فكرية للاستاذ الدكتور حسن حنفى استاذ بقسم الفلسفة فى جامعة سيدى محمد بن عبد الله بفاس بالمغرب ، شارك فيها السيد كامل الشريف ، والدكتور عبد السلام العبادى وكيل وزارة الاوقاف ، وعدد من الزملاء فى « الراى » . وادار الندوة السيد جمعة محاز ، المدير العام لـ « الراى » ، وعلى مدار الساعة ، تحدث المفكر الاسلامى الدكتور حسن حنفى فى هموم الامة الاسلامية ، وتناول بالشرح والتفصيل الاوضاع الراهنة للحركات الاسلامية بجميع ملامحها واتجاهاتها، وتناولت الندوة بواعث الحركات الاسلامية المتطرفة ، والعلاقة بين الجماهير والحكام . قضايا كثيرة ، من التراث والواقع ، والتفريب والهوية . كانت فى ندوة « الراى » التى تحدث فيها الدكتور حسن حنفى .

ويفرقون بين « الرأي » والهوى ، فالهوى هو الرأي الخاص الذي لا يعني الحق ، في حين أن « الرأي » هو للرأي الذي يعني صاحبه الحق ، ولذا فإنني أرجو لهذه الندوة أن تكون تحقيقا « للرأي » بالمعنى الاسلامي ، الذي لا يخشى في الحق لومة لائم . أقول أذن أننا نرجو من هذا الحوار ما ينفع الناس جميعا ، ربما تعليقا على سؤالك قبل أن تبدأ أقول ان هناك تيارين ، تيار يكفر ، وهو تيار بعيد عن السلف ، وهناك تيار السلف . ربما أهم شيء في التعامل مع الحركات الاسلامية ، هو فهم ظروفها : فهم أبناؤنا وأخوتنا ، وهم أقرب الى قلوبنا ! « السلف القدماء » كانوا منتصرين ، حضارتنا الاسلامية ، كانت حضارة منتصرة وفاتحة ، ومن ثم نشأت ظروف صحيحة للحديث عن الاسلام . الجيوش فاتحة ، والبلاد مفتوحة ، والعقول مفتوحة ولهذا فان أهل السلف ، كانوا يدافعون عن الاسلام من منطلق المنتصر الصحيح ، كما يفعل الغرب الآن حين يتعامل معنا .

لكن الحركة الاسلامية الحالية ، ليست كذلك . تعيش في مجتمع متخلف ، ومهزوم ، وتقع عليها ألوان من الاضطهاد . ولذلك علينا أن نأخذ هذه الظروف في الاعتبار ، وهناك الكثير ، مما يقولون ، في عقائدهم ، وآرائهم وممارساتهم ، يرجع الى هذا الاختلاف في الظروف التاريخي ، بين السلف وبين الخلف ، وأرجو أن تأخذ هذا بالاعتبار .

سؤال : كيف يمكن أن تبلور نظرية موجودة من هذا التراث

محيث يناسب العصر الذى نعيش وكيف يمكن أن نجمع الانتصار
لمثل هذه النظرية ؟؟

جواب : عندما نتحدث عن الاسلام فاننا لا نتحدث عن الاصول
الاسلامية وهى القرآن والسنة ، أى الوحي ، فالوحي « كلنا لرسول
الله منتسب » ومن ثم يهمننا نحن « التراث » ، أى كل اجتهادات
القديماء والمحدثين لفهم هذا الوحي كل طبقا لظروفه . التراث متعدد ،
وبه نظريات متضاربة ، ونشأ التراث الكلامى الفلسفى ، الصوفى ،
والفقهى ، ... الخ . كل جانب يخدم قضية ، أو فرقة ، أو مصلحة ،
فهى الصورة النظرية لتاريخ الاسلام السبائى والاقتصادى
والاجتماعى ، وذلك دارج ، وفى كل حضارة . لكن المهم أن نعرف ،
ان التراث القديم فيه فرق عديدة ، لتأخذ مثلا علم "الكلام" ، حيث ساد
فى علم الكلام تيار يخدم استقرار الدولة ، وهو « اختيار الاشعرى » .
ليقف فى وجه الفرق السيئسية المعارضة لاستقرار الدولة ، واستمرار
النظام .

أقول اذن التراث متعدد ، طبقا للمواقع السياسية التى فيها كل
فرقة ، وكل مذهب ، وفق المواقع السياسية والمصلحة الاجتماعية ،
ويسهل على أن أدرك أين مصالح الامة بعمامة ، وأين مصالح فئة أو
طبقة دون غيرها ، وبأى نظرية يمكن أن أحقق بها هذه المصالح ؟ مثلا .
إذا كنا نعانى من غياب العقل والموضوعية وغياب نوع من الحريات .
وغياب العدالة الاجتماعية ، وقضايا تحرير الارض ، قضايا الهوية
والتغريب ، قضايا سلبية الجماهير ... وهذا مثال أمامنا من ٣٥ مليون

صهيوني يقفون وقفة ثبات ، وقوة وغزو ، في وجه ٨٠٠ مليون مسلم ولا نعمل شيئا ، أقول اذن هذه تحديات رئيسية ، ولدينا خزائن قديمة فيها كل شيء ، وهناك قضايا عصرية ملحة ، ودورى أنا - كمفكر اسلامى - أن آخذ من الكنز الاول ما يساعدنى على التحدى في هذه القضية ، ولهذا اذا كانت القضية مثلا قضية انحسار العقل ، ولا بد من اعمال العقل في هذه المرحلة ، فان بالامكان الانتقاء من هذا المخزن الذى بحوزتى ، بما يتفق مع العلم والموضوعية ، ومن ثم أدعو الى الاعتزال واعتزال الرأى ، كما فعل محمد عبده في رسالة التوحيد ، نحى منها اعتزاليا ، ويقول أن الاسلام قد انتشر في التاريخ ، وان المستقبل له ، وليس فقط أنه انتصر في التاريخ . اذا كنت بحاجة الى الفقه والتشريع ، وكلنا نود تشريعا ومجتمعات اسلامية فالذى يساعدنى في التشريع ، هو المخزن القديم . فلا آخذ جوانب فقهية تقدم النص على المصلحة ، أو تدخل في فقه افتراضى . كما كان يقال قديما « ما قيمة وصية يكتبها رجل بين أنياب الاسد ؟ ! » هل تجوز أو لا تجوز ! ولكن أركز على أصول الفقه التى أخذت مصالح المسلمين عامة وعالجتها ، وما رآه المسلمون حسنا فهو حسن ، ولا ضرر ولا ضرار . وهذا يساعدنى على الدخول في العصر والاجابة على تحدياته . أقول اذن أنتقى من القديم ما يساعدنى على تحديات العصر ، ويدخلنى فيها . وادا لم أجد في القديم أجهد ، أنتقى من هذا الكل غير المتجذر ما يساعدنى على الدخول في القضايا الرئيسية ، وهذا مطلب رئيسى شرعى ، فينحن مجتمع تراثى ، الماضى في قلوبنا ، نحن لسنا بمجتمع علمانيا ، فالعلمانية قضية محصورة في عقول المفكرين ، ولكن الشعوب

كلها ما زالت تقول « الله أكبر » ، وهذا شيء يجب الاعتراف به . ولذلك فلا تقدم « علمانية » ولا تقدم أيضا « بالمخزوع غير المتجانس » . فقد أخذ شيئا يضرني ، ولهذا فهناك عملية قام بها الفقهاء القدامى ، وعلى المفكرين المحدثين أن يفعلوا كذلك . نفس القضية ، وهي ، كيف أستطيع أن أحقق تطور هذه الامة وليس ثباتها ، دون أن أفقد نجاسها في الزمان ، وحتى لا أكرر مأساة تركيا التي انفصلت عن ماضى ، فلم يشفع لها الحاضر بشيء !!

سؤال : أشرت الى مسلمات الامة ، وقلت ، أن الاسلام تريد هذه الامة ، وأن العلمانية ، أمر عارض . لكن التناقض الرئيسى لدى يكشفه التعبير اننا نرى أن الذى يسود في المنطقة العربية ، والاسلامه ، على مستوى التخطيط ، هو العلمانية وليس الاسلام ، وأن ما لدى الشعوب من أشواق وطموح ، يواجه بمواقف مختلفة ، من الطبقات المفكرة ، أما بالحوار ، وأما بالكبت ، وأما بالتجاهل ، وهذا يصور ، أن الرحلة ليست سهلة باتجاه الاسلام ، وأنه بالقدر الذى يوجد فيه رغبة في الاسلام بنفس القدر هناك رفض له ، وهذا الرفض يدعمه نفوذ دولى كبير في المنطقة . واننا مجتمع يعانى من الاختراق منذ مئات السنين ربما ، وأن الهدف من الاختراق نفسه ، هو الحيلولة دون نجاح النظرة الاسلامية ، وهذا الاختراق ، له جنوده في بلادنا . كيف يمكن أن نصل الى معادلة للتوفيق بين هذه الاتجاهات المتناقضة ؟؟

جواب : هذا صحيح ، وأنت على حق في أن المقدمة العامة في هذه الندوة كانت بحاجة الى تخصيص وأن السؤال وضعنا أمام قضية

جوهرية خاصة أساسية ، وربما تبدو اننا مختلفون في المظهر لكننا متفقون في الجوهر ، وانطباعي عبر دراسات أجريتها ، والعديد من زملاء « المهمومين » ، بقضايا الامة ، في هذا الموضوع ، تؤكد على أن العلمانية ، كانت اختيار النخبة ، النخبة المثقفة القائمة ، والتي أتت لها ظروف التعلم ، لكن الجماهير ليست كذلك ، وربما هذه واحدة من تناقضاتنا في هذا العهد ، فالنخبة تطالب بالعلمنة ، والجماهير متمسكة بالاسلام . كذلك فان جيلنا ، قد شاهد عدة تجارب ، من القومية ، والاشتراكية ، لكن هذه التجارب ، لم تزل بعيدة عن قلب الجماهير وروحها ، وانه في الوقت الذي تقوم فيه حركة اسلامية مستتيرة وربما تكون أكثر قدرة على الالتحام بالجماهير .

سؤال : لكن هل يعنى هذا ان هناك تعارفا بين الاسلام والعلمانية ؟ وماذا تعنى العلمانية ؟ !

الجواب : العلمانية في الغرب ، انما تعنى ما يسمى بفصل الكنيسة عن الدولة ، والدين لله والوطن للجميع ، هذه ظروف الغرب ، حينما حاولت الكنيسة أن تسيطر على الدولة وسببت أضرارا ، وهذه ليست قضية عندنا ، فليس لدينا رجال دين واكليروس ، فكل منا مسلم ، يصلى الى الله مباشرة . ولهذا فالمشكلة الاوربية ، لا توجد عندنا ، لان اسلامنا علماني ، فلا تعارض بين الاسلام والعلمانية على مستوى دين العقل ، ولهذا فان العلمانية بالمعنى الغربى ، تتطابق مع الاسلام ، لان الاسلام والعقل شيء واحد ، لان الله سخر لنا الطبيعة ، والاسلام البحث العلمى . بينما في الغرب ، تعنى العلمانية ، فصل الدين عن

الدولة ، لكن بالنسبة لنا لم يحدث في تاريخنا أن نشأت سلطة دينية معارضة لسلطة سياسية ، كما حدث في الغرب ، حدث ربما في تاريخنا القديم أن استعملت بعض العقائد والمذاهب السياسية ضد الاكتشافات العلمية ، لكن كل العلوم العقلية ، في تاريخنا ، ابن الهيثم ، والخوارزمي والطوسي ، اكتشفوا علوم الرياضة ، بفضل علم التوحيد ، وعقلية التوحيد ، نشأ علم النحو بفضل الاسلام فالاسلام بطبيعته ، دين العقل . والغرب يريد أن يظهر ابداعاته العلمية ، على أنها له وحده ، وربما كل اصلاحات الغرب لها رصيدها من عندنا في عصر الترجمة ، وكان الفكر الغربي العلمي ، متهم بأنه نصير للاسلام ، ويضهدونه ولكنه انتصر في النهاية على الكنيسة ، وعلمانية الغرب في رأيي ، كانت تطورا للنزعة الفلسفية الكلامية عندنا . فحينما أدعو الى العلمانية بمفهومها الغربي ، فأنني أبتعد عن الناس ، لكن حين أدعو للعلمانية باعتبارها جوهر الاسلام ، وان العقل والفكر شيء واحد ، وكما يقول ابن تيمية ، « موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول » ، وان الذي يشكك في العقل يشكك في النقل ، والدين وسيلة والصلاح في الدنيا غاية ، فأنني لا أبتعد عن سواء السبيل .

سؤال : هل المقصود أن نتحاور في قضية أن الاسلام هو البديل الحضاري لهذه الامة ، أم أن المطروح هو مشكلة الحركات الاسلامية وما يجترها من معاناة ومشاكل ؟ ما تفضلت به حول ما جرى في الغرب . وهو حل مشكلات الغرب خارج اطار الدين ، وبالتالي تطورت نظرية الاصلاح الاجتماعي ، وأعقبه الغزو الغربي لامتتنا ، ولذلك تسرب الى أذهان مفكرينا أننا يجب أن نحذو حذو الغرب في العلمانية ، كي

م ٢٠ — اليمين واليسار في الفكر الديني

نتخلص من مشاكلنا ، وهذه النخبة من المفكرين ، لم تفتح لهم فرصة التعرف على الإسلام • اذن التحدى الذى يوجه الفكر الاسلامى هو : كيف يقدم الاسلام لهذه النخبة التى لم تتطلع علمه بسبب ظروف هذه الامة ؟؟

جواب : أنا مع الأخ الدكتور ، ربما ركزت أنا على الجماهير ، وأنت ركزت على القيادة ، وكلاهما ، مهم • لكننى ركزت على الجماهير بسبب أن جيلنا ، عاش تجربة التغيرات الاجتماعية ، المفروضة من القيادة وكانت الجماهير بمعزل عنها • وتركيزى على الجماهير بحيث يكون هناك نوع من الرقابة على القيادة ، وعندما أقول رغبات الجماهير ، لا أعنى الرغبات الشخصية ، بل المصالح العامة ، مصالح الامة • ولا بد أن يكون هناك رقابة عامة على القيادة ، حتى لا تغير رأيها نظرا للظروف ، بحيث تشعر هذه القيادة بأنها ملتزمة ، وهذه هى قضية الديمقراطية فى جوهرها ، أن تكون القيادة معبرة عن مصالح الامة ، ومن ثم فكلاهما مهم ، كذلك فان أهمية مراقبة الجماهير ، ومراقبة أهل الحل والعقد ، أهمية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأهمية الحسبة ، أهمية الدين النصيحة ، أهمية استقلال القضاء ، بالرغم من أن قاضى القضاة ، يعينه الحاكم ، الا أنه لا يحق له أن يعزله ، وان قاضى القضاة ، يستطيع أن يعطى « فتوى » يعزل فيها الحاكم ، وهذا معروف بالنظم القضائية والاحكام السلطانية • وكما ركزت على الجماهير ، ودورها فذلك خشية أن تعطينا القيادة تفسيرا للإسلام ونقول هذا هو الاسلام الصحيح ، ويكون مضادا للمصالح العامة ، والشواهد على هذا كثيرة ، وربما الاشتراك مع القيادة ، من أهل العقد والحل ،

يساعد على فهم الاسلام من الناس فهما صحيحا ، حتى لا تتدخل
الاهواء والرغبات •

وهنا أقول ان مصالح المسلمين فوق الجميع ، ولا أريد أن يكون
الفقهاء بمعيددين عن الواقع ، كما حدث في بيزنطة ، أيام كان يحاصرها
محمد الفاتح ، وهم يتناقشون في العلاقة بين الله والابن والروح
القدس • أى علينا أن ندافع عن مصالح الناس ، ونحن لسنا علماء
أصول دين ، ولكننا علماء أصول فقه ، أى يتصدى الفقهاء للمصالح
العامة ، وبالتالي ، أرصد ما هى القضايا الجوهرية التى على الاسلام
أن يجابها حتى لا أتهم اننى فقط ذو لحية ، وذو مسبحة ، واننى
أدعو الى الحجاب ، واننى أريد قطع يد السارق ، ورجم الزانى ••
والخ من مجموع الدعاية المضلة التى تقال فى الحكم الاسلامى ، كلمات
حق يراد بها باطل •

وهناك سبع قضايا تمثل تحديات الامة وهى :

أولا : قضية تحرير الارض ، هذه القضية الهامة ، حتى عند
الفقهاء القدامى نالت الاهتمام الخاص ، ففى الفقه الحنفى ، لا تجوز
الصلاة ، « فى الدار المغصوبة » لان تحرير الدار سابق على الصلاة
فيها •• أى أن قضايا الجهاد وتحرير الارض أمر الهى ، وهو أصل
من أصول الاسلام ، ولهذا فالاسلام يدعونا الى تحرير الارض •

ثانيا : قضايا العدالة الاجتماعية ، الكنائس المسيحية فى العالم

الغربي ، توزع الخبز على فقراء المسلمين في تشاد ، والهند ، هناك قضية رئيسية في المجتمعات الاسلامية ، وهي ان الثروة في ايدي البعض ، غنى ، غرق غنى ، فوق غنى ، وفقير فوق فقير ، فوق فقير ، وهذا لا يرضاه أحد ، والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم قيل يا رسول الله أهى الزكاة ؟؟ .. قال في المال حق غير الزكاة . وهذه قضية لا أستطيع التخلي عنها ، والا فتكون أفكار كثيرة قد سبقتنى الى العدالة ، وأخسر أنا ديني ، وجماهيرى وأمتي ، وأساعدهم على الذهاب الى من يغنى على هذه النعمة وأنا أولى بها .

ثالثا : قضايا الحريات ، الاجتهاد مفتوح للجميع ، والدين النصيحة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، وقول الحق في وجه امام جائر شهادة عند الله كما نعلم ، غانا لا أخشى أحدا ، ولا أنضم الى حزب تحت الارض ، وأن يكون للمسلمين منبرهم يعبرون عن آرائهم ، أى نعطي للماركسيين « جريدة » والقوميين جريدة ونحرم المسلمين حريتهم ليقولوا كلمتهم في قضايا الامة وبصراحة ، ما رأيهم في الزراعة والسياسة ، والصناعة ، والتجارة .. الخ .

ابن حزم يقول الارض لمن يزرعها ، أى يفلحها الى أى حد هذا صحيح ؟ وهناك اجتهادات رائعة « ليوسف القرضاوى » في الملكية وتوزيع الثروة وغيرها ، فقضية توزيع الثروة في العالم العربي الاسلامى قضية هامة ، فتحن أمة ، يضرب بها المثل بأعلى درجات غناها ، وأشنع درجات فقرها ، وهذا لا يرضاه الله ولا الرسول ولا الخلفاء .

رابعاً : قضايا الوحدة والتجزئة : نحن أمة واحدة ، الهكم الله واحد ، وأنا ربكم فاعبدون ، وأنظر الى هذا التشتت ، وكأننا نطبق شعار الاستعمار (فرق تسد) ولا يعقل أن يكون هذا الانفصال وهذه الدماء في أمة واحدة .

خامساً : قضايا الهوية والتغريب : ولا يعقل أن نكون في حياتنا ، وسلوكنا ، وتصوراتنا باستمرار الشخص « الآخر » الذي يعيش فينا ، اذا أردت أن أفعل أقلد في بناء المطار ، والمستشفى وطريقة التفكير وكأنني أصبحت عاجزا ولهذا فان قضايا الهوية ، والتأكيد على الهوية قضية أساسية ، حتى لا تحدث انفجارات ، هل أنا ضد « الآخر » ، كما حدث في ايران ؟ ! وقد تكون الحركة الاسلامية معذورة في التمسك بالعادات الاسلامية حتى بأشكالها ، لمواجهة أنماط التغريب المفروضة لقد درست في الولايات المتحدة أربع سنوات ، وكنت أدرس تطوعا خارج الجامعة للاخوة المسلمين في أمريكا من أصل أفريقي ، كنت أدرس لهم اللغة العربية ، والقرآن الكريم ، فنصحتني أخوة لي سبقوني من انتقاد السبحة ، واللحية ، وذبح الكبش في الاعياد ، ولبس الطربوش الاحمر ، قالوا لي اياك أن تنتقد هذه المسائل ، لان هؤلاء المسلمين يواجهون عنصرية بغیضة ، ويقاومون « الآخر » . فالاسلام يعطيه هوية ، وهذه الشعائر ، تعزز موقفه في مقاومة « الآخر » .

سادساً : قضية التقدم والتخلف : أنا غير مستعد على الإطلاق أن يتهمني الآخرون بالرجعية لاننى مسلم ، لاننى لست رجعيا .

فاسمع ما يقول عمر ، والله لو عثرت بقرة أو بغلة في العراق .. الخ ،
ولكننا الآن كشعوب بأكملها نعثر كل يوم في مخيماتنا وقرانا ، ومدننا ،
وبالتالي فان قضايا التقدم والتخلف ، يجب أن نتبناها بصياغة
اسلامية .

سابعاً : مشاركة الامة ، وتجنيد جماهيرها : فالمرء بمفرده لا
يستطيع أن يفعل شيئاً ، وبالتالي أنا بحاجة للجماهير ، وتجنيدنا ،
ووضعها ، ضمن برنامج ، وكما خاطب الافغانى المسلمون . والله لو
كنتم ذباباً ، أو جراداً ، وحططتم على الجزيرة البريطانية ، لا غرقتموها !!
لماذا لم يتحول هذا الكم الى كيف ؟؟ وكيف أحوله ؟

سؤال : أنت تحدثت عن برنامج ، لكن كيف يتم تنظيم هذه
الجماهير ، تجاه قضية فكرية واحدة ، وبشكل منظم ، وهذا هو
التحدى الكبير الذى يواجهنا ، والنقاط السبع التى أثرتها قضايا
مطروحة كشعارات ، لكن كيف أحقق هذه الشعارات ؟؟ ان كل الذين
طالبوا بهذا انتهوا الى هذه « الحيرة » ، وانتهوا الى العنف مثل
« التكفير والهجرة » وغيرها من حركات ، لكن كيف أطبق برنامجاً
اسلامياً شاملاً ؟؟ ، وما هو بديل التكفير والهجرة مثلاً ؟ !

جواب : القضية المطروحة ، قضية هامة وخطيرة ، وهى ما هى
وسائل تحقيق هذا البرنامج ؟ وأريد أن أبدأ من الخاص ، قبل العام .
وهو قضية التكفير والهجرة . هذه الجماعة أنا أعرفها ، وفيهم من

طلبني ، وأحاورهم دائما ! لا نستطيع أن نتكلم عن جماعة التكفير والهجرة ، بدون استعمال منهج التحليل النفسي والاجتماعي . هؤلاء الناس ، نشأ تفكيرهم في السجن ، وهم في زنزاناتهم في أوائل السبعينات ، وكانوا يحاولون الإجابة على سؤال ما الذي حدث في حركة الإخوان المسلمين ، وهل حدث خطأ ، في الصدام بينهم وبين الثورة ؟ وكان كل ذلك يجري تحت أسواط التعذيب ، وبالتالي فهناك ظرف نفسي اجتماعي ، أي نقاش عن انهيار أكبر حركة إسلامية ، ربما شهدتها الإسلام المعاصر ، والتي كانت وريثة لحسن البنا ، ورشيد رضا . وانهيار أدل الوصول إلى الحكم الإسلامي باصطدامهم مع الضباط الأحرار . وانتصور ، وأنا أفكر تحت التعذيب ، مخرج الاظافر ، محروق الظفر ، وأنا برىء ! ! حتما سأبتدأرف . . . استشهد عبد القادر عودة ، وسيد قطب ، أكبر كاتب مقروء ، ومهما أكتب أنا الآن ، فانهم سيقروا أن سيد قطب ، ولا يقرأونني لأنه يعبر عن ظرف القهر والكبت . ولهذا كانت جماعة التكفير ، من أنصار الرأي الواحد ، والفكر الواحد ، مع العلم أن الإسلام يجيز الخلاف ، ولهذا مطلوب من المسلمين بجميع فرقهم أن يتحاوروا ، ويعطاء نوع جديد من التفكير ، يقوم على احترام الرأي الآخر . وأنا ضد أي حركة سرية ، لأن الحق ليس سريا ، لأن عيون السلطة أقوى من سرية أية حركة ، وبالتالي فإن الحركة الإسلامية تصبح حركة تأمرية ، كذلك فإن الحركات العلنية المسلحة حركات خاطئة ، ولا أرفع السلاح على أحد على الإطلاق ، ومادامت الأمة تقول لا إله إلا الله لا يجوز محاربتها ، والصحيح : أن ما ضاع شيئا فشيئا ، لابد أن يعود شيئا فشيئا . والحاكم حين يشعر أن كلمة الحق قوية ، لابد أن يقبل بها ، وإذا لم يعطنا الحاكم

القدوة ، تعطيه نحن القدوة ، وهذه معركة طويلة ، وليست سهلة ،
ونريد أن ننزع عن الاسلام الفكرة التي ألصقت به ، وهو خروج
وتكفير ، وحرب ، وقتل ، ومتفجرات ، وأنا أدعو من أصحابي الى
الدعوة الاسلامية الشاملة ، والتآلف بين القلوب .

سؤال : قلت ان سبب خروج جماعة التكفير والهجرة ، هو مناخ
التعذيب ، والتعذيب ليس هواية من هوايات الحاكم الذي عذبهم ، ولكن
وسيلة من وسائل كبتهم ، اذن هناك سبب قبل التعذيب ، وهو
التناقض . التناقض بين النخبة الرافضة للاسلام ، ومحكومة بفهم
قاصر للاسلام ، ومحكومة باعتبارات كثيرة ، يقابلها حركة اسلامية ،
مفادها ان هذا الحكم غير اسلامي ويجب محاربته ، وبالتالي يقع
الصدام ، وهنا الاشكال ، لان التناقض مركزي . كيف يمكن حل هذا
التناقض ؟؟

جواب : أساس هذا التناقض ، كما ذكرت الظروف النفسية ،
التي ظهرت فيها هذه الجماعة ، هذه الجماعة التي تتلمذت على المرحوم
سيد قطب ، وخاصة كتاب معالم في الطريق ، الذي حدد فيه استحالة
اللقاء بين الحق والباطل ، وكتاب معالم في الطريق ، وضع في السجن ،
وماذا يقول معالم في الطريق ؟؟ يقول العالم ايمان وكفر ، أبيض
وأسود ، وانه لا توجد مصالحة بين الطاغوت ، والحرية ، ولا بد من
القلب الشامل للاوضاع على يد الجيل القرائي ، وأعتقد أن هذا
'لفكر سيظل مؤثرا في ضمير الجماعات الاسلامية طالما ظلت مضطهدة .
وقد تكون دعوتى لحرية التعبير ، واحدة من الاسباب التي تخفف

من هذا الاتجاه الذى تبناه الشهيد سيد قطب فى ظروف خاصة ، ولا نستطيع أن نقول الآن ، باستحالة اللقاء بين الطاغوت والحرية ، لان هناك درجات ، مثلا ، كل من يريد أن يساعد على الحرية فأنا معه ، كل من يريد إيقاف نهب الثروات أنا معه ، كل من يدعو الى وحدة الامة فأنا معه ، وبالتالى ، فالاصلاح ليس هو المهادنة ، ولكن الاصلاح ، فى أن ما هو قائم يمكن اصلاحه ، ولا يكفر لاننا أرسلنا هداة أولا .. هناك وعى تاريخى ضرورى للحركة الاسلامية ، لو قفزت على المستقبل أكون كالماركسى الذى يريد أن يبنى مجتمعا طوباويا ، أى الاحساس بالحاضر ، وان التاريخ له مراحل . وان كل محاولة للاقتراب من الهدف هى محاولة اسلامية اذ كيف أستطيع أن أهدم السلم الذى عليه بأسعد ؟ ! وهذه المرحلة ، هذا الاصلاحية هى التى اعتمدها حسن البنا فى الاربعينات ، حتى يأتى الاسلام محمولا على الاعناق ، ولا نريد للاسلام أن يأتى حكما انقلابيا ، أريد أن يأتى محمولا على الاعناق ويطالب به الناس .

سؤال : يبدو أننا نبالغ فى حركة التكفير والهجرة ، ويبدو أننا وقعنا فى فخ أعداء الاسلام ، الذين نفخوا فى أهداف التكفير والهجرة ، بقصد الاساءة للاسلام ، وكأن الاسلام هو هكذا دموى ، وقمعى ، والمطلوب الآن من المفكرين المسلمين ، وضع هذه القضية فى اطارها الصحيح ، وأن نطرح الاسلام الصحيح ، كى يفهم على حقيقته . كيف نستطيع أن ننقل قناعاتنا العقلية الاسلامية لاجيال شبابنا ، وللامم الاخرى أى عملية النصح الضاغط ، وتلوين المجتمع باللون الاسلامى ؟

جواب : تأكيداً للحديث ، تصوروا أنه في محاكمة « شكري مصطفى ورفاقه » ، قال أريد أن أطلب شيئاً واحداً ، ثم اقتلوني بعده ، وهو ، « انشروا كتاب الخلافة قبل أن أموت » !! ورفض له هذا المطلب ، أنا قرأت هذا الكتاب مخطوطاً ، وأعطته لى « المباحث العامة » لمدة ساعة ، وكأنه « حشيش » ، ولو أنه نشر لكان كتاباً عادياً ، لكن هذه صورة من صور القمع • شكري مصطفى طالب أن يأتى رجال الأزهر ليناقشهم فيما يقول ، رفض طابعه أيضاً !! تصوروا أن التانى الذى حاكم شكري مصطفى تنازل عن القضاء بعد المحاكمة ، ورفض القضاء ، والآن تصوف واتجه للإسلام • المحامون الذين ترافعوا في قضية جماعة الجهاد بدأوا اعتناق الفكرة الإسلامية ، من صدق هؤلاء الشباب ، وراء القضبان • ولهذا فإن حرية التعبير قضية أساسية في التخفيف من ردة فعل الشباب الذى ذهب باتجاه التطرف . وإذا كنا نسمح للمراكز الثقافية في بلادنا ، شرقية وغربية ، لماذا لا نسمح بمراكز ثقافية إسلامية ؟ ! والإسلام روح الأمة ، وتراثها وتاريخها ، وهو الشرع • والمطلوب ، ايجاد تنظيم عام يلتقى فيه المسلمون على شعار العروة الوثقى ، والله ولى التوفيق •

(د) المرأة العربية محرومة من حقوقها كمسلمة :

● تعدد الزوجات يتطلب العدل في العواطف وهذا مستحيل •

● القضية ليست حقوق فالرجل بلا حقوق أيضاً •

تشغل قضايا المرأة تفكير الكثيرين فنسمع أصواتاً ترتفع تارة

تؤيد وأخرى تعارض وكل له حججه وبراهينه . وإذا كانت المرأة الاوربية قد وجدت في ظروف تفرض عليها أن تصارع لتتال بعض حقوقها

زهرة الخليج ١٩٨٥/٦/١٥ أجرى الحوار بمدينة العين انشراح الجداوى وقد صدرته بالفقرة الآتية :

الحديث عن حقوق المرأة المسلمة التى اعترف بها وشرعها لها ديننا الحنيف لن يتوقف ، مادام هناك نساء مسلمات مؤمنات بهذه الحقوق ، ومادام هناك رجال مسلمون يعترفون بهذه الحقوق ويفهمون الروح السمة لشريعة الاسلام ..

وهذا الحديث يكتسب بعدا جديدا وأهمية خاصة اذا كان طرفا فيه واحد من أبرز المفكرين العرب الذين طرحوا قضية الاصاله والمعاصرة فى فكرنا الحديث ، انحازوا بلا تعصب الى الاصاله متمثلة فى الفكر الاسلامى ، شريطة أن يحكمنا العقل وروح الاسلام الثورية الوثابة التى تؤمن بقيمة الانسان وحرية وحقه فى تقرير مصيره سواء كان رجلا أو امرأة .. وليس أدل على ذلك من اقرار الدين لحق الفتاة فى اختيار شريك حياتها مثلا .. انه الفكر العربى المصرى الدكتور / حسن حنفى استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة .. والاستاذ الزائر بجامعة طوكيو فى اليابان والاستاذ الزائر بجامعة الامارات حاليا ..

ثم قامت بالتعريف الآتى :

من هو الدكتور حسن حنفى ؟

من مواليد القاهرة سنة ١٩٣٥ .. تخرج من جامعة القاهرة سنة ١٩٥٦ ، وحصل على الدكتوراه فى الفلسفة من فرنسا سنة ١٩٦٦ ثم عين استاذاً زائراً بجامعة تمبل بأمريكا وفى جامعة طوكيو باليابان .. كما قام بتأسيس الدراسات العليا بجامعة فاس بالمغرب .. وهو الآن استاذ زائر بجامعة الامارات ..

اهم مؤلفاته :

بالفرنسية : مناهج التفسير — ظاهريات التفسير . اى كيف يفسر النص (القانونى ، الدينى ، الادبى ، الفنون الشعبية ، الحكم والامثال) .

المسلوبة ، فان المرأة العربية المسلمة أمامها سياج يحميها من ذلك ، فالقرآن الكريم يطيها كثيرا من الحقوق ولو حرصنا على تطبيقها لاصبحت المرأة المسلمة على غير ما هي عليه الآن .. لقد كرمها الاسلام خارج وداخل بيتها ، وحفظ لها حقوقها وكرامتها بل وعمل على رفع شخصيتها المعنوية من خلال الخطاب القرآني نفسه ، والمرأة المسلمة التي تضاف الله في دينها ودنياها تعتبر قدوة للمرأة في العالم واذا كان هناك بعض الحدود التي وضعها الاسلام فلا شك ان الهدف منها هو حمايتها وحماية أسرتها وأطفالها ..

قلت : ما هي حقوق المرأة العربية المسلمة ومدى ما تحقق منها في رأيك ؟

قال : في حقيقة الامر ليس هناك شيء اسمه قضية حقوق المرأة

بالانجليزية : الدين والثورة ، والدين والتنوير ، الدين والتغير الاجتماعي : اما بالعربية فقد عمل في حقلين هما :

الترجمة : رسالة في اللاهوت السياسية (لاسبينوزا) — تربية الجنس البشري (للسنج) — تعالى الانا موجود (لسارتر) .

المؤافات العربية : قضايا معاصرة (كيف يمكن تجاوز الهزيمة) — الثقافة الوطنية واليسار الديني — التراث والتجديد (كيف تنهض الحضارة الاسلامية) — الكبير (من العقيدة الى الثورة) اعادة بناء التوحيد — والآن اعيد بناء علوم الحكمة القديمة ..

الحالة الاجتماعية : متزوج وله ثلاثة ابناء واسرته تقيم الآن باليابان .

العربية ، انها قضية مغلوطة ومستوردة من أوروبا ، ففي الغرب تشغل هذه القضية المرأة لوضعها غير الكريم خلافا للمرأة العربية المسلمة ..
ففي أوروبا والى وقت قريب كانت المرأة لا تتمتع بحق الانتخاب وفي أمريكا اذا قامت المرأة بنفس عمل الرجل فانها تتقاضى أجرا أقل ..
وليس هناك حتى الآن قانون يساوى المرأة بالرجل ، ولذلك نشأت قضية المطالبة بالمساواة والحريات التى يتصورون أنها حرية الاجهاض والشذوذ الجنسى ..

قلت : هل يعنى ذلك ان الاسلام لم يعط المرأة حقوقا ؟

فقال الدكتور حسن حنفى معترضا : لا ليس هذا ، لكن المشكلة الحقيقية تكمن فى واقع المرأة فى حياتنا ووضعها فى مجتمعاتنا وهذه مشكلة اجتماعية صرفة وقد لا يختلف فيها الرجل عن المرأة .. فاذا أخذنا قضية الحقوق على سبيل المثال سنجد أن الرجل عندنا ليس له حقوق .. اذن القضية الرئيسية هى حقوق المواطن سواء أكان الرجل أو المرأة .. واذا تحدثنا عن العقل فسنجد البطالة موجودة بين الرجال والنساء .. وفى التعليم ، نجد أن الصبى الصغير فى الريف لا يتعلم مثل الصبية الصغيرة .. وبالنسبة لحق الانتخاب فالرجل لا ينتخب مثل المرأة .. أما بالنسبة للحرية والتعبير عن رأى .. فلا الرجل يتمتع بذلك ولا المرأة .. اذن هناك قضية عامة هى الحريات التى لا فرق فيها بين المرأة والرجل كما أكدتها الشريعة الاسلامية ، فالخطاب فى القرآن الكريم موجه دائما كالتالى : يا أيها الناس ، يا

أيها الذين آمنوا ، يا أيها المؤمنون والمؤمنات ، وغير ذلك .. باستمرار
اذن هناك تركيز على الاثنين ولا فرق في الخطاب القرآني بين المرأة
والرجل من حيث الحقوق .. نستطيع اذن أن نعرف الميزات الضخمة
التي حققتها الاسلام للمرأة اذا قارنا حالها قبل الاسلام بحالها بعده ..
فالشريعة الاسلامية تعطي المرأة شخصيتها المعنوية باعتبارها كائنا
حيا ووجودها ليس عيبا ولا سببا لسواد الوجوه ، فيكون الخطاب
البالغ والقول العظيم « واذا الموعودة سئلت بأي ذنب قتلت » .
والمرأة العربية المسلمة تبقى محتفظة بشخصيتها وهويتها بعد الزواج
فلا تنادى باسم زوجها كالأوربيات ، كما أنها تتمتع بحق البيع
والشراء ..

أما عن تعدد الزوجات فقد كان الزواج قبل الاسلام مشاعا وبلا
حدود ، ولكن الاسلام حرم معظم الحالات ولم يتبق الا الزواج في
نطاق الاسلام ، وقد أباح الاسلام تعدد الزوجات في حالات ضرورية
استثنائية صرفة .. وضمنها الفقهاء على أن يستأذن الرجل زوجته ..
وقد كان لهذا ما يبرره . فالظروف تتطلب مثل هذا التشريع نظرا
لاستشهاد عدد كبير من المسلمين في الجهاد وبقاء أعداد كبيرة من
النسوة بدون أزواج ، ودرءا للاخطار كان يسمح بالزواج بأكثر من
واحدة منهن .. والاسلام دين واقعي جدا ، ففي حالة عدم وجود
أفضل الحلول يأخذ أقل الحلول شرا .. كما أعطى الاسلام المرأة
حق التعليم والعمل اذا أرادت وحق الجهاد كذلك وكل ما يتعلق
بحقوقها المالية والتجارية ، ولها أيضا الحق في رؤية من يريد لها للزواج
قبل اتمامه وحق رفضه اذا رأت أنه لا يناسبها ، ولها الحق أن تكون

العصمة بيدها لو أرادت ، كما أن لها الحق في الصداق ومقدم المهر ..
وفي الحقيقة لو عرفنا وفهمنا جيدا الحقوق التي منحها الاسلام للمرأة
لقلنا ياليتنا نصل الى هذه الحقوق .. ولكن ربما كانت هناك بعض
الحدود التي تشوه وتروج لكن لها أسبابها مثل عدم السماح للمرأة
بالصوم والصلاة في حالة الحيض واعتقد أن هذه عملية نظافة صرفة
ولا دخل للمفاضلة فيها وليس لنقص في المرأة أو لأنها دون الرجل ..
وأیضا عدم السماح لها بالحج الا مع محرم .. وهذه أيضا ليست
لقصور فيها ولكن لحرص الاسلام على حمايتها من المضايقات التي
قد تتعرض لها في زحام الحجيج .. أما عن عدم جواز قبول شهادة
امرأة واحدة ، فهذا أيضا ليس تمييزا أو تفضيلا أو لنقص في المرأة ..
ولكن للتذكير فقط ، والرجل أيضا قد تغلب عليه العواطف كما هي عند
المرأة .. والحقيقة أنه ليس هناك دين ولا شريعة أعطى للمرأة ما
أعطاه لها الاسلام .

وسألته : ماذا عن واقع المرأة العربية ومظاهر الغبن الواقعة

عليها ؟

فأجاب : إذا كان واقع المرأة مريرا فكذلك واقع الرجل ، فكلاهما
يعانى من هذا الواقع الذي نعيش فيه .. وإذا كان هناك مظاهر غبن
على المرأة فانها ناشئة عن الوضع الاجتماعى وليس من الدين الاسلامى
مفى مجال التعليم مثلا يظل سائدا في نطلق الاسرة ان المرأة ليست
مطالبة بالتعليم مثل الرجل ، فتعليمها قضية ثانوية لا تلقى التشجيع
أو الاهتمام . لكن هذا جهل فالمرأة تشكل نصف المجتمع وعليها أن تدافع

عن حقها الطبيعي في التعليم .. وفي السياسة ، ينظر للمرأة التي
تشارك في الحياة السياسية على أنها شذوذ عن القاعدة .. لماذا ؟
ليست شريكة الرجل في كثير من الاشياء .. فلماذا تحرم من حق
المشاركة في الحياة العامة ؟ أما بالنسبة للمناصب العليا فانه على
المستويات الرسمية لا يسمح للمرأة بالوصول الى المراكز القيادية
العليا ، فقط عليها أن توقف عند سقف معين ولا تتعداه . ليست هي
« شجرة الدر » و « زنوبيا » قبل أن تكون « انديرا غاندي » و
« تاتشر » و « جولدا مائير » ؟ بل انه غير مسموح للمرأة بالخروج
الى الحياة العامة فالظن ان المرأة أقل نشاطا ولذلك يجب أن تكون
مساهماتها في الحياة العامة محدودة جدا .. بل وأحيانا لا يسمح لها
بأى دور حتى ولو كان مجرد الخروج واذا تحقق ذلك يكون بين كم
هائل من القيود .. وبخصوص مهمة التربية وتحمل آعباء المنزل فهي
تقوم بأخطر دور . ولقد أثبتت المرأة العربية أنها أفضل بكثير من المرأة
الاوربية ، انها مستعدة للتضحية في سبيل أبنائها بينما الاخرى ليست
مستعدة للتضحية حتى بعطلة نهاية الاسبوع مما كان السبب . والمرأة
العربية لا تتحمل عبء التربية فقط بل عبء القيام بالاعمال المنزلية
رغم وجود المساعدين والخدم في عدد لا بأس به من المنازل مما يجعلها
تئن وتتألم ..

واذا ما حدث خروج على القواعد في الصلة بين الرجل والمرأة
فان المرأة عادة هي التي توجه لها أصابع الاتهام ، وتظهر كما لو كانت
هي المجرمة بينما الرجل يعتقد بأنه حر ولا صلة له بما يحدث وحتى
ينسى انه طرف في ذلك !!

وعن وضع الارامل والمطلقات قال أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة:
في الحقيقة هذه الفئة من الناس تكاد أن يقضى عليها في مجتمعاتنا
العربية وذلك من النظرة الاجتماعية المتخلفة والظالة التي تقترن
بهن حتى انهن يشعرن بأن وجودهن غير مرغوب فيه ، بل يعشن بين
كم هائل من الملاءات وكأن هذا كتب عليهن . فهن في مجتمع تقليدي
نظرة ظالة جدا . فكيف يمكن لهن العودة للحياة من جديد ؟ وان المجتمع
يعاملهن وكأنهن أصبحن شرا أو فسادا حتى يموت الشباب ويمر
العمر وتذبل الوردة ..

ان من بين مظاهر الغبن الواقعة على المرأة العربية ان نقاط القوة
فيها لم تظهر بما فيه الكفاية في مجلاتنا النسائية العربية . فقد خضعنا
لتقليد المجلات النسائية الاوربية ، فالمرأة العربية ليست فقط هي
المرأة بنت الطبقة العليا التي تريد آخر صيحات الموضة والذهب
والعطر .. لكنها المرأة التي في الطريق وبين الطبقات الشعبية والتي
هي الغالبية العظمى من النساء .. وفي هذه الحالة يجب أن تتميز
المجلات النسائية العربية وتكون تعبيرا صادقا عن وضع المرأة العربية
بمميزاتها وأفضالها وأوضاعها الاجتماعية السلبية ، عندئذ نستطيع
أن نقول بأن المجلات النسائية العربية استطاعت أن تتجاوز مرحلة
التقليد وتفرض خصوصيتها في الاعلام .

سألت : ما هو رأيك في الغاء قانون الاحوال الشخصية في مصر ؟

فأجاب : ان الغاء هذا القانون لا يعنى عدم الايمان بالمواد التي
م ٢١ - اليمين واليسر في الفكر الدينى

احتواها • فهي مطابقة تماما لحكم الاسلام ، ومضمونها لا يختلف عن مقاصده لان الرجل الآن يسىء استعمال الطلاق ••
ففى تونس مثلا لا يجوز طلاق الرجل للمرأة بمجرد كلمة قالها وهو غاضب ، واسلاميا هذا لا يجوز ، فالرجل عليه أن يذهب للقاضى ويتحدث اليه ليتعرف منه على الاسباب الحقيقية لهذا القرار ويحاول اصلاح البين ، واذا فشل فى ذلك فان القاضى يصر على سماع كلمة منه ، واذا ما أساء الرجل استعمال أى حق فانه من الممكن أن يفتزع منه دون اصدار قوانين •• لكن ما أخذ على قانون الاحوال الشخصية فى مصر هو الاشخاص الذين كانوا وراء اصداره وصدوره فى ظرف معين • ولذلك فان وجوده كان مقتربا بوجود الظرف الذى صدر فيه • ان القانون لم يمر على المجالس الدستورية فلم يرتبط بالناس ولم يكتسب صفة الشرعية ، فيجب أن يوضع القانون بعد نقاش بين العلماء وحوار مع ذوى الاختصاص ودراسة متعمقة لواقع المرأة أحوالها ومشاكلها وما تتعرض له فى ظل الظروف القاسية التى نعيشها الآن •

أما بالنسبة لتعدد الزوجات ، فأعتقد أن الاسلام دين واقعى يعرف أن الغريزة الجنسية رئيسية عند الرجل ، ومن ثم فانه قد لا يوجد دين أعطى اشباعا للرجل قدر ما أعطى الاسلام من خلال (الزواج المبكر ، تعدد الزوجات) بعد أن ألغى مظاهر ارضاء الغريزة القديمة وقضى عليها فلم يعد هناك اماء ولا جوارى ولا زواج المتعة •• هذا كتنظام صورى واقع • لكن الظروف والاحوال تغيرت. ونظرا لذلك أبقى الاسلام على التعدد كمخرج فى كثير من الاحوال شريطة العدل •

وانى أرى اننا فى الوقت الحاضر وفى ظل الظروف الاقتصادية الصعبة لا يمكننا تحقيق العدل المطلوب ، وذلك باعداد بيت مبيت كل زوجة وحتى الاثرياء ، فان هناك شيئاً لا يمكن أن يعدلوا فيه وهو ان عواطف الانسان لا يمكن توزيعها بالعدل . ولذلك فان هذا الزواج الثانى يكون غير شرعى .

(د) الفراغ السياسى والثقافى للشباب :

الظاهرة موجودة فى صورة غير سوية منها السفر الى الخارج أو الانضمام الى جماعات دينية أو روابط فكرية بالداخل لسد هذا الفراغ والانغماس فى متاعب الحياة اليومية .. ولعلها تظهر عندما ينعزل الشباب عن الحركة الوطنية الذى سبب بدوره غياب الولاء لقضية كبرى يعبر الشباب عن ولائه بالنسبة لها مثل : الاشتراكية ، الرأسمالية ، الصلح مع اسرائيل . كل هذه القضايا يجب أن يشارك فيها الشباب ، ولا تكون حكراً على القيادة السياسية حتى يمكن أن يملأ الشباب فراغه ، وذلك يتأتى باطلاق الحوار والسماح بالخلاف فى رأى . واختلاف الرأى رحمة ! .. فالجميع أثناء وطن واحد يتشرف بالانتماء اليه .

مايو ، ديسمبر ١٩٨٠ ، مناقشة حول : هل يعانى الشباب من فراغ
سياسى وثقافى ، ومن المسئول ، وما هو الحل ؟

هذا بالإضافة الى وجود أيديولوجية فكرية وهي « اسلامية مستتيرة » ، فالاسلام روح الامة وتراثها وتاريخها وحاضرها ، ومستقبلها .. وقد جربنا أيديولوجيات التحديث المعاصرة مثل « العلمانية ، الماركسية » فلم تنجح .. أما الاستنارة فتعنى تفسير الاسلام وعرضه طبقا لمشاكل العصر الاساسية .

ويجب أن تتحول مناهج التعليم من تلقين واملاء الى تفكير وبحث، لتنمية جوانب الخلق والابداع لدى الشباب ، وهذا يتحقق باستقلال الجامعات ، ويتحمل أيضا الاعلام مسؤولية التعبير عن وجهات نظر الشباب وفتح المجال لهم للمشاركة بالرأى وعرض الآراء كافة دون سيادة رأى واحد !

(و) الشورى عقيدة وممارسة :

● لا يجوز أن يكون في المجتمع طبقة مترفة وطبقات محرومة تعيش في أكواخ الصفيح .

ان الحديث عن الاسلام كتوع من ارضاء الذات ، والشعور

الرأى العام ، ديسمبر ١٩٨٣ ، ندوة حزب الشورى والاستقلال بمدينة فاس ، وهي المحاضرة التي استدعيت بعدها الى قسم الشرطة لقضاء ليلة وي بعدها امرت بمغادرة المغرب في نهاية العام الدراسي ١٩٨٤/٦/٢٠ . وقد صدرت الجريدة خلاصة المحاضرة بالفقرة الآتية :

بالغبطة والسرور لنوع من التخدير النفسى عما يحيط بنا من مآسى اجتماعية تتجلى فى مظاهر الفقر والتسلط من ناحية والمظلم الاجتماعى من ناحية أخرى . كما أن الهروب اليه كتوع من تغطية النقص

فى نطاق التوعية السياسية التى يلتزم بها حزب الدستور الديمقراطى على مستوى قاعدته الشعبية نظم الحزب بمدينة فاس ندوة حول موضوع: « الشورى عقيدة وممارسة » .

ولقد شارك فى هذه الندوة بالاضافة الى الاستاذين حماد العراقى ، وعبد الواحد معاش كلا من الدكتور محمود اسماعيل استاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب بفاس ، والدكتور حسن حنفى استاذ الفلسفة بنفس الكلية . وادار الندوة الاستاذ محمد بن زكري الكاتب العام للحزب بالعاصمة العلمية .

ونظرا لاهمية الندوة ، وما طرح فيها من افكار ونظريات حول « الشورى » كنظام للحكم فى الاسلام ، فقد ارتأينا أن نقدم لقراء جريدة الراى العام الجزء الاول من الندوة ، ويشمل تدخل الدكتور حسن حنفى ، وتدخل الدكتور محمود اسماعيل .

قال الدكتور حسن حنفى فى تدخله : ان الشورى هى الجانب السياسى من نظرية الاسلام فى الحكم التى تشمل جوانب سياسية أخرى ، بالاضافة الى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والقانونية .

واكد ان المجتمع الواحد الذى فيه انسان واحد جلع تبرا ذمة الله منه . واثبت انه لا يجوز أن يكون فى المجتمع طبقة مترفة تبني القصور المزخرفة بالنقش العربى وطبقات محرومة تعيش فى اكواخ الصفيح . واعاد الى الازهان ، أن الشورى عقد وبيعة واختيار . وأن الساكت عن الحق شيطان أخرس .

اما الدكتور محمود اسماعيل فقد جاء فى تدخله : ان العالم الاسلامى يعانى أزمة ، سواء فى اوضاعه الداخلية او فى علاقاته الخارجية ، مقترحا مدة حلول يمكن على ضوءها تطبيق الشورى الاسلامية لتجاوز الأزمة الراهنة .

النظرى لدينا فى أزمة الحريات وقضايا الديمقراطية لن يساعدنا فى حلها أو معالجتها •

والحديث عن « الشورى » هو تناول لجزء من نظرية أعم هى « نظرية الحكم » فى الاسلام ، فلا يمكن اذن فصل الجزء عن الكل ، وأن نأخذ ما يرضينا وما نضمن به السلامة وعدم الدخول فى صراع سياسى مبكر غير محمود عواقبه •

فالاسلام كل واحد ، يؤخذ كله أو يترك كله • وحتى فى حالة الحديث عنه ككل فان هذا الحديث لا يكون نوعا من الاعجاب بهذه المثل العليا ، والبناء الانسانى ، بقدر ما يكين قياسا على الواقع ومعرفة الى أى حد يبعد واقعنا عن هذا المثل الاعلى • وكل من يستعمل الاسلام كموطن اعجاب فانه يستعمل سلاحا ذو حدين ، قد يتوجه ضد الآخرين من مجرد قول ونظر الى عمل وممارسة •

« الشورى » اذن هى الجانب السياسى من نظرية الاسلام فى الحكم التى تشمل جوانب سياسية أخرى ، بالاضافة الى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والقانونية ، وهى كلها جوانب تكاملية تكون نظرية واحدة • فالشورى فى الاسلام بالرغم من أهميتها ذكرت كلفظ ثلاث مرات : الاولى بمعنى التشاور بين الزوجين للإصلاح « فان أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » • وهو ليس المعنى السياسى المقصود • والثانى « فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الامر » • والثالث « وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » •

والمعنيان الثانى والثالث هما المقصودان • ولكن « الشورى »
كنظام انما أتى ضد أى نظام سياسى يقوم على التآليه (نظام فرعون
مثلا) الذى قال « أنا ربكم الاعلى » • فالله وحده هو المالك « وله
ملك السموات والارض » وهو الوارث « وله ميراث السموات
والارض » ، وهو الحاكم « فاصبروا حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير
الحاكمين » • ومن ثم يرفض الاسلام أى نظرية يحكم فيها البشر ،
فالحاكمية لله وحده •

ومع النظرية السياسية هناك النظرية الاقتصادية ، فلا سياسة
بلا اقتصاد ، ولا اقتصاد بلا سياسة • فالمال مال الله ، والانسان
مستخلف فيما بين يديه ، تركه الله وديعة عنده ، له حق التصرف ،
وحق الانتفاع وحق الاستثمار ، وليس له حق الاكثار أو الاستغلال
أو الاحتكار • فاذا حدث ذلك يكون للاسلام الحق فى التدخل بالمصادرة
(أموال السفهاء) والتأميم • فأكمة وسائل الانتاج التى تعم بها
البلوى لا يجوز أن تكون فردية ، الماء والكلا (الزراعة) ، والنار
(الصناعة) ، والملح (التعدين) وكل ما فى باطن الارض بما فى ذلك
النفط) • العمل وحده مصدر القيمة ، بدليل تحريم الربا ، فالمال لا
يولد المال ، بل الجهد والعرق والانتاج هو الذى يولد المال •

ولا يجوز أن يكون المال حكرا على طبقة الاغنياء « كى لا يكون
دولة بين الاغنياء منكم » ، الارض لمن يفلحها والانتاج للمنتج ، فلا
يجوز أخذ جزء من نتاج العامل باعتباره فائض قيمة لصاحب رأس
المال • ولا يجوز التلاعب بالاسواق أو فى الاسعار أو المضاربة فى
التجارة الى آخر ما يعرف فى الفقه الاسلامى فى « أحكام السوق » •

والنظرية الاجتماعية مرتبطة بالنظرية الاقتصادية وبالنظرية السياسية . فالمجتمع الواحد الذي فيه انسان واحد جائع تبرا ذمة الله منه . ولا يجوز أن يكون في المجتمع الاسلامي ، طبقة مترفة تبنى القصور المزخرفة بالنقش العربي وطبقة محرومة تعيش في أكواخ الصفيح على أطراف المدينة أو تتسول في الطرقات في وسط المدينة ، بل لابد من رد فضول أموال الأغنياء الى الفقراء . والفضول هو ما زاد على القوت والسكن والمشب والملبس . ففي القرآن « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وفي المال حق غير الزكاة . كما أن المعاملات في المجتمع لا تقوم على الغش فمن غشنا فليس منا أو الرشوة فقد لعن الله المرتشين بل يقوم الاسلام على قضاء حاجات الناس .

الجوانب الاقتصادية والاجتماعية اذن مكمله للجوانب السياسية . فاذا كانت الشورى قد ذكرت مرتين فالحكم ٩١ مرة ، والمال ٨٦ مرة ، والفقراء ١٢ مرة . والشورى بوجه خاص في الاسلام وكما يعرفها الفقهاء « عقد وبيعة واختيار » .

فالامام ليس ظل الله على الارض ، أو خليفة لله أو حاكما باسمه بل انه يحكم باسم المسلمين ويستمد سلطته منهم . وهو سلطة تنفيذية خالصة وليس سلطة تشريعية أو قضائية ، فالتشريع من القرآن والقضاء منه . ويقوم بالبيعة أهل الحل والعقد وهم أهل الاختصاص العاملون بالشرع (القرآن والسنة) وبمصالح المسلمين . فالامامة قضية مصلحية ترتبط بقضاء الحاجات . ليس أهل الحل

والعقد رجال الدين والمشايخ « فقهاء السلطان » الذين يبررون له قراراته ويزينون له أفعاله بل الذين يراعون وجه الله ويدافعون عن مصالح المسلمين .

وهناك رقابة على الشورى من السلطتين التنفيذية والتشريعية .
فوظيفة الحكومة الإسلامية هي « الحسبة » أى الرقابة على الدولة وعلى مصالح الناس وتطبيق الشريعة . ووظيفة القضاء تحكيم الشرع ، وبالرغم من أن قاضى القضاة معين من الامام الا أن الامام لا يستطيع عزله ، بل ان قاضى القضاة بإمكانه عزل الامام اذا تهاون في تطبيق الشرع أو صالح الأعداء أو ساومهم وأبتسلم لهم . امام المسلمين هو فرد بينهم ، قدوة لهم ، آخر من يأكل ، وآخر من يشرب ، وآخر من يلبس ، وآخر من يسكن .

طاعة الحاكم مشروطة بطاعته لله . لقد استقر في وجداننا القومى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » أى تراث السلطة . أكثر مما استقر ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان أعظم شهادة قول حق في وجه امام جائر ، والساكت عن الحق شيطان أخرس ، وهو تراث المعارضة . وفي خطبة أبى بكر تبراس للحكم « أيها الناس انى وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فان أحسنتم فأعينوني ، وان أسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فان عصيت فلا طاعة لى عليكم » .

(ز) كجوة الاصلاآ :

● مهتئ هئ اقاله الكجوة ووضف .أسس لفهضة ثابتة ودائمه
ومستمرة •

● ياليت للمفكرين قدرات الانبياء في التأصيل النظرئ والممارسة
العملية • ومع ذلك فالعلماء ورثة الانبياء •

● أتيت الى المغرب طائعا وأتركه مكرها •

● سيظل عقلي باستمرار مرتبطا بالطالب المغربي ، وقلبي مع
المثقف المغربي ، وروحي بالمغرب •

أنوال : الاستاذ حسن ، باعتباركم تلقيتم في الاصل دراساتكم
العليا في أوربا (فرنسا) وعلى أبرز مفكرها في الخمسينات .. كيف
ترون الى موقعكم فيها والى موقفكم منها ، خصوصا وقد أخذتم عن

أنوال الثقافئ ، العدد ٢١ : السنة الخامسة ١٦/٦/١٩٨٤ ، وقد
درت الجريدة المقابلة التي أراها عبد الصمد بلكير بالفقرة الآتية :

الاستاذ حسن حنفئ ، الفكر الاسلامئ المجدد ، المهتم بقضايا تجديد
التراث العربي — الاسلامئ وتأسيس فكرنا المعاصر ... يغادر هذه السنة
جامعة محمد بن عبد الله (بفلس) ... ويودع المغرب ... ذكرها .

جوابا على أسئلة « أنوال » يتحدث عن حياته ... مصر ...
التاريخ ... تيارات التجديد الفكرئ في العلم الاسلامئ ... النظرية
والممارسة ... التراث ... وعن ...

مستشرقين من جهة وعن فلاسفة ، فتعتبرون أنفسكم ويعتبركم الكثيرون
مفكرا اسلاميا مجددا وربها يعتبركم آخرون مفكرا غربيا في آخر
التحليل ؟

حسن حنفى : تلقيت دراستى أولا فى القاهرة ، فى قلب العالم
العربى والاسلامى ، ومن خلال أزقتها وبين فقرائها نشأت أفكارى
الاولى . ولدت بجوار سور صلاح الدين ، فى القاهرة المعزية ، بجوار
جامع الحاكم بأمر الله ، ليس بعيدا عن حى الازهر والحسين . ووعيت
أولا الحرب الاوربية الثانية اذ أننى من مواليد ١٣ فبراير ١٩٣٥
وتمنيت هزيمة الانجليز الذين استعمرونا . وبعدها وعيت قضية
فلسطين ، وتطوعت فى ١٩٤٨ لتحريرها فرفضتنى الاحزاب والجمعيات
لصغر السن وهنا وعيت قضية الوحدة والتجزئة . وشاركنا ونحن فى
الثانوية فى ١٩٥١ فى حرب العصابات ضد الانجليز فى القناة وسرنا
فى موكب الشهداء . وساهمت فى الفورة الوطنية فى أواخر الاربعينات
مع طلبة الجامعة . وفى ربيع ١٩٥٢ دخلت الاخوان المسلمين فى الوقت
الذى اندلعت فيه الثورة فى الصيف . وعشت بوجدانى الاسلام
والثورة . وعشت مأساة ١٩٥٤ فى الجامعة ، والصراع بين الاخوان
ومنهم نجيب ضد رجال الثورة ومنهم عبد الناصر ، وعشت أسوأ
فترات حياتى الجامعية ، وشاركت فى نقد معاهدة الجلاء التى كانت
تعطى الحق لبريطانيا للعودة الى القناة فى حالة الحرب ، لم أصب فى
مظاهرة قصر النيل ولكنى بعدها اشتعلت عواطفى الثورية بعد تأميم
القناة فى ١٩٥٦ عندما تحول عبد الناصر الى بطل قومى . وفى سنوات
الجامعة ١٩٥٢ — ١٩٥٦ وعيت نفسى مفكرا ومجددا ومصلحا من

خلال الصراع بين الاخوان والثورة وضياع قضايا العصر من أجل الصراع على السلطة في حين أنه لا خلاف بين الاسلام والثورة من حيث حلولهما لها . وفي باريس وعيت الفكر المنهجي من خلال تتلمذي على الفلاسفة

أكثر من المستشرقين فتعلمت على جان جيتون Jean Guilton

الذي كان بدوره مفكرا كاثوليكيًا مجددًا ومع ذلك يعارض التجديد الجذري المسيحي مثل رينان ولوازي ، وكان أقرب الى نيوهمان وبسكال وأوغسطين . تعلمت منه مناهج الفكر والتجديد وتاريخ الفلسفة وهو الذي قدمنا للمؤتمر المسكوني الواحد والعشرين في الدورة الرابعة . كما تعلمت من ريكير الظاهريات . ووجدت في هوسرل تحليل الوعي وان كنت أشعر أنه بحاجة الى اكمال وانتقال من الوعي الفردي الى الوعي الاجتماعي ، من الانسان الى التاريخ ، ومن الداخل الى الخارج . ماسنيون هو الذي وجهني الى علم الاصول ، أصول الفقه ، لما قرأ مشروعى الاول الذي أعدته للحصول على دكتوراه الدولة وعمري آنذاك واحد وعشرون عاما بعنوان « المنهاج الاسلامي العام » فاستصغر سنى وقلة خبرتى ، وأشفق على من المجازفة التي لا يدخل فيها الا شيخ جاوز السبعين ، وحذرنى من « التأويل » الشيعي عند كوربان لانه غير مذ ، باطنى . تكون وعيى الاول في قلب العالم الاسلامي ، وتشكل في قلب عالم العربي وهذه سنة القدمات . عندما كان المتكلم يتكون في حضارته أولا ثم يفتتح على الآخر ثانيا . مضمونه من هويته ، وشكله من الآخر الذي كان اليونان في ذلك الوقت . أنا أعيد الكرة من جديد ، وأستأنف الحضارة الاسلامية في دورة ثانية ،

هذه المرة مع الغرب. وليس مع اليونان • وربما يظل الحكم القديم قائما ، نحن أتباع الغرب كما كان على ابن رشد سابقا ، تابعا لأرسطو أو شارحا له • هذه عملية طبيعية ، قدرة على الحوار مع الآخر ، التعرف عليه وتمثله واستيعابه من أجل الرد عليه ، والاسلام أوسع النظرات وأشملها ، والآخر جزء منها • لذلك جمع الفارابى أفلاطون الالهى وأرسطو طاليس الحكيم كما أجمع أنا بين هيجل وماركس ، بين المثالية والواقعية ، بين ديكارت وهوسرل ، بين العقلانية والتجريبية • والذي يرانى مفكرا غربيا مازال يعتبر الغرب مركز الحضارات والاطار المرجعى الوحيد لكل ما سواه من فكر واجتهاد • والسؤال المضاد هو الى متى سيظل الغرب مركز الدائرة ونحن المحيط ؟ وقد ينشأ هذا الالتباس فى ذهن المتحير بين كونى مفكرا اسلاميا مجددا أو مفكرا غربيا ناقلا من الموقف الحضارى الذى يعيشه المفكر فى جيلنا • فهو يعيش فى موقف حضارى ذى جبهات ثلاثة :

(أ) الموقف من التراث القديم •

(ب) الموقف من التراث الغربى •

(ج) الموقف من الواقع •

فالموقف الاول هو الذى يجعلنى أبدو مفكرا اسلاميا مجددا ، والثانى يجعلنى مفكرا غربيا ، والثالث يجعلنى مفكرا اجتماعيا سياسيا • والحقيقة أنه موقف واحد ابتداء من الواقع ومن قضايا العصر ، والتراث أحد مكوناته سواء كان القديم منه فى أعماق الجماهير

أو الغربى منه فى أذهان النخبة ، أنا مفكر واحد أعمل فى جبهات ثلاثة مفتوحة على ، وهى مهمة عدة أجيال منذ فجر النهضة العربية الإسلامية الحديثة ولم تنته بعد .

أنوال : منذ القرن ١٩ وخصوصا خلال القرن ٢٠ شهد العالم الإسلامى تيارات تجديد عديدة متنوعة بل ومتضاربة أحيانا ومتصارعة . ما هو فى تقديركم موقفكم منها ؟ وما هو تقويمكم النقدى — التاريخى والدينى أيضا لها ؟

حسن حنفى : بالفعل ، ظهرت ثلاثة تيارات رئيسية منذ القرن الماضى فى فكرنا الحديث تبدو مختلفة فى الظاهر ، وهى فى حقيقة الامر متشابهة من حيث الموقف الحضارى العام مع مجرد تباين فى حدة النبوة أو خفتها . ظهر التيار الاصلاحى ابتداء من رواده الاوائل مثل الافغانى ، والتيار الليبرالى الوطنى عند الطهطاوى ، والتيار العلمى العلمانى عند شبلى شميل . يركز الاول على اصلاح القديم ، وإعادة بناء التراث ولكن ثقله يبدو فى تحريك الجماهير واندلاع الثورات الوطنية ، وقد يكون ما نتمتع به الآن من دول مستقلة بعد حركات التحرر الوطنى أحد آثار هذا التيار وتحقيقا لاحد جوانب مشروعه فى القضاء على الاستعمار وان لم يتحقق بعد باقى جوانبه مثل الوحدة . ويركز الثانى على الدولة الوطنية المستقلة وأساليب العمران من زراعة وصناعة وتعليم ، يأخذ من الآخر ما يحتاجه الواقع ويعيد تأصيله من داخل التراث القديم باعتباره ثقافة وطنية للجماهير . وقد تحقق البعض منه مثل الدولة الحديثة وان لم يتحقق البعض

الآخر مثل التتوير ومقاومة التخلف والدفاع عن حقوق الانسان كمواطن حر . أما الثالث فانه يدعو الى العلم والعلمانية كأحد سبل التقدم والنهوض أسوة بالغرب ، ولا يحتاج الى تأصيلها في التراث القديم لانها جزء من التراث الانساني العالمى . تحقق البعض منه مثل الانفتاح على الغرب ولكن لم يتحقق البعض الآخر مثل العلم والعلمانية أو انقلبا الى ضدهما في الخرافة والكهنوت . ومع ذلك يغلب على هذه التيارات الثلاثة موقف واحد وهو تبني الليبرالية الغربية والانجهار بالغرب مما سبب بعد ذلك ظاهرة « المتغريب » .

ولكن الذى يحز في النفس هو أكثر من هذا ، ما أسميه « كبوة الاصلاح » . فقد تعاقب على كل تيار أربعة أجيال : جيل الرواد ، وجيل التلاميذ ، ثم تلاميذ التلاميذ ونحن الجيل الرابع وبداية الجيل الخامس . لقد بدأ الرواد بتحديد مشروعهم القومى طبقا لظروف عصرهم ومستوى ثقافتهم ودرجة وعيهم بقضايا العصر . ولكن ما أن يأتى الجيل الثانى حتى يخبو المشروع ولا يحدث فيه تراكم تاريخى ، ورصيد خبرات تجعله يتطور طبقا للظروف الجديدة وزيادة الوعي وعمق الثقافة . ثم يأتى الجيل الثالث فيخبو المشروع أكثر فأكثر وييهت ويتجاوزه الواقع ، ويصبح مجرد تاريخ . فاذا ما أتى الجيل الرابع فانه اما أن يتلاشى أو يتحول الى مشروع مضاد فينقلب على عقبيه . أعنى بكبوة الاصلاح أو النهضة هو عدم حدوث تراكم تاريخى كاف يجعل النهضة تتغير كيفا ونوعا ، عمقا واتساعا ، وان الصاروخ الذى يطلقه الرواد سرعان ما يهبط من جديد لدى الجيل الرابع قبل أن يخترق حجب الفضاء . مداه قصير ثم تبدأ من جديد تقريبا عند كل جيل ،

من الصفر ، وتصبح نهضاتنا وكيواتنا حلقات متصلة متداخلة ومتطابقة في المركز والمحيط ، كل منها يعود على بدء • مهمتي هي اقالة الكبسوة ووضع أسس نهضة ثابتة ودائمة ومستمرة لا تتحول بعد عدة أجيال الى ثورة مضادة • مهمتي ضبط الموقف الحضاري الذي منه نشأت هذه التيارات الثلاثة •

١ - اعادة بناء التراث القديم دون الوقوف منه موقف الدفاع كما هو الحال في التيار الاصلاحي أو موقف الهجوم كما هو الحال في التيار العلمي العلماني أو موقف الانتقاء كما هو الحال في التيار الليبرالي الوطني • الموقف النقدي من التراث هو الذي يعيد تأسيس الإصلاح ، عقلانية في التوحيد والعدل ، في العقليات والسمعيات •

٢ - تحجيم الغرب ، وردّه الى حدوده الطبيعية حتى تنتهي المركزية الاوربية ، وينتهي نقل المعرفة من الاستاذ الى التلميذ ، وبالتالي تبدأ الشعوب الاوربية ابداعاتها الذاتية ويعاد كتابة تاريخ الحضارة الانسانية ومساهمة كل حضارة فيها بنوع من العدل والمساواة فينتهي مركب العظمة عند الآخر ومركب النقص عند الانا ، وكأنها دورات تاريخية متعاقبة بين الاستاذ والتلميذ على مستوى الحضارات • ومن يدري فلربما كنا قادرين على أن نكون خالقين كما كنا في الماضي ، ونبدأ دورة ثانية لحضارتنا نقوم فيها بدور الاستاذ والآخر بدور التلميذ ، تشاركنا في ذلك الشعوب التاريخية أو شعوب الشرق ، من الصين والهند ويبدأ تاريخ الشرق من جديد •

أنوال : أنتم عالم أكاديمي يشتغل بالكتاب والحوار المتخصص

والفكر المجرد وأنتم في نفس الوقت مصلح ديني واجتماعي متمرس
بالصراع اليومي أحيانا • كيف توفقون بين الوجهتين ؟ بين الانشغال
بالنظر وعلومه وأيضا بالعمل ومقتضياته وشروطه ؟

حسن خنفي : الحقيقة أن ذلك تقليد من القدماء وسسنة في
تاريخنا • فلم يكن الاصولي الفقيه عالما أكاديميا ينظر ويبحث لتأسيس
نظرية لا مكان لها ولا زمان بل كان يبحث في سلوك الافراد والجماعات
ويحاول التعرف على عللها والعوامل المتحركة فيها حتى يمكن ترشيده
وتحقيق أكبر قدر ممكن من النفع ورفع أكبر قدر ممكن من المصرة •
وفي نفس الوقت كان يباشر ذلك بنفسه كشاهد على العصر يتصدى
للحكام والسلاطين فالساكت عن الحق شيطان أخرس ، والفقهاء
الاصوليون هم حراس المدينة وحماة الشرع • وكثيرا ما انتهى الكثير
منهم الى السجن والتعذيب والطرده والحرمان • والنظريات المجردة
تبدو كذلك ولكنها في حقيقة الامر تعبير عن عصر وتوجيه له بما في ذلك
العلوم النظرية الخالصة بل ويمكن أن أغالى وأقول بما في ذلك
الرياضيات البحتة • فمادام العقل انساني ويعيش صاحبه في عصر
فان الموقف الانساني يفرض نفسه بنفسه • هكذا كان الوحي في تطوره
من عصر الى عصر ، وتلك قوة الفكر وخصوبته • اذا كانت المثالية
تعويضاً عن مآسى الناس وإيقاعاً لهم في الاغتراب فانها تكون خدعة
أما اذا كانت توجيهها لحياتهم ودفعهم نحو تحقيق الطوباوية المرغوب
فيها ، فانها تكون واقعية أكثر من الواقعية الساذجة التي تتحدث عن
الاشياء والوقائع لاثباتها وليس لتفسيرها • ومع ذلك ، وحرصاً على
عدم التنازل عن التحليل العلمي الرصين والمسؤولية الاجتماعية العامة
م ٢٢ — اليمين واليسار في الفكر الديني

فاننى أكتب على مستويين • الاول تحليل علمى خالص حتى يبقى العمل فى تاريخ الفكر ومكون للحضارة وذلك مثل رسائل الثلاثة بالفرنسية فى الستينات « منهج التأويل » ، « تأويل الظاهريات » ، « ظاهريات التأويل » • وأيضا مثل « التراث والتجديد » و « من العقيدة الى الثورة » الذى سيصدر هذا الصيف • والثانى وصف للتجارب الفردية والاجتماعية بأسلوب يفهمه الجميع دون الوقوع فى الخطابة أو الجدل • فاذا كان الاول للخاصة فان الثانى للعامة دون أن يكون فى هذه القسمة أى قدح للطرفين • وفى نفس الوقت أشهد على العصر ولا أرفض محاضرة عامة أو ندوة أو حوارا أو حديثا أو توقيع بيان • وأحيانا لا أرفض الاشتراك فى مظاهرة شعبية فى صحن الازهر من أجل المسجد الاقصى والقدس وأن تكون أفعالى مصداقا لاقوالى هو خير حجة لاقتناع الناس بصدق ما أقول على الملأ وأمام الناس ، فى الجامعة وفى الطريق العام • ولكن مع التقدم فى العمر ، وكبر السن ، وثقل الحركة فاننى أحيانا أغلب البحث العلمى الاكاديمى أى النوع الاول ، وهو الابقى كما بقى « منطق » هيجل و « رأس المال » لماركس • وأترك الشهادة على العصر لغيرى خاصة وقد قمت بالكثير منها فى الستينات بعد هزيمة يونيو ، وفى السبعينات بعد الثورة المضادة فى مصر • ولما رأيت مخاطر ذلك على العمل الاكاديمى وتأخر مشروع « التراث والتجديد » أثرت اعطاء ما تبقى لى من عمر لانجازه • الاحداث سريعة ومتلاحقة ومؤلة ، والشهادة اليومية عليها تكون أشبه بالصراخ والعويل ، انما أعياها وأعمتها لمرحلة قادمة يكون فيها التأصيل النظرى هو سبيل الخلاص • ياليت للمفكرين قدرات الانبياء فى التأصيل النظرى والممارسة العملية ومع ذلك فالعلماء ورثة الانبياء •

أنوال : من أبرز مظاهر الفكر والممارسة السياسيين في النظام العالمي المعاصر وبالاخص في العالمين المسيحي (أمريكا اللاتينية) والاسلامي بروز حركات سياسية تستمد نظرياتها عن الدولة والمجتمع من التراث وبالاخص من الدين مؤولا تأويلا خاصا وملائما بحسب كل قائد ديني وكل فرقة دينية . كما ان من خصائصها عموما الميل الى العنف ورفض كل الشرعيات السائدة في المجتمع المحلي الوطني أو الدولي ، وكذا على مستوى المجتمع أو الدولة ، مع نوع من التعصب ترفض معه عقد الضروري من التحالفات مع الليبراليين أو الماركسيين مثلا . ما هو في تقديركم المعنى التاريخي الاجتماعي الثقافي لهذا الانبعاث الديني في عصرنا ؟ وما هو تقويمكم لهذا التداخل الذي يحدثه بين الروحانيات كمجال للدين والماديات كمجال السياسة ؟

حسن حنفى : صحيح أن الانبعاث الديني ظاهرة عامة اي . . . في انعام الاسلامي بل أيضا في العالم المسيحي وربما أيضا في المجتمعات اليهودية . ومع ذلك فكل انبعاث له خصوصيته ، وأسبابه وأشكاله . الانبعاث المسيحي في الغرب ربما يكون رد فعل على أزمة العصر الحديث ، وسيادة الآلة ، وسيطرة الصناعة ، وتوجيه الحاسبات الآلية لكل مظاهر الحياة ، وضياع القيم والولاء لمثل أعلى ، وانتشار الجريمة والانتحار ، أي باختصار فشل المشروع الغربي ، أكبر قدر ممكن من الانتاج لاكبر قدر ممكن من السعادة . حدثت أزمة الطاقة ، وسيطرت الشعوب على مواردها الأولية وأسواقها وعملياتها . لجأ الناس الى ما رفضه الغرب وهو القيم الدينية القديمة فهي أفضل من انتاج الغرب في عصوره الحديثة من عقلانية وتثوير وعلم وصناعة وتكنولوجيا . وزاد ذلك حريان أوربيتان طاحنتان وضياع المثالية

الاوربية على صخرة العنصرية الدفينة في حضارة الرجل الابيض ،
وجدوا في الدين ما يحرمهم من النسبية والتشكك والارادية والتزدد
والتذبذب والضياع •

لكن الامر مختلف عندنا في المجتمعات الاسلامية ولدى شعوب
أمريكا اللاتينية ، ففي أمريكا اللاتينية ظهر « لاهوت الثورة » أو
« لاهوت التحرر » على يد الرهبان الشبان مثل توريز ، جواتيريز ،
كامارا وغيرهم من أجل حل التناقض وملء الفراغ بين دور الكنيسة
المحافظ والمتعاون مع الاقطاع والرأسمالية الامريكية وبين الماركسية
المعارضة التي لا تعتقها الا النخبة • يقوم اللاهوت الثوري اذن
باعطاء الجماهير الكاثوليكية أيديولوجية ثورية مستحدثة من ثقافتها
الوطنية وهي المسيحية وفي نفس الوقت يتم تأويلها طبقا لقضايا
والاقطاع والقهر العسكري والسياسي والاقطاع الزراعي والرأسمالية
الصناعية • ولا يقول اللاهوت الثوري كله بالعنف والكفاح المسلح •
فان كان توريز ينادي بذلك ، وقام به بالفعل فان كامارا يدعو الى ذلك
بالسلم والدعوة بالكلمة • والعنف في حقيقة الامر هو عنف مضاد
أي انه رد على العنف القهري بالعنف الثوري •

أما بالنسبة لنا فقد نشأ الانبعاث الاسلامي كقانون تاريخي •
فنحن الآن في دورتنا الثانية بعد أن اكتملت الدورة الاولى في القرون
السبعة الاولى التي أرخ لها ابن خلدون • ثم تلتها قرون سبعة تابعة
لتدوين نتائج الدورة الاولى في عصر الشروح والملاحظات والموسوعات
الكبيرة • ومنذ قرنين تقريبا نحاول أن نبدأ دورة ثانية للحضارة

الاسلامية . ولكن لما كبا الاصلاح من الافغانى الى محمد عبده الى رشيد رضا الى حسن البنا ، وفي كل مرة يفقد شيئاً من حرارته الاولى . وقد حاول حسن البنا اكمال مشروع الافغانى بتجنيد الجماهير مما جهل الاخوان أقوى جماعة اسلامية منظمة شهدت مجتمعاتنا الحالية . ولكن بعد الصراع على السلطة بين الاخوان والثورة في مصر في ١٩٥٤ وفي كل مكان الآن في سوريا والعراق والجزائر وتونس وضع الاخوان في السجون تحت أهوال التعذيب لمدة عشرات السنين ، واستشهد من زعمائهم ومفكريهم عبد القادر عودة وسيد قطب ، نشأ جيل جديد من الاخوان من داخل السجون يعبرون عن « معالم في الطريق » لقلب نظام العالم من الاسود الى الابيض ، من الجاهلية الى الاسلام ، من الكفر الى الايمان ، ومن الطاغوت الى الحرية ، من حكم البشر الى حكم الله . هذا الانبعاث الغاضب الناتج الواقعي بطبيعة الحال يغلب عليه التعصب وضيق الافق ويرفض الحوار مع كل أيديولوجيات التحديث العلمانية ، ومع ذلك فهو يمثل رد فعل على فشل هذه الايديولوجيات في حياتنا الحاضرة ، فقد ازدبنا احتلالاً وقهراً وتخلفاً وفقراً وتجزئة وتخريباً وسلبية . ونظراً لان هذه الجماعات الاسلامية الحديثة لن يسمح لها بحق التعبير الحر عن نفسها ، وليس لها جرائدها أو مجلاتها أو نشراتها أو كتبها وما زالت مهمشة في المجتمع ملفوظة منه فانها بطبيعة الحال اتجهت للعمل السرى تحت الارض وتتفجر بين العين والآخر ايجاباً أو سلباً . الحل اذن هو اعطاء الجميع حق التعبير في اطار الوحدة الوطنية حتى يتم الحوار المطلوب بين الاحرار وليس بين الجلاذ والسجناء . هنا يظهر التسامح ويتسع الافق ويظهر الانبعاث الاسلامى جامعاً بين الهوية والحداثة ، بين التراث والتجديد،

وغادرا على أن يحقق للجماهير مطلبها • الإبقاء على هويتها وتراثها
ودينها ثم تلبية حاجات عصرها وتحقيق أمانها القومية •

أنوال : يبدو أن الاشكالية المركزية لفكركم هي ما يلخصه عنوان
مشروعكم الأخير والذي صدرت منه حتى الآن مقدمته « التراث
والتجديد » • من أين يستمد مشروعكم مشروعيته سواء من الناحية
الدينية أو العلمية أو التاريخية ؟ وأين وصلتكم منه إنجازا حتى الآن ؟
وما هي آفاق مشاريعكم واهتماماتكم ؟

حسن حنفى : مشروع التراث والتجديد هي محاولة جيلنا
الحالي منذ فجر النهضة العربية الاسلامية حتى الآن حل قضية
الاصالة والمعاصرة ، من أجل الجمع بين القديم والجديد ، واحداث
التغيير من خلال التواصل حتى لا تقطع مع الماضي بدعوى الحداثة كما
كان الحال في تركيا وبولندا • وانتهى الامر الى انقسام تركيا بين حركة
اسلامية محافظة تدعو الى المحافظة على القديم كرد فعل على الانقطاع
عنه وحركة يسارية علمانية ترفض الحداثة الغربية والتبعية الامريكية،
كما انتهى الامر في بولندا الى ظهور الليبرالية كتطور طبيعي للتراث
الدينى (الكاثوليكية) بدلا من الانقطاع عنها ثم تركيب غطاء سطحي
فوقها من الماركسية الغربية العلمانية • « التراث والتجديد » اذن يهدف
الى المساهمة فى حركة التغيير الاجتماعى واعطائها دفعة جديدة حرصا
عليها من الكبوة والردة والثورة المضادة • فلا يتغير شئ فى الواقع
الا اذا تغير فى الذهن أولا • وما أسهل تحقيق أكبر قدر ممكن من
الانجازات الثورية مثل الاصلاح الزراعى والتصنيع والتأميم ومجانية
التعليم دون تغيير مماثل فى نسق القيم القديمة وفى القوالب والتصورات

الذهنية والابنية والدوافع النفسية • فبمجرد اختفاء السلطة الثورية وظهور سلطة مضادة تتقلب الانجازات رأسا على عقب وتسود المحافظة التقليدية ويتم استغلالها أبشع استغلال للمحافظة على الوضع القائم واعطاء شرعية للثورة المضادة • يبقى «التراث والتجديد» اذن البداية بالبداية أى بالذهن والقيمة والاتجاه النفسى والموقف من العالم • المفكرون الاحرار قبل الضباط الاحرار ، هكذا كان الحال فى الثورة الفرنسية، والروسية والامريكية • وربما من بعض أسباب تعثر الثورة الاسلامية فى ايران هو أنها أتت فى لحظة من المحافظة الدينية التقليدية، قبل تثوير الذهن والتراث • وسهل أن يتم ذلك • فالتراث تراثان ، تراث سلطة وهو الذى اعتمدت عليه الدولة لتدعيم سلطتها ، وتراث المعارضة الذى ضربت حوله الدولة مؤامرة صمت وشوّهته فى كتابات مؤرخى السلطان •

مهمتنا ابراز تراث المعارضة وبالتالي تنتفى تهمة الالحاد أو الافكار المستوردة التى تلقى على كل مصلح ومغير اجتماعى • كما يفتزع سلاح الدين من أيدي السلطة والاستعمار ويصبح الدين لصالح الشعب وليس ضده ، وبالتالي تتحقق مصالح الشريعة الضرورية التى لاجلها وضعت الشريعة ابتداء ، المحافظة على النفس والدين والعقل والعرض والمال • لا أحد يريد أن يبقى فى المحافظة التقليدية الا القليل ، ولا أحد يبغي الماركسية أو الليبرالية أو القومية أو الاشتراكية العلمانية الا القليل • ولكن الجميع يبغي الاسلام العصرى المستير القادر على الابقاء على هوية الجماهير والدفاع عن مصالحها • ويتكون المشروع من أقسام ثلاثة :

(أ) موقفنا من التراث القديم ، وهى الجبهة الاولى المفروضة

• علينا من أجل تحديد علاقة سليمة وصحية بالقديم • ويتلخص ذلك في إعادة بناء العلوم القديمة طبقا لمتطلبات العصر ، وإعادة الاختيار بين البدائل ، سواء كان ذلك في العلوم النقلية العقلية مثل علم أصول الدين وعلم أصول الفقه وعلوم الحكمة وعلوم التصوف أو في العلوم النقلية الخالصة مثل علوم القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه أو في العلوم العقلية والطبيعية الخاصة مثل الرياضيات (الحساب ، والهندسة ، والجبر ، والموسيقى ، والفلك) وعلوم الكيمياء والطب والصيدلة والحيوان أو في العلوم الانسانية مثل اللغة والادب والجغرافيا والتاريخ •

(ب) موقفنا من التراث الغربى من أجل تحديد علاقة سليمة وصحيحة بالغرب ، رده الى حدوده الطبيعية وتحجيمه حتى تتخلص الحضارات اللأوربية من آثاره ونقل المعارف منه الى الابداع الذاتى • ويتضمن ذلك إعادة كتابة تاريخ الحضارة الغربية فى خمسة أجزاء ، عصر اباء الكنيسة ، والعصر الوسيط ، وعصر الاصلاح والنهضة ، وعصر العقلانية والتنوير ثم عصر العلم والتكنولوجيا •

(ج) موقفنا من الواقع أو نظرية التفسير من أجل إعادة تفسير الوحي طبقا لقضايا العصر • ويتضمن ذلك ثلاثة أجزاء ، الاول عن العهد القديم ، والثانى عن العهد الجديد ، والثالث عن القرآن الكريم ، « المنهاج » كتفسير موضوعى للقرآن ابتداء من الانسان والمجتمع والتاريخ • لم يتم انجاز المشروع الا فى مقدمته الاولى « التراث والتجديد » والجزء الاول بناء علم أصول الدين • وكما ترى المشروع كبير والعمر قصير ولكن ما العمل ؟

أنوال : وأنتم فى المغرب منذ سنتين ، وقبلها خلال زيارات علمية ثقافية ما الذى أثار ويثير انتباهكم فيه ويستدعى ملاحظاتكم التثمينية

أو النقدية وأيضا اقتراحاتكم وتوجيهاتكم ، كن ذلك طبعا على الصعيد الثقافي العام ؟

حسن حنفي : المغرب بالنسبة لي وطني . لقد عشت منذ سنتين صراعا بين المال بلا علم في الخليج وبين العلم دون مال في المغرب ، واخترت المغرب . زيارتي الاولى في ابريل ١٩٧٩ بدعوة من الجمعية الفلسفية المغربية عن « التقاليد والتحرر » وفي فاس خاصة أحسست بروح الطلاب وعقولهم ، ورأيت ان مكاني عندهم . ولكني كنت في مصر في ذلك الوقت في خضم الصراع ضد الثورة المضادة . ولما انتهت وسنحت الظروف أتيت الى المغرب طائعا وأتركة مكرها . بصرف النظر عن سهولة الحياة ، وجمال الطبيعة ، وصغر المدينة ، وحرية الانتقال تظل النقطة المضيئة بالنسبة لي هو الطالب المغربي . لم أشهد طالبا مثله في العالم العربي أو الاسلامي أو الغربي . فهو شعلة من الحماس والذكاء ، واسع الاطلاع ، شجاع ، مناضل ، يعرف روح الجماعة بالرغم من بعض التغريب في ثقافته والاعجاب بالالفاظ المستحدثة سعيا وراء آخر ما ينتجه الحي اللاتيني من مواهب وتيارات . يقدر الاستاذ الذي مثله ويسعى اليه ويستمتع منه ويجاوره . يأخذ موقفا منه ، معه أو عليه . وقد كان اختياري للمغرب أساسا هو اختيار للطلاب ، ورفضت من أجله كل الاغراءات والعروض حتى يتأثر بي وتأثر به وأنشر رسالتي بينه وأحميه من العداء للتراث القديم ومن التغريب بالرغم من اعتراضاته المنهجية على التراث والتجديد التي أقدرها وأفهمها ولكن أرجو له مشروعا أفضل يقوم به الطالب فتتلاحق الاجيال وتتكامل . والطالب المغربي هو المثقف المغربي ومن ثم ستستمر النقطة المضيئة في جماهير المثقفين في المغرب في اتحاد الكتاب والروابط والاندية والجمعيات الثقافية . وبالرغم

من عزلتهم أحيانا ودعوتهم الى بعض الخصوصية التي قد تقترب من الشرفينية والقطيعة الاستمولوجية الا أنهم منفتحون على المشرق ولا يكاد المشرق العربى ينتج شيئا الا وهم قارؤوه . الاعتزاز بالعربية وبالعروبة وبقضايا النضال المصرى مثل تحرير فلسطين ، وقضايا التخلف والتقدم والتنمية ، وتعارفهم وتكاتفهم يجعل المثقفين المغاربة في طليعة حركة التحرر العربى وموقعا متقدما فيها .

ومع ذلك فان الطالب مظلوم ، محاصر بين الفقر والقهر لا يראה أحد . لا يعى أمره أساتذته من مواطنيه الذين قد يناصر بعضهم العداء له وربما الصدد له والغيرة منه . ولا ترعاه الادارة التي تناصبه العداء وتعتبره خصما عنيدا . ولا ترعاه المؤسسة التعليمية والنظم العامة التي ترى أنها في غنى عنه وأن أجهزة الامن له بالمرصاد .

هذا الحديث بمثابة وداع لشعب المغرب كنت أود التعبير عنه بصيغة أخرى وأنا أغلدره الى مكان آخر كما كان الافغانى من قبل لا يستقر له مقام . لا يرضى عنه خديوى مصر ولا سلطان تركيا ولا قيصر روسيا ولا أمير من أمراء العرب . ولكن اذا غاب بجسده فان روحه ترى في كل مكان وعلى أكتافه قامت كل حركاتنا الوطنية وحصلنا على استقلالنا . قد تعود الكرة وتنتشر أفكار التراث والتجديد حتى في غيابى ولكن سيظل عقلى باستمرار مرتبطا بالطالب المغربى وقلبى مع المثقف المغربى وروحى بالمغرب . ولطالما كانت هذه صورة المغرب عند فلاسفة المشرق حكماء وصوفية فقد كتب السهروردى « الغربية المغربية » أو الغربية وكتب ابن عربى « عنقاء مغرب » وها أنذا أكتب وداعا لشعب المغرب .

فهرس الموضوعات

اليمين واليسار فى الفكر الدينى

- ١ - اليمين واليسار فى الفكر الدينى ٣
- ٢ - هل يمكن اقامة نهضة على أسس أشعرية ؟ ٤١
- ٣ - الدين والرأسمالية ٤٥
- ٤ - ماذا تعنى أسباب النزول ؟ ٦٩
- ٥ - مناهج التفسير ومصالح الامة ٧٧
- ٦ - اختلاف فى التفسير أم اختلاف فى المصالح ؟ ١١٧
- ٧ - المال فى القرآن (تحليل المضمون) ١٢١
- ٨ - ماذا تعنى : أشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ؟ ١٦٣
- ٩ - مقالات فى اليسار الدينى ١٦٣
- أ - محمد ، الشخص أم المبدأ ١٦٣
- ب - مصر بين الامان والطغيان ١٦٨
- ج - الشورى فى الاسلام ١٧١
- د - الجهاد (تحليل لفظى من القرآن) ١٧٨
- هـ - الصبر ١٨٤
- و - الحب ١٨٦
- ز - الكراهية ١٩٠
- ح - الصلاة والنفاق ١٩٣
- ط - أحكام السوق ١٩٧

٢٠٣ ١٠ — معارك اليمين واليسار في الفكر الدينى

٢٠٣ أ — عندما يزايد اليمين في الوطنية والدين

٢١٠ ب — لسنا ملحدين ... ولا متافقين

ج — تشويه الماركسية من العقلية اليمينية في الصحافة
المصرية ٢١٥

٢٢٦ د — تشويه الحقائق ، واتهام الزور ، فأين المصلحة ؟

٢٣٢ هـ — المعارك الاخلاقية والصراع الاجتماعى

٢٣٧ و — افتراءات ضد اليسار

٢٤١ ز — بريق اليسار

٢٤٥ ح — الشعارات الدينية ومضامينها السنياسية

٢٤٩ ط — كلمة حق يراد بها باطل

٢٥٣ ي — الوثنية الجديدة

٢٥٧ ك — للمخطيء أجر ... وللهميب أجران

٢٦٢ ل — الاسلام والمعارضة

٢٦٧ م — ذهب المقصورة ... وجوع الفقراء

٢٧٠ ن — هل تجوز الصلاة في الدار المغصوبة ؟

٢٧٣ ١١ — احاديث في اليمين واليسار في الفكر الدينى

أ — من الاخوان المسلمين مع اليسار ... ومن اليسار
مع الدين ٢٧٣

- ب — اليسار الاسلامى مشروع حضارى ٢٨٣
- ج — العلمانية والفكر الانقلابى وتحديات العصر ٢٩٨
- د — المرأة العربية محرومة من حقوقها كمسلمة ٣١٤
- ه — الفراغ السياسى والثقافى للشباب ٣٢٣
- و — الشورى عقيدة وممارسة ٣٢٤
- ز — كبوة الاصلاح ٣٣٥

لنفس المؤلف

أولا — تحقيق وتقييم وتعليق :

- ١ — أبو الحسين البصرى : المعتمد في أصول الفقه ، جزءان • المعهد الفرنسى بدمشق ١٩٦٢ — ١٩٦٥ .
- ٢ — الحكومة الاسلامية للامام الخمينى ، القاهرة ١٩٧٩ .
- ٣ — جهاد النفس أو الجهاد الاكبر للامام الخمينى ، القاهرة ١٩٨٠ .

ثانيا — اعداد واشراف ونشر :

- ١ — اليسار الاسلامى ، كتابت في النهضة الاسلامية ، العدد الاول ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨١ .

ثالثا — ترجمة وتقييم وتعليق :

- ١ — نماذج من الفلسفة المسيحية (المعلم لاوغسطين ، الايمان بلحنا عن العقل لانسلیم ، الوجود والماهية لتوما الاكوينى) ، الطبعة الاولى ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، الطبعة الثانية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨ ، الطبعة الثالثة ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ .
- ٢ — اسبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، الطبعة الاولى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، الطبعة الثانية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، الطبعة الثالثة ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨١ .
- ٣ — لسنج : تربية الجنس البشرى وأعمال اخرى ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ .
- ٤ — جان بول سارتر : تعالى الانا موجود ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨٢ .

رابعا — مؤلفات بالعربية :

- ١ — قضايا معاصرة ، الجزء الاول ، في فكرنا المعاصر ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨١ ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٧ .
- ٢ — قضايا معاصرة ، الجزء الثانى ، في الفكر الغربى المعاصر ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة

الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٢ ، الطبعة الثالثة ، دار
الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٨ .

٣ — التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم ، الطبعة الاولى
المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨٠ ، الطبعة الثانية
دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ ، الطبعة الثالثة ، الانجلو المصرية
القاهرة ١٩٨٧ .

٤ — دراسات اسلامية ، الطبعة الاولى ، الانجلو المصرية ،
القاهرة ، ١٩٨١ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ،
١٩٨٢ .

٥ — من العقيدة الى الثورة ، محاولة لاعادة بناء علم اصول الدين
(خمسة مجلدات) الطبعة الاولى ، مديولى ، القاهرة ١٩٨٨ .
٦ — دراسات فلسفية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٨ .

خامسا — مؤلفات بالفرنسية والانجليزية :

- 1 — Les Méthodes d'Exégèse essai sur la science des fondements de
la Compréhension, ilm usul al-Fiqh, Le Caire, 1965.
- 2 — L'exégèse de la phénoménologie, l'Etat actuel de la méthode
phénoménologique, et son application au phénomène religieux
(paris ,1965). Le Caire, 1980.
- 3 — La Phénoménologie, de l'Exégèse essai d'une hermèneutique
existentielle à partir du Nouveau Testament, (Paris 1966), Le
Caire, 198 8(sous-press).
- 4 — Religious Dialogue and Revolution, essays on Judaism, Christianity
an dIslam, Anglo-Egyption Bookshop, Cairo, 1977.
- 5 — Dialogue Religieux et Révolution Vol. II, Anglo-Egyption Book-
shop, Le Caire 1988 (sous-press).
- 6 — Religion, Ideology and Development, Anglo-Egyption Bookshop,
Cairo, 1989 (In print).



General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

١٩٨٩ Bibliotheca Alexandrina

٩٧٧ — ١٣٣ — ١٣٤ — ٥

دار النشر للطباعة

الدين والثورة

فـنـا مـصـر

١٩٥٢ - ١٩٨١

- ١- الدين والثقافة الوطنية
- ٢- الدين والتحرر الثماني
- ٣- الدين والنضال الوطني
- ٤- الدين والتنمية القومية
- ٥- الحركات الدينية المعاصرة
- ٦- الأصولية الإسلامية
- ٧- اليمين واليسار في الفكر الديني
- ٨- اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية